بكر أبو بكر

حركة فتح

والتنظيم الذي نريد



بكر أبوبكر

حركة (فتح)
والتنظيم الذي نريد

عناة للطباعة والنشر

حركة فتح والتنظيم الذي نريد .

بكر أبوبكر

حركة فتح والتنظيم الذي نريد

عناة للطباعة والنشر ، رام الله ، فلسطين ، ٢٠٠٣

تقديم:

في هذا الكتاب الهام حاولنـــا أن نضـــم مجموعـــة مـــن الدراسات والمقالات التي نشرها المؤلف في عدد من الصحـــف والدوريات داخل الوطن وخارج الوطن ، ومنها فـــي صحيفـــة الحياة الجديدة الفلسطينية التي تعاملت مع المواضيـــع بصـــدر رحب في نطاق إتاحة المجال للتعبير الديمقراطي عن الرأي .

هذا والمواضيع المطروحة في الأبحاث والمقالات تطـرق عددا من المواضيع الحساسة والهامة في تاريخ وحاضر الثـــورة وحركة فتح ، والتي في طريقة إدارتها ومعالجتها والتعامل معها قد تعيد رسم شكل الآتي في مصنير الحركة .

إن ما احتوته المواضيع المطروقة من نقد ، في جزء منه كبير نقد ثري إيجابي وسلبي ، نرى في إطلاع أوسع عدد مـــن القراء عليه ، تحقيقا للمصلحة الوطنية عامـــة وللمصلحـــة فـــي حركة فتح ، وبما يتيح إعادة المراجعة والتقييم ورســـم الآفـــاق الديمقراطية . استطاع المؤلف أن ينفذ في مقالاته ودراساته إلـــى جوهر كثير من الحقائق ، التي قد نتفق أو نختلف معه فيها مـــن زاوية النظر أو شكل التعاطي أو طريقة التقييم ، ولكنه في جميع الأحوال يظل المطروح رأيا علميا هادفا ، وموضوعا نقديا هامـــا ، لا سيما والمؤلف ذو فكر ورأي وتجربة عميقة في المجال .

النـاشـــــر .

حركة فتح والتنظيم الذي نريد .

حركة (فتح) في الوطن
بين واقع الأزمة وضرورة الاستنهاض

مقدمة

سنحاول في هذه الورقة إلقاء الضوء على وضع تنظيم حركة (فتح) في فلسطين، اخذين بعين الاعتبار العوامل الخارجية تلك المتمثلة بطبيعة المجتمع، والسلطة السياسية، والعدو، والعوامل الداخلية المتعلقة بأطر وجسد ولوائح التنظيم ... الخ ورغم قناعتنا باعتلال التنظيم النابع من الخلل المتوارث عبر المسيرة من جهة، ولسبب تشظي المجتمع الفلسطيني الذي يعاني من نفس مشاكل العالم الثالث وان كان بحده ودرجة اكبر من دول الجوار من مثل التخلف والجهل والعشائرية... الخ ومن تلك العوامل المحدثة التي ارتبطت بالاحتلال الإسرائيلي من دعم للسلوكيات السلبية، ودعم العصابات وعزل التجمعات الفلسطينية ودعم التعصب الديني العدائي والافساد الأخلاقي. أقول انه رغم هذه العوامل فان مجتمعنا الفلسطيني، وقلب حركة (فتح) ما زال ينبض بالحياة، وقابل للتجديد ضمن توفر عدد من المقومات التي من الممكن ان تعطي التماسك المطلوب. ان حركة (فتح) في الوطن تعاني من (أزمة) مركبة، لم تساهم فيها القيادات التاريخية والخلل المتوارث فقط، وانما انعكاسات الوضع المجتمعي القائمة والتي استخدمت في التمحور ضمن الحركة، وفي الاستقواء ضمن لعبة المصالح الفئوية والفردية، وسخرت من خلالها شرائح من المجتمع لتكريس (رموز) (أصنام) (قيادات) فلتسمى أي شيء، ولكن توصيفها الحقيقي (أنني باق ومن بعدي الطوفان) ولغرض إلقاء نظرة على وضع حركة (فتح) بالداخل ، سنقوم بالبدايه بالتعرض للتأثيرات البيئية (من خارج التنظيم) على جسم التنظيم والتي بأبرزها تأتى من طبيعة المجتمع الفلسطيني (ولن نتعرض هنا للتأثيرات العربيه والاجنبيه للتحديد).

تشظي المجتمع الفلسطيني

اذا كان المجتمع يتمثل بمجموعة من البشر يعيشون في بقعة من الارض لفترة مستقرة، يتواصلون فيها ويتفاعلون عبر اللغة والعادات ويحددون لهم قيمـــا ومعايير تحقق تماسكهم النسبي، فان المجتمع الفلسطيني اذا اخذنا ما سبق بعيـــن الاعتبار يكاد يفتقد (للتماسك) المطلوب – وفق ما أرى– المنبثـــق عـــن عمليـــة (التفاعل الاجتماعي) حتى ليكاد يصور على انـــه مجموعـــة مـــن المجتمعـــات الصغيرة، المتفتته، والتي تشكل فيما بينها حواجزا جغرافية، واخرى قيمية، ممـــا يراد به للمتأمل ان يقول انه لا يوجد هناك ثقافة (فلسطينية) (عربية) موحـــــدة،او مفاهيما يسبغ عليها الصفة الفلسطينية العامة، ولغرض التحديـــد الاكـــثر سنقســم عوامل (تشظي) المجتمع الفلسطيني والمؤثرة بالضرورة في جسد حركة (فتـــح) بالوطن، الى عوامل سابقة علـــى الاحتـــلال الاســـرائيلي، وعوامـــل ارتبطـــت بالاحتلال، وعوامل ارتبطت بوجود السلطة الوطنية الفلسطينية كالتالي:

أولا: العوامل السابقة على الاحتلال الاسرائيلي

عاشت المجتمعات العربية عامة ولنقل منذ القرن ١٩ وبدايـــات القـــرن العشرين في حالة من التخلف ارتبطت بالعهد العثماني الذي حكم الأمة العربيـــة، وضرب عليها ستارا من التخلف والتجهيل والامية تصاعد مـــع تراجـــع الدولـــة العثمانية وصعود نجم تركيا الحديثة، وحملت المجتمعات العربية التي انتقلت مـــن الحكم العثماني إلى اسر الاحتلالات الغربية، حملت معها ارثها المتخلف الذي كان المعين الأساسي للاحتلالات المختلفة على توسيع رقعة نفوذها فـــي المجتمعـــات العربية على الصعد السياسية من خلال إبراز نخب سياسية مرتبطة بـــه وحولـــها مجموعة من فقهاء السلاطين يهللون ويكبرون لهم. وعلى الصعد الاقتصادية مـــن خلال ربط اقتصاديات الدول التي استقلت بعد ذلك بهذه الدولـــة الاســـتعمارية أو تلك، وثقافيا من خلال هدم الأفكار والقيم والمسلكيات المرتبطة بالحضارة العربيـــة

والإسلامية، ومجتمعيا من خلال بذر مجموعة من المفاهيم والسلوكيات والعـادات الطارئة. ومنها تلك المرتبطة بقصة (هيك مزبطة بدها هيك ختم).

ومع ظهور الانبعاث الفكري والسياسي والثقافي العربي، الـذي ارتبـط بحركات التحرر المختلفة قامت الدول العربيـة وان بأشـكال ونسـب متفاوتـة بمحاولات متكررة لتجاوز عوامل التخلف والجهل والامية والعشائرية والمناطقيـة أنها استهلكت تحت ضغط الانقلابات والشعارات الأيديولوجية ودعاوى الاشتراكية والتحرر والوحدة فانهارت الاشتراكية ولم تنجح محاولات الوحدة، ولم تذق الأمـة طعم الحرية الواسع وقد تكون نجحت أو فشلت وكل بنسب مختلفة أيضـا. إلا ان هذا الوضع بالنسبة لمجتمعنا الفسطيني واقصد وضع الأمية والتخلف والجـهل... الخ لم يأخذ الحظ أو الفعل الكافي لانتشال هذا الشـعب منـه، وبالتـالي اصبـح (التشظي) الفلسطيني المرتبط بهذه العوامل يفوق ذاك القائم في المجتمعات العربية بعشرات السنين، وبمعنى آخر فان توالي الاحتلالات على فلسطين وحتى الآن لـم يمكن الشعب أو قياداته على الأرض من اخذ الدور الكافي أو القيام بالعمل الـلازم أو الاستخدام الأمثل للجهـود عبـر الزمن للحاق بركب التطور الحـاصل فـي المجتمعات المجاورة. لذلك فاننا نرى يوميا جهـارا نهـارا في داخـل الوطـن انتشار قيم العشائرية البغيضة والمناطقية، واسـتفحال الجـهل المرتبـط بعقليـة الغيبيات واللامرئيات على حساب العلـم والمنطـق والتفكيـر العلمـي. وانفصـال العقيدة عن الممارسة ففي واقع مجتمع محافظ كالمجتمع الفلسـطيني يُستهجن فيه عدم قيام شخص ما بأداء الصلاة، تمارس مجموعات عدة من أفـراد المجتمع الغيبة والنميمة واكل أموال بعضهم البعض، والتنازع غير العادل علـى الأراضي، والتكالب على جمع الأموال دون أدنى اعتبار لحرمـة أو تمحيـص بمصدر هذه الأموال.

ان التخلف عن ركب التطور والتقدم الذي حققته عدد من الدول العربيـة وان جزئيا اصبح من سمات المجتمع (المجتمعات) الفلسطينية، وما يعنيه ذلك مـن جهل وامية وعشائرية وازدواجية المعايير. وان كان المجتمع بشرائحه وقياداتـه

المختلفة يتحمل جزء من المسؤولية فاننا لا ننكر ان عدم توفـــر الإرادة والجـــهد الكافي والمهدف والزمن اللازم المنزه من كابوس الاحتلالات يمثل الجزء الثـــاني من سبب هذا التخلف، المنعكس حاليا على كوادر حركـــة (فتـــح) فـــي الوطـــن وخارجه.

ثانيا : العوامل المرتبطة بالاحتلال الاسرائيلي

كان قدر الشعب الفلسطيني انه ينتقل من احتلال إلى آخر، ومن لجـــوء وتشرد إلى نزوح، فلم يصحو من نكبة عام ١٩٤٨ التي هزت كيانه حتى الحـــق بنكسة ١٩٦٧ لتقع أجزاء كل من الضفة الغربية وقطاع غزة بعد ٢٠ عامـــا مـــن الحكم غير الفلسطيني وغير الديمقراطي في الشطرين، لتقع بين براثن الاحتـــلال الإسرائيلي، ورغم الدور الريادي والذي لا ينكره إلا مجحف والـــذي قـــامت بـــه حركة (فتح) والثورة الفلسطينية من استرجاع الشخصية الفلسطينية، وترميم مـــا تهدم منها، واعادة بناءها وفق الأهداف الجديدة للحركـــة الثوريـــة الا ان واقـــع الاحتلال الإسرائيلي، وعقليته المرتبطة (بمحو) الآخر وعدم الاعـــتراف بـــه الا (خادما) لها قد جعل من الاحتلال عاملا مكرسا وداعما لجوانب الجهل والتخلـــف والعشائرية في الوطن سواء بشكل مباشر، أو غير مباشر بعدم التدخل فيما يصلـــح أو فيما يؤدي للحل وبالتالي إبقاء كل خلاف مرتبط بذلك قـــابل للأخـــذ والـــرد، وجرح ينزف ما دام لا يؤثر على الأمن الإسرائيلي واضافة للممارسات القمعيـــة الاحتلالية التي يعرفها الجميع والتي لا حاجة للتعرض لها هنا فعشـــرات الآلاف من الصفحات التي سطرتها المنظمات الدولية حول هذا الموضوع كفيلة بذلك، **لذا فانه من الممكن القول ان الاحتلال:**

١- قام بقتل روح الثقافة عامة، من خلال طمس منابع الثقافة ذات الامتـداد العروبي، وقام بتسخيف مفاهيم (القومية) والقيم الحضارية المســـتمدة مـــن (الاسلام)... الخ من خلال وسائل عدة منها استخدام قنواته الإعلامية العلنيـة ومن خلال عمليات (غسيل الدماغ) التي مورست بحدة في السجون، وعـــبر

إغراق عشرات الآلاف من الشباب في حمى البحث عن (الشيقل) والقيم التي ارتبطت به لتجعل من شاب في العشرين من عمره يعمل عبر الخط الأخضر يتحصل على راتب يفوق راتب أي من الشرائح المتعلمة في المجتمع، ويفوق راتب والده مرات ومرات... وما يعكسه ذلك من تقبل للسلوكيات السلبية المرتبطة بذلك، والتي تحطم تماسك الأسرة، وهيبة الوالد، واهمية البيت، وقدسية الوطن، ... وتجعل من المهندسين والمعلمين والإداريين مجال تندر، وتسخيف من مثل أشباه المتعلمين، أصحاب الدخول العالية.

٢- وقام بغض الطرف عن تشكل العديد من العصابات الإجرامية التي تبيع وتروج للمخدرات أو تقوم بسرقة وتفكيك (تقطيع) السيارات أو تقوم ببيع البضائع الفاسدة القادمة من (المستوطنات) أو (إسرائيل) خصيصا للشعب الفلسطيني، لا بل وقام الاحتلال بدعم هذه العصابات عبر توفير الحماية لعملها من خلال قوات حرس الحدود (المشمار كفول).

٣- تكريس عزل التجمعات الفلسطينية من خلال تصعيب إمكانات التنقل بين المدن والقرى والمناطق، بعدم الاهتمام بالطرق والمواصلات واضعاف الاتصالات بين مواطني المناطق الفلسطينية وتسهيلها لجهة الغرب هذا من جهة، ومحاولة اقناع الفلسطينيين بطرق مختلفة استنادا للعائلية والعشائرية ودعم الطائفية... الخ بأنهم لا يشكلون قومية أو شعب واحد وان مصالحهم تتحقق بالتعاون مع قوانين الاحتلال ومحاباة اركانهم، وان الوحدة الوطنية غير قائمة أو مستحيلة لذلك فان الارتباط باليهود أصحاب (التمدن) هو فرصة تطوير هذه التجمعات الفلسطينية لا سيما ما حصل من دعم ابتعاد الفلسطيني عن أرضه والعمل داخل الخط الأخضر أو في المستوطنات، مما أوجد فئة ضالة من كافة الشرائح المجتمعية (مفتونة) بالعدو، وتنظّر له دون وعي وربما دون قصد منها.

٤- قامت الحكومة الإسرائيلية بدعم التعصب الديني الطائفي العدائي سواء الإسلامي بمذاهبه وباختلافاته واجتهاداته، أو المسيحي بطوائفه ومذاهبه وعملت على تقوية القيادات المحلية التقليدية، واضعاف بل وسحق القيادات المثقفة أو الوطنية والشابة وممارسة عملية التعبئة ضدها أو القيام بعمليات (غسيل الدماغ) ضدها في المعتقلات والسجون.

كما استخدمت سياسة مصادرة الأراضي والأملاك التي كانت مصدر قوة القيادات التقليدية لاضعافها واستخدامها في تنفيذ أغراض الاحتلال ضد الوطن، كما استخدمت سياسة تقريب هذه الفئات وغرس مفهوم التعاون مع اليهود وتحقيق مصالحهم الشخصية ونبذ المصالح العامة الا بثمن يدفعه المواطن لهم، واثرت هذه العقلية بشكل أو بأخر على الجماهير سلبا أو إيجابا بحسب موقع الشريحة من الهم الوطني العام.

٥- ولم يتوانى الاحتلال – في حمّى قيامه بتعقب الخلايا الفدائية، والتنظيمات السياسية الفلسطينية – من تشكيل بؤر فلسطينية ناشطة في مجال الإشاعات والتخريب الفكري دون ان تكون مرتبطة بالضرورة (بحبل من مسد) بالعمالة لليهود، ولكن رذيلة الجهل والتخلف والعشائرية من جهة الخوف والانهيار والتساقط من جهة ثانية هي التي مكنت مثل هؤلاء من تقبل ذلك واعادة ضخه داخل المجتمع الفلسطيني وتنظيماته.

٦- كما كان للاحتلال الإسرائيلي دورا رئيسا وهاما في التخريب الأخلاقي والإفساد للذمة والضمير، ولنا في تقارير الأجهزة الأمنية الفلسطينية المختلفة معين لا ينضب حول هذا الموضوع الذي مس فيه التخريب كل المحرمات التي نعف عن ذكرها هنا، والذي قسم المجتمع إلى فئة فاسدة منحطة (وهي قليلة وان كانت تعمل بجد) والى فئة متشددة أصبحت تتشكك في كل تصرف (يراجع كتيب الدوائر الهندسية والذي وزع ككراس في السجون، والذي يعد مدخلا للغلو، والتشكيك في كل شيء) والى أغلبية صامته تحاول تجنب مهاوي الفساد بحصن قيمها وتراثها.

٧- كما كان للاحتلال فقط ان حطم النفوس، واستغل النفوس الضعيفة و(اسقطها) في حفرة العمالة للكيان الصهيوني، واستخدمها ضد الخلايا الفدائية من جهة، وضد كل ما هو مشرف أو صحي في هذا الوطن من جهة أخرى، وان كان العملاء المباشرين معروفين في الوطن وخاصة لدى جهاز الأمن الوقائي (لان اغلب عناصره من قيادات الانتفاضة) فان العملاء غير المباشرين والذين يتطوعون لخدمة استمرارية الكيان الإسرائيلي واحتلاله، أو يستمدون الأفكار والقيم والأسس منه هم الآن – بغض النظر عن حجمهم – قيادات التيار الإسرائيلي الذي يرفع شعار (نار إسرائيل ولا جنة العوب)، أو يتوزع سياسيا بين أفكار الليكود الفلسطيني، والعمل الفلسطيني، أي بما هو ضمن الدائرة الإسرائيلية.

ثالثا: العوامل المرتبطة بالسلطة الوطنية.

١) إضافة لمجموعتي العوامل السابقة والتي تشكل العوامل البيئية (الخارجية) المؤثرة على المجتمع وعلى تنظيم حركة (فتح) بالضرورة باعتباره أحد تنظيمات هذا المجتمع، فان لوصول السلطة بكادرها (من الداخل والخارج) ليحكم (التجمعات) الفلسطينية المتناثرة تأثيرات كان منها الايجابي على كثير من الصعد وكان منها السلبي، ولان الانسان طبع على ان يكون (ظلوما غشوما) فانه قد يتعمد الا يرى الجوانب الإيجابية من أخيه، **ولكننا هنا سنحدد تلك العوامل السلبية فقط لغرض هذه الدراسة– وليس إنكارا أو حجبا للايجابيات – كالتالي:**

٢) لقد تحالف أمراء الفساد القادمين من الخارج مع أمراء الفساد في داخل الوطن، وشكلوا فيما بينهم حلفا غير مقدس خاصة على الصعيد الاقتصادي، وما يمثله ذلك من تأثير لا ينكر علي القرار السياسي، وعلى التنظيم السياسي، ودون التعرض للأسماء فقد نشطت عقلية التجارة و المصالح الفردية والتكالب والاستئثار بالمواقع والامتيازات لتصب كلها في نهر هذه المافيا الجديدة والتي

يراها عموم الجماهير، ولا يرى غيرها، مما يصم السلطة عامة بمساوئ أي من هؤلاء الأفراد، لسهولة استنتاج (التعميم) من الحالات الخاصة أو المحدودة في المخيال الشعبي.

٣) كما يشكل جيش (المنظمات غير الحكومية) والتي تعد بالمئات في كل من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، ثغرة في جسد الشعب والسلطة، لان هذه المنظمات – وان لم يكن كلها بالطبع – تعمل وفق أفكار ومفاهيم وخطط (اجندات) الممولين الأجانب، فعلى سبيل المثال قامت مؤسسة التمويل الأمريكية (U.S.Aid) باستعراض برامج حقوق الانسان للمنظمة (ع) في الوطن والتي تحتفظ بطابع وطني غير مسخر للآخرين، وبعد ان أبدت إعجابا بذلك عرضت دعما قيمته ٣,٥ (ثلاثة ونصف مليون دولار) لهذه المنظمة ولكن بشرط واحد وهو ان تقوم هذه المنظمة بإعطاء هذه البرامج للشعب، ولا تعطيها للأجهزة الأمنية؟! وعلى نفس المنوال تتعاطى منظمات الدعم مع عديد المنظمات غير الحكومية (NGO'S) وغالبيتها تستجيب وقلة منها يمنعها صمودها ووطنيتها وعمق مبادئها من الاستجابة للاملاءات الخارجية.

٤) ارتبط وصول السلطة الفلسطينية بعقلية (التجريبية) التي حكمت حركة (فتح) والثورة لاكثر من ثلاثين عاما، وعليه فقد وقع عدد من أجهزة السلطة المدنية والأمنية (العسكرية) في خطأ عدم تقدير تأثيرات ممارساتها على الشارع الفلسطيني الذي يعاف الخطأ، ويرفض التجبر، ويأنف التسلط، لما له من تجربة عريقة مع الاحتلالات المتتالية والتي آخرها كان الاحتلال الإسرائيلي، وبالتالي انتقلت عقلية (التجريبية) و (التسلط) و (سوء تقدير العواقب) و (عدم احترام الآخرين) لبعض الممارسات الموسومة بالسلبية سواء بآليات الاعتقال أو التحقيق أو المقاضاة أو الأحكام على الصعيد الأمني، أو بآليات المواجهة، وبناء العلاقات العامة، والتخطيط، والتنظيم، الجدية، والمتابعة فيما يتعلق بالمؤسسات عامة سواء منها المدنية أو العسكرية، وما يعكسه ذلك في الشارع من ربط لهذه الممارسات بحركة (فتح) على اعتبار انها تنظيم السلطة.

٥) إن جهد بناء الدولة (ماديا) والمتمثل بإعادة تكوين البنية التحتيـة مـن شوارع ومجاري ومدارس ومستشفيات وبنايات، وترميـم مبـاني قديمـة، والحفاظ على الآثار، واحترام البيئة ... الخ، هو جهد إيجابي من مؤسسـات السلطة لا ينكر، ولكن (مفهوم البناء) يقتضي التعبئـة والإرشـاد والتربيـة والتثقيف وحسن الاتصال والتوجيه والتعليم والتدريب والتكوين وهو جـهد ضعيف نسبيا في فلسطين ولا يولى الأهمية والدعم الكافي، مما يجعل مـن التطور المادي لا يترافق مع التطور الروحي وتنامي الوعي الإنسـاني. ولا شك ان التفات قيادة السلطة الوطنية نحو الموضوع الاقتصادي والموضـوع الأمني قد انتج مثل هذا الإهمال لجهد بناء الانسان الفلسطيني عامة، وعلـى صعيد (فتح) أيضا انعكس مثل هذا المفهوم لتتحول الحركـة إلـى مجـرد خطباء وخطابات ومهرجانات ومسرحيات وهياكل فوقية لا تحتوي علـى مضمون.

مكامن الخلل في تنظيم حركة (فتح)

عاشت حركة (فتح) في فلسطين تجربة تنظيمية مختلفـة عـن تجربـة الحركة في الخارج، ولظروف عديدة لا داعي لذكرهـا هنـا ارتبطـت بطبيعـة المرحلة، والسرية، والعمل الفدائي، ودور القيادة ثم الانتقال لطور شبه العلنية مـن خلال الانتفاضة المجيدة واللجان المركزية في السجون، ولجان الشـبيبة للعمـل الاجتماعي... الخ، كل ذلك خلف إرثا نضاليا تنظيميا مختلفا عن الخارج، وغـير متفق مع النظام الأساسي للحركة، وله من المؤيدين والمنظرين ما يشكل صعوبـة لتجاوزه بل ومقاومة ورفض من البعض لذلك. واجمالا يمكننا تقسيم الخلـل فـي الوضع التنظيمي القائم إلى قسمين الأول على الصعيد القيادي وعقليتها و أسـلوب عملها، والثاني على الصعيد القاعدي.

اولا: على الصعيد القاعدي

- لا تكاد تتحدث مع أي عنصر أو كادر تنظيمي في الوطن الا ويجعل من التجربة الحزبية الإسرائيلية (بديمقراطيتها)؟! الجذابة له مقياسا يحكم فيه على ضرورة المشاركة في قيادة الحركة من اسفل الهرم إلى أعلاه، ويقوم التلفزيون الإسرائيلي بتقديم هذه (الديمقراطية) كنموذج وقدوة لا يستطيع الكثير من أعضاء التنظيم الفكاك من أسره، حتى انهم يعترضون على التدرج الهرمي (اللاديمقراطي)!؟ كما يقولون وعلى بند ٣/٤ (أربعة أثلاث) في انتخابات لجنة الإقليم كما هو وارد في النظام الأساسي لحركة (فتح) وعلى حق اللجنة المركزية في اختيار أمين سر الإقليم... الخ، ويطرحون ضرورة اعتماد مبدأ الانتخاب القاعدي المباشر دون أدنى اهتمام للأهلية الهيكلية وفعالية الاطر هذا ان وجدت، والذي يشكل برأيي خطرا كبيرا في ظل ضعف الوعي والتثقيف وعدم وجود التجربة التنظيمية السليمة.
- عدم احترام (النظام الأساسي) لحركة (فتح) وان كان لهذا العامل من فعل متبادل قياديا وقاعديا من خلال تجربة مؤتمرات المناطق والأقاليم في الوطن، فان مسؤولية (القبول) بخرق بنود النظام تقع على الكادر في الوقت الذي تقع فيه مسؤولية (نسف) بعض بنود النظام واستبدالها أو تطويعها تقع على عاتق قيادة حركة (فتح) في الداخل ممثلة بلجنة الطوارئ.
- انتشار الجهل واستحكام العقلية العشائرية، والتي تراها بجلاء في انتخابات المواقع (المناطق) حيث يتم التعامل مع الأعضاء – على سبيل المثال- في الكشوف كعائلات بتسلسل إدراج الأسماء وتقدير نسب حضورهم للمؤتمر حسب حجومهم العشائرية في البلد أو الجهة، وبالتالي الحشد (للكرنفال) المسمى مؤتمر تنظيمي (تجاوزا) على قاعدة إثبات الوجود العشائري في كافة الاطر من البلدية إلى المنظمة الاجتماعية الفلانية إلى التنظيم السياسي الرئيسي حركة (فتح) وفي ظل تحكم عقلية العشيرة أو الجهة تفقد المقاييس التنظيمية وترسى أسس ومقاييس جديدة تأخذ بالاعتبار

اسم العشيرة و (تمثيلها) في مؤتمر (فتح) بغض النظر عن السلامة الأمنية أو الوطنية أو الخلقية لابن العشيرة الذي يجب ان يدعم ويدخل المؤتمر حتى لو كان من تنظيم آخر (؟!) أو مشكوك بانتمائه الوطني(؟!) وعليه فان نتائج (الكرنفال) لاعتمادها هذه الأسس (؟!) لن تحظى بالقبول من الجميع غير المتوافق أصلا على ألا يكون موجود عشائريا.

- ان ما قدمنا به من عدم وجود تجربة تنظيمية حقيقية وسليمة واعتماد الفعل الوطني على بطولات فردية، وحالات نضالية، وتضحيات لم تأخذ صبغة الجماعية أو العمل بروح الفريق، جعلت من الاستهانة بالنظام الأساسي سمة عامة، واعتبار أهمية الهيكل وتوزيع النشاطات عبره أضحوكة ومجال تندر. انه رغم اعتراف القيادات التنظيمية في الداخل بانعدام الوعي العام، وضعف التجربة التنظيمية، واعتماد العمل السابق على حالات نضالية، فإنها – أي هذه القيادات وان لم يكن كلها- تسهم في تسطيح المفاهيم وتحميل المعاني والمبادئ التنظيمية ما لا تحتمله بما يفقد القوانين والأسس لدى القاعدة أهميتها ومرجعيتها، والذي من مظاهره أيضا رفض مبدأ المركزية الديمقراطية وعدم احترام القيادات التاريخية، على اعتبار انه من سجن اكثر مني فليكلمني، أو من تصدى للاحتلال اكثر مني فليواجهني... وهكذا.

- تشترك القاعدة مع القيادة –للأسف – في النظر للتنظيم من زاوية المكاسب (مادية – مساعدات – مواقع – مناصب – زخم – عشائرية – نفوذ اكبر – منح دراسية – توظيف- إبراز شخصي- ..... الخ) على حساب ان التنظيم هو وسيلة حشد ورباط، أو انه وسيلة توعية وتثقيف، أو انه أداة تعبئة وتوجيه. أو انه سبيل (خدمة) للجمهور، ومحقق لعموم تطلعات الأمة وأهدافها، لذلك اصبح طغيان المكاسب الفردية والكتلوية والفنوية والعشائرية على حساب المبادئ والاهداف والقيم والسلوكيات (النظرية) المنصوص عليها فقط في بطون ومتون الكتيبات الحركية، وبعض الدراسات الرصينة ونشرة (فتح) المركزية.

- المؤتمر التنظيمي بين السوق والكرنفال: تقوم الدول الصناعية بكسر جمود الحياة اليومية المادية بعمل المهرجانات والكرنفالات ترويحا عن النفس وخروجا من أزمة المادة النفسية، بينما تعتاد شعوب وتنظيمات العالم الثالث على إقامة أي فعالية بمنطق الكرنفال من باب انه كله يهون لدعم النشاط الفلاني إعلاميا حتى لو كان غير مهدف مما يحدث خللا كبيرا انعكس على مؤتمرات حركة (فتح) التي تحولت لكرنفالات.

في أحد مؤتمرات فتح في الوطن همس عضو لزميله – رغم طنين أصوات المؤتمرين المدوي – قائلا له ما هو الحيز المكاني الذي لا أبواب له؟! فاجاب الثاني مبتسما: السوق، فقال الأول: صحيح، وما الفرق بين السوق والمؤتمر وكان الثاني ذكيا وفهم المقصود فقال: في السوق الجميع يتكلم ولا أحد يسمع وفي المؤتمر الجميع يسمع وواحد يتكلم... وهكذا هو الوضع الداخلي لمؤتمرات حركة (فتح) في الوطن تتراوح ما بين الكرنفالية والسوق في عملية لا انضباط صارخة وغير واضحة السبب، وتنم عن فقدان عميق للجدية والوعي التنظيمي والاحترام والاتصال الفعال والالتزام.

ثانيا: على الصعيد القيادي

واقصد على الصعيد القيادي في الوطن في الاطر المختلفة والمتشابكة والمتداخلة والمعرفة بالتالي : لجنة الطوارئ، ما يسمى باللجنة الحركية العليا في الضفة واختها في غزة، ولجان الأقاليم. حيث تتمثل مكامن الخلل في حركة (فتح) في هذه الاطر أو النابعة منها بالتالي:

(١) تداخل الأطر وتشابكها بما يضر بمفهوم تقسيم العمل، وتوزيع النشلطات المقصودة بإنشاء الهيكل التنظيمي، وإلا فكيف يكون على سبيل المثال أمين سر إقليم نابلس عضوا في اللجنة الحركية العليا (غير موجودة في النظام الأساسي) وعضو في لجنة الطوارئ (إطار على من الإقليم) وعضوا في المجلس الثوري (إطار أعلى من لجنة الطوارئ)؟!، فما دام نفس الكادر

يتواجد في إطار ما، وإطاره الأعلى معا، فأين يقع بند الرقابة والتوجيه والمتابعة والمساءلة والمحاسبة...الخ؟!.

(٢) التخبط والعشوائية والتجريبية: وهذا ما يرى بوضوح فيما يسمى تجاوزا مؤتمرات الحركة للمواقع (المناطق) والتي ما هي في الحقيقة الا (كرنفالات) لمعظم المنتمين للحركة في المواقع، أو اجتماع، مؤتمر، جمعية عمومية لجميع الكادر الفتحوي أو من اسبغ عليه هذه الصفة (بفرمان) من اللجنة الحركية العليا والتي لا موقع لها في النظام الأساسي لحركة (فتح)، بحيث ان منهج التخبط هذا، والتقييم غير السليم بقصد غالبا، وبغير قصد أحيانا انتج (قيادات) هزيلة، بل ومشكوك بالانتماء، الوطني لعدد منها كما حصل في انتخابات بيت لحم على سبيل المثال.

(٣) إسقاط النظام الأساسي لحركة (فتح): وشارك في ذلك الاخوة أعضاء لجنة الطوارئ، وحقيقة الفعل اليومي في الكرنفالات (المؤتمرات) التي بنيت على أسس غير نظامية من حيث العضوية والتي يقصد وعن عمد تمييعها باتجاه التغيير البنيوي لحركة فتح الغد، ومن حيث النظم أو اللوائح المستحدثة والمتغيرة يوميا من موقع (منطقة) وإقليم وآخر (لتنظيم) عمل هذه المؤتمرات.

- نظام (ص): وهو النظام المعد لانتخابات المناطق والأقاليم (المعدل للنظام الأساسي لحركة (فتح) والذي نفترضه النظام (س) هنا) حيث يضيف شريحة جديدة يحق لها دخول مؤتمر المنطقة لمن تجاوز ٤٥ نقطة، و ٤٠ نقطة للأخوات وشريحة جديدة لمؤتمر الإقليم لمن تجاوز ٧٥ نقطة للاخوة، و ٦٥ نقطة للأخوات (لاحظ التمييز الجنسي)، ولا يتوقف الأمر عند ذلك الحد بل يتيح هذا النظام انتخاب ١٠% من عدد أعضاء مؤتمر المنطقة ليكونوا أعضاء في مؤتمر الإقليم. فعلى سبيل المثال فان مؤتمر إقليم وسط الخليل المكون من ٨ مناطق اصبح عدد المنتخبين لعضوية مؤتمر الإقليم من أعضاء لجان المناطق ٧×٨ = ٥٦. بينما عدد المنتخبين من (شيوخ الشباب

الـ ١٠%) الذين تنتهي مهمتهم بحضور مؤتمر الإقليم يفوق الـ ٢٣٨ عضوا.

ورغم أننا في مكتب التعبئة والتنظيم لحركة (فتح) نحن من وضع نظام النقاط ومن ١٨٠ نقطة وفق احدث نظم التقييم (التصنيف) فان التطبيق على الأرض قد عدل كثيرا من هذا النظام، واساء للنظام المعدل نفسه المكون من ١٠٠ نقطة.

- نظام الخليل المعدل لنظام (ص) المعدل للنظام الأساسي: وفي هذا النظام اقترح ان يضاف لكل ما سبق الكفاءات والمكاتب الحركية وممثلي المؤسسات المنتخبين والتي توسعت لتشمل رابطة الجامعيين والبلدية ونادي طارق بن زياد... الخ، واعداد أخرى غير محددة.
- نظام القدس المعدل لنظام (ص) المعدل للنظام الأساسي: وفي هذا النظام لم تعتمد انتخابات للمناطق تسبق انتخابات الإقليم وانما اعتمد انتخاب مباشر لـ (١٧ عضوا)- مع ملاحظة ان النظام الأساسي لحركة فتح ينص على ألا يزيد عدد أعضاء لجنة أي إقليم عن ١١ عضوا – يشكلون قيادة إقليم القدس من مجموع ٢٠٧٨ عضوا في المؤتمر (؟!) ولتمثيل النساء في مثل هذا (الكرنفال) سعى العديد من الأعضاء لتسجيل زوجاتهم وأخواتهم... الخ. كما قامت اللجنة باختيار أمين سرها بنفسها (؟!). رغم ان هذا الأمر من حق اللجنة المركزية للحركة.

وعودة لنظام (ص) المعدل للنظام الاساسي فانه يمنع اعضاء الحركة من العسكريين الترشيح لانتخابات الأطر من المنطقة فالاقليم، رغم انهم ملزمون (الوحيدون الملزمون) بدفع قيمة الاشتراك الحركي والذي يقتطع مباشرة دون اذنهم من مخصصاتهم، ولا يسرى ذلك على الموظفين المدنيين او اصحاب الاعمال الحرة.

(٤) تحكم العقلية العشائرية والكتلوية: وكنا قد أشرنا لهذا الموضوع سابقا، ولكن عقلية (الكتلة) أصبحت واضحة في سعي حثيث لكتلة تعمل بقوة

لتحقيق الفرز ضمن فتح، ما بين غزة والضفة وما بين الداخل الداخل، والداخل الخارج، والخارج وبشكل مقيت مرتبط بعقلية تخريبية من جهة، وبعقلية خط سياسي غير عروبي وتوجهاته غربا، تستمد منه العون والقوة والسند وتستأثر من خلاله بالامتيازات (التجارة، التصاريح، سهولة التنقل، التلفزيون، الدعم المادي، ....) التي تسحر الكادر التنظيمي ابن مجتمعه الفلسطيني الذي أشرنا لملامح التشظي فيه.

(٥) تقبل وجود شخصيات مشبوهة في التنظيم: وتجد من يدافع عن مثل هؤلاء، أو يصمت عن ذلك في الحد الأدنى، بينما يقوم الآخرون بسرد تاريخ طويل لهم مع أحد (المراحيم: جمع مرحوم) ففلان كان مكلفا بالعمل بالارتباط خيطيا مع المرحوم ابو جهاد، أو المرحوم... أو المرحوم ابو الكرتون... الخ.

(٦) عدم الجدية وفقدان المتابعة: لو كانت لجنة الطواريء تتخذ من الجدية والمتابعة الحقيقية والارادة الصلبة والخطة المرتبطة بأهداف. لا تحيد عن النظام منهجا لكان الأمر مختلفا عما هو قائم الآن، فعدم الجدية هذه وتخبط القرارات التي تمارس في منطقة ولا تمارس في أخرى، إضافة لفعل مقصود، سخفت القيادات التاريخية للحركة وشوهت صورتها لصالح (أصنام) امتهنت تقديم الأوراق للتوقيع واثبات ذاتها عبر هذا الأسلوب، وتعمدت تشويه تاريخ الحركة، وطغت فيها جنون الشخصية، ومارست الفرز بين الداخل والخارج، وعملت على تسطيح الاطر، وتمييع الفوارق وخاضت حروبا من خلال القناة الأولى في التلفزة الإسرائيلية، ومن خلال قناة (الجزيرة) وغيرها للاستقواء على الحركة، على مبادئ الحركة، على نهج الحركة (التنظيمي) المستقر منذ سنوات.

(٧) تسخير التنظيم وصراع الأجهزة: وابرز مثال على ذلك انه في يوم واحد عبر جهازين رئيسيين عن فخرهم الكامل بالسيطرة على مجلس الطلبة في جامعة بيرزيت، وكأن كل منهما من حقق الفوز؟!، لا التنظيم ولا

الطلاب. كما ان الأجهزة رغم استبعاد انتخاب من ينتمون لها لمواقع العضوية في لجان المناطق ولجان الإقليم ما زالت تمارس الاستقطاب لأعضاء هذه اللجان وللأعضاء، وتتخذ من إمكانياتها كوسيلة للتأثير في الآخرين وفق ما كان عليه الحال في (بيروت) و اكثر. كما تمارس قيادات بعض الأجهزة وأيضا بعض قيادات التنظيم في الداخل عملية تسخير الكادر التنظيمي لتحقيق مآربهم الشخصية وكما حصل من ركوب بعض الرموز لموجة مشكلة (تنظيم رام الله/ الاستخبارات) و حققت بذلك بعضا من المكاسب المادية. وغني عن القول ما تحدثه تدخلات الأجهزة في الجسم الطلابي الفتحوي من خروق وتشتيت للجهود المخلصة مما يؤدي لتنامي التيارات السياسية الأخرى وتقدمها على حساب حركة (فتح).

(٨) العمل في وقت الفراغ وهواية جمع المناصب: رغم ان عديد المحسوبين على مسميات قيادة الداخل لديهم أعمال رسمية أخرى، في المجلس التشريعي، أو في الوزارات ، أو في الأجهزة الأمنية، إلا انهم لا يتركون (التنظيم) فهو المكان الوحيد المتاح العمل فيه لهم ولمن هب ودب دون حسيب ولا ضابط فعلي ولا مرشد ولا رقيب أمين، فلماذا لا يستغلون أوقات فراغهم – على كثرة أشغالهم المفترضة- للعمل في التنظيم(؟!)

ويترافق مع سوء استغلال(؟!) وقت الفراغ هذا لديهم انهم يتأسون بهواة جمع الطوابع، أو هواة جمع العملات، فيجمعون هم المناصب فلا بأس من ان ينتظموا في اكثر من مهمة أو منصب أو لجنة أو (كرنفال).... الخ يتعلق بالعمل الحركي؟! ان التنظيم اصبح لمثل هؤلاء (مطية) يركبونها ويخوضون فيها أوحال المجتمع لتوصلهم لأغراضهم الخاصة، وما أكثرها لا سيما ان ارتبطت بعقلية تخريب، أو بعقلية استئثارية، أو بعقلية موجهة يلحظها كل ذي لب.

وغني عن القول ان هذه الهواية أصبحت مرتبطة بعشق الصور والتلفزيون والكاميرات والتي يتم التنازع عليها دون هدف إلا التتيم والهيام أو حب الظهور المرضي لعدد من القيادات الصنمية في الوطن.

من مجمل هذه العوامل الخارجية والداخلية نستطيع التأكيد ثانية على استفحال المشكلة داخل حركة (فتح) وتشعبها وتشابكها وبالتالي صعوبة حلها مما حولها (لازمة) تحتاج لجهود من لم يعيهم الدهر، ولا نوائب الأيام من قيادات الفكر والفعل الفلسطيني الإيجابي.

دعم عوامل التماسك

ان المجتمع الفلسطيني على ما فصلنا من سلبيات فيه، هو مجتمع أصيل، ورغم (تشظيه) وتناثرة كمجتمعات تكاد تكون منعزلة، هو مجتمع متجذر في هذه الأرض يستمد قيمه وبواعثه ودوافعه بوعي أو بدون قصد من تراث الأمة الحضاري العريق، لذا فان دعم عوامل تماسك المجتمع يصب بالضرورة في دعم (منظمات) المجتمع المدني وفكرها واساليب عملها وخططها ومنها حركتنا الرائدة حركة (فتح).

- ان الدين الإسلامي للمسلمين في فلسطين، والخلقيات الشرقية المستمدة من الدين المسيحي لنصارى فلسطين بلد السيد المسيح عليه السلام هي من ابرز عوامل التماسك للبناء الوطني للشعب الفلسطيني لانها مرتبطة (بالعقيدة) والتي تمثل بالشرق العامل الأكثر استقرارا والأكثر احتراما والأكثر تحريكا للنفوس مهما تلوثت أو تلونت أو انحرفت أو انزلقت في مرحلة انحطاط ما من مراحل التاريخ.
- كما يمثل الموقع الجغرافي السياسي الاقتصادي والديني والتاريخي أساسا هاما يضاف لعوامل التماسك التي من الممكن ترسيخها وابرازها ودعمها في وعي وضمير وخلفية الشعب الحضارية والفكرية المتجددة والمتطورة، ففلسطين في قلب الأمة العربية والامة الإسلامية.
- كما أن التراث النضالي الفلسطيني الطويل منذ مطلع القرن العشرين قد كرس في وعي وعقل الشعب قيم الصمود والإباء والشمم، وروح الاستمرارية

والتواصل (في جهاد إلى يوم الدين) وهذا التراث واحترامه وتقديمه بصورة مشرقة أيضا من عوامل دعم تماسك المجتمع والحركة.

- لا شك ان كل شعب – على كبواته – يتمتع بمجموعة من السمات أو القيم التي تغلب عليه وتطبعه بطابع حضاري مميز وشعبنا الفلسطيني لديه من مثل هذه السمات ما ان (تعلى) و (تحترم) وتدعم حتى يتصلب البنيان ويستعيد الجسد تماسكه من مثل قيم:
- الصبر والوفاء والكرم.
- الاستقامة والمحافظة والبساطة.
- روح العطاء والعداء للمحتل، ورفض التسلط.
- روح الولاء والانتماء للوطن.
- وجود قيادات وشخصيات اعتبارية تمثل النموذج والقدوة.
- إمكانية استثارة الطاقات الكامنة للشعب وبعث القدرات وتوثيبها وتفعليها.
- دعم المشروع الاقتصادي الفلسطيني بالارتباط بالمحيط العربي، لا ان يظل الفلسطينيون بروليتاريا وطبقة مسحوقة مقابل الرأسمالية اليهودية والعقائدية اليهودية التي تبغي استخدام (الاميين) كخدم وعبيد لدى (الشعب) اليهودي.
- دعم التيار الفكري العروبي، وبناء ثقافة وطنية عروبية عامة ترفض العشائرية والمناطقية والمذهبية وتقسيمات القرية والمدنية والحضر والبدو والمهاجر والأصيل وتسقط المراهنات على فكر العمل أو الليكود في الصف الفلسطيني، وتسعى للقضاء على عقلية الافتتان بالعدو أو مضاهاته.

استنهاض حركة (فتح)

ان لفتح كإطار وكوادر ونظم وخطط وسلوكيات ومبادئ واهداف تمثل العوامل الداخلية في الحركة، لها بتغييرها أو تجديدها أو بعث الصالح منها اهمية تضاف لأهمية دعم عوامل التماسك في المجتمع الفلسطيني مما يزيل جبال اليأس

والاحباط أو القلق والتوتر أو عوامل الشيخوخة التي بـدأت تحيط بفكر واداء بعض القيادات التاريخية وتلك (المتنمرة) في الداخل ... وان كنـا نقترح من ملاحظات قد تتيح السبيل لبدائل الحلول فاننا نعلق على العودة لكتاب الأخ هاني الحسن المعنون (الخروج من مأزق أوسلو) والاستفادة منه أهمية كبيرة في عملية الاستنهاض التنظيمي وبعث حركة (فتح) ونحن نـرى المنطلقات تنبثق من المعطيات التالية:

- لا فعل وطني بدون خط سياسي واضح، وتعبئة فكرية موحدة واهداف واضحة، وهذا شأن قيادي مهما قيل عن دور الجماهير وفعلها، فان بلورة مثل هذا (الخط) هو منوط بإطار القيادة التي يجب ألا تتخلى عن دورها التاريخي، والأمانة الدينية والوطنية والإنسانية المعلقة في رقابها، بدعاوى الانشغال بالقضايا الحياتية أو السياسية العامة أو تأسيس البنية التحتية للوطن... الخ.
- وكما يقول علماء الإدارة فان النتائج الصحيحة تحتاج لمقدمات سليمة لذا فلا تحقيق للأهداف والغايات في وضع تفتقد فيه الخطة، وارادة الإنجاز، واحترام القوانين، واليات الجدية والمتابعة، والتي على صعوبة تحقيقها في ظل قتامة الوضع الفلسطيني، تحتاج للقتال من اجلها.
- أما فيما يتعلق بالوضع التنظيمي الداخلي في فلسطين فيجب إلغاء المسميات والأطر المخالفة للنظام من مثل لجنة الطوارئ واللجان الحركية العليا واللجان اللوائية... الخ، واستبدالها بما يتطابق مع النظام الأساسي لحركة (فتح)، فمكتب التعبئة والتنظيم هو المفوض حسب النظام الأساسي بمتابعة شؤون أقاليم فتح، من خلال كوادره المتفرغين والمنقطعين للعمل التنظيمي التنفيذي فقط. ولجان الساحات أو مسؤولي الساحات هم المخولين بمتابعة الأقاليم المتابعة اليومية والدورية.
- قيام قيادة التنظيم الحركي ممثلة باللجنة المركزية لحركة (فتح) وبمكتب التعبئة والتنظيم باعتماد خطة حركية لعقد المؤتمرات وبناء جسم التنظيم من

حيث الهيكلية، وتقسيم النشاطات والمهمات ضمن الهيكل، ودعم العمل الحركي، والالتزام المالي، والمتابعة اليومية، وتنشيط آلية التثقيف والجلسات والدورات... رغم علمي بصعوبة بل وبعدم رغبة أو استعداد أحد في الداخل لذلك – وان وجدوا فهم قلة – والكثرة لا تؤمن الا بديمقراطية الصندوق ضد مركزية الفكر والتوجيه والتدريب الا انه لا بديل عن عقلية (المؤسسة) وآلية العمل الديمقراطي المركزي وبروح الفريق.

- إعادة النظر في المؤتمرات التي عقدت في الوطن لمخالفتها الصريحة للنظام الأساسي، أو اعتمادها كمؤتمرات تأسيسية لا تشكل أي من القواعد التي استندت لها نظاما أو لوائحا أو سوابقا يعتد بها، على ان يتم وخلال فترة محددة (ولتكن سنتين مثلا) تأطير جميع الكادر الطليعي العامل ضمن الهيكل ونشاطاته الدورية ليصار لانتخابات في نهاية المدة المقررة تؤسس لبناء تنظيمي سليم تعتمد نتائجه للمؤتمر السادس لحركة (فتح).
- ان هذه النقطة تحتاج لتقديم، لانها تتعلق بشخص ليس شخصا عاديا وانما رجل فطنه ورجل مواقف، رجل من رموز التاريخ الفلسطيني الحديث، ومن قيادات العمل النضالي الفلسطيني المؤسسين، والذين بهم وبوجودهم بيننا وليس بغيرهم من الممكن إحداث التغيير، ان الرجال القيادة هم قدوة يظهرون في المواقف وبتفاعلهم معها بديمقراطية ومرونة متى ما اقتضى الأمر، وبحزم وعزم وتصلب في ان اخر، وعلى قدرات مثل هؤلاء القادة في معالجة الاشكالات والأزمات تلتف العناصر والكوادر الشريفة النظيفة، والتي لمثل هؤلاء القياديين ومنهم أخونا الكبير ابو ماهر غنيم يترك الزمام وتنمو الثقة بصحة الاتجاه، والمبادئ، واليات العمل.

تونس-غزة-رام الله ، في ١٩٩٨/١١/٢٢

حركة (فتح) من تيارات السلطة
إلى عصابات الزعران

التنظيم في المستقبل :

اتصل كل من الماضي والمستقبل والحاضر ببعضهما البعض واتفقوا على اللقاء وذلك في الحاضر، كان الحاضر متواجداً ولكن كل من الماضي والمستقبل تأخرا، ثم وصلا تباعاً لدى الحاضر فسأل الحاضر المستقبل: لماذا تأخرت عن الموعد؟ فقال: تذكرت أن جواز سفري قد انتهى منذ فترة طويلة فذهبت إلى المكتبة واستخرجت جواز سفر فصعق الماضي وقال: وهل أصبحتم تستخرجون جوازات السفر من الدكاكين .. فقال: له نعم. وإن كان استخدامه أصبح للتعريف وليس لطبع الفيز التي انتهى عهدها، ثم وجه الحاضر سؤاله إلى الماضي ولماذا تأخرت أنت. فقال له: كنت عند عدد من الشباب نتداول في شأن مشكلة كادر من التنظيم عاكس فتاة في الشارع، وكان الشباب في مكتب التنظيم يتجمهرون للدفاع عن عضو التنظيم ضد (السلطة) التي طلبته للمخفر .. وكان المستقبل ساهماً فيما يقول الماضي حتى ظن الماضي انه يستعجب من مناصرتهم لابن التنظيم وهو على خطأ كما همس الحاضر في أذن الماضي .. ولكن المستقبل قطع سكون الانتظار وسأل الماضي قائلاً: ما هو هذا (التنظيم) ؟؟ الذي تتحدث عنه؟ ولكي لا يصبح التنظيم مجهولاً أو نكرة وكي لا يغدو المستقبل متجاوزاً (للتنظيم) ولافظاً له وراغباً عن التعاطي مع عدم قدرته على التعبئة والتربية والتوجيه والتثقيف والبناء كان لزاماً علينا أن نسطر هذا البحث/ الدراسة

مفهوم التنظيم

للتنظيم (المنظمة) تعريفات عدة من زاوية النظر له (لها) فلو نظرنا من الزاوية الاجتماعية فإن التنظيم (مجموعة من البشر متضامنة لتحقيق أهداف معينة، وفق مسؤوليات وأدوار محددة) ومن زاوية الاتجاه السلوكي فهو (عبارة عن هيكل مركب من الاتصالات والعلاقات المرتبطة بسلوكيات معرّفة) ومن منظور الاتجاه العملي فهو (مؤسسة أو هيكل متعمد من الأدوار في إطار التنظيم الرسمي) وللأسف بعد أن أطلت التدقيق في تعريف التنظيم اكتشفت مدى جهلي الفاضح أنا الذي ما زال منذ أكثر من ١٢ عاماً يمارس التدريب والدورات التنظيمية ومكمن هذا الجهل هو اعتقادي السابق أن التنظيم يفترض به أن يضرب المثل الأعلى والقدوة للمجتمع من قِيَم الخير والمحبة والألفة والتسامح والتعاون .. الخ. ولكن هذه التعريفات وواقع الحال التنظيمي (المتعلق بدور التنظيمات السياسية في فلسطين) يناقض فهمي القاصر .

أن التنظيم بالتعريفات أعلاه قد ينطبق على أي مجموعة لها (هيكل) أو مجموعة (متضامنة) أو مجموعة بينها (علاقات محددة طويلة) وبالتالي فان شِلل الزعران التي لها استقرار نسبي زمناً وتواصلاً هي (تنظيم)، وكذلك الأمر مع عصابات الحرامية، سراق السيارات، وعصابات المخدرات، وعصابات المافيا المختلفة للبضائع ..

إن الواقع أيضاً في فلسطين يجعل من الأدوار التي بدأ (التنظيم) يقفز لشغلها _ هنا لا نتعامل مع التنظيم بالمطلق بل بالظاهر من انحرافات بعض قياداته _ تتفق مع أنه مجموعة متضامنة ذات علاقات واتصالات وتسعى لتحقيق أهداف خارجة عن إطار أهداف التنظيم المنصوص عليها في الأنظمة الداخلية أو قرارات الأطر. إنها أهداف غير مدونة أو مكتوبة ولكنها واضحة ومقروءة عبر الفعل اليومي .

لقد عملت حركة (فتح) على رسم تحديد أكبر لمفهوم التنظيم فوضعت شروطاً خمسة اعتبرت توفرها الأساس في إطلاق اسم (التنظيم) أو (المنظمة) على جماعة البشر وهذه الشروط الخمسة هي:

١. جماعة موحدة من البشر بشروط محددة .
٢. أهداف ومفاهيم مشتركة .
٣. تحكمهم قواعد متفق عليها . (نظام وقرارات) .
٤. عمل مشترك .
٥. هيكل تنظيمي .

وبهذا التعريف استطاعت (فتح) أن تبني مفهوماً متكاملاً للتنظيم فهو ليس فقط مجموعة متضامنة أو هيكل مركب من الاتصالات فقط أو مؤسسة من الأدوار فقط .. انه مجموع كل ذلك، بل وأكثر لأنه جماعة محددة بشروط، لاحظوا انه التعريف الوحيد مما سبق الذي يضع شروطاً لأعضاء جماعة التنظيم وكذلك الأمر مع التنظيمات السياسية الفلسطينية الأخرى فعلى سبيل المثال يقول النظام الأساسي لحركة (فتح) في المادة (٣٥) أن (من) شروط العضوية الأمور التالية :

أن يتمتع (العضو) بسمعة طيبة ووطنية صادقة .

أن يحترم الشعب وتقاليده الأصيلة، ويعمل على خدمة الجماهير، ويحافظ على مصالحها ويصونها .

أن يكون لديه لاستعداد الكافي للبذل والتضحية ونكران الذات .

لاحظوا أهمية السمعة الطيبة المسبقة لمن يقبل في التنظيم، أن حركة (فتح) تشترط القدوة، وتقبل النماذج المحتذاة، وتقبل ذوي الأخلاق العظيمة لأنهم هم فقط من يحترمون الشعب وتقاليده، وبالطبع قيمه وعاداته ويعملون خدماً لهذا الشعب لا متجبرين ولا متكبرين، لا يستقوون على الشعب أو حكومته باسم (التنظيم) بالمفهوم الناقص أو المنحرف للتنظيم .. أن ابن التنظيم بالأساس ومنذ البدء ذو سمعة طيبة وقدوة ومثالاً في السلوك والأخلاق وهكذا جعلت فتح من الشروط (السلوكية) أساساً وسابقة على الشروط الفكرية والعقلية المتمثلة باعتناق العضو

لفكر التنظيم المتمثل بالأهداف والمبادئ والأساليب والمفاهيم المشتركة (البند الثاني من الشروط الخمسة لمفهوم التنظيم) أن ابن التنظيم عضو ذو سمعة طيبة تخضع للاختبار (يجب أن تخضع حسب النظام الأساسي)

ويجب أن يتحلى بالقدرة على التواضع، لأنه خادم .. نعم وهل ترون في كلمة خادم مذلة، وانتم تخدمون أبناء وطنكم، أنه لو ساورتكم الوساوس حول حقارة كلمة خادم فأنتم لستم من حركة (فتح) ولا من الشعب الفلسطيني !! أن ابن التنظيم (نؤكد ثانية وثالثة .. .. ..) خادم بل وخادم أمين للشعب يحترمه ويحترم تقاليده ويحافظ على مصالحه ويصون أمن الجماهير (أي طمأنينتها وهدوءها واستقرار عيشها وليس القيام بدور الدولة في الحفاظ على الأمن، بل بالتعاون معها) وأن تكون خادما فانك كما يقول المفكر (تانر) (تدفع بدل الإيجار نظير امتياز العيش) الذي منحك إياه الله عز وجل .

إذن فالتنظيم جماعة موحدة بالشروط المذكورة السابقة وهي _ كما اتضح لنا _ شروط سلوكية قيمية اجتماعية، ولاحقاً عليها فان توفر الشروط الفكرية ممثلة بالإيمان والالتزام بأهداف ومفاهيم التنظيم هي التي تفترض _ معا _ الامتثال للقواعد المتفق عليها والمنصوص عليها في النظام الأساسي .. إذن فالتنظيم مدرسة تربوية، ومجال تعبوي، وفضاء تحريضي على خدمة الجماهير وهي ذاتها أهداف (المنظمة) .. أن التنظيم يقوم أفراده بعمل، بل يجب أن يقوموا بعمل، ليحقق الأهداف، انه لا تنظيم قائم أو يتواصل مع الخمول أو الكسل، والمظاهر أو الاستعراضات الكلامية الفارغة . أن التنظيم ككتلة هو عمل، أن التنظيم ذو الأخلاق وذو الفكر وذو القواعد هو تنظيم عمل لذلك فهو يقوم على عمل التالي كما يقول المفكر هاني الحسن (أن المهمة الأساسية للتنظيم الفتحوي هي نقل السياسة الموضوعة من قبل المؤسسات الفتحوية المختلفة إلى الجماهير أو إقناعها بأنها ستقود إلى إزالة الاحتلال، والى بناء مجتمع مدني تنعم في ظله بالحرية والديمقراطية والأمن والرخاء الاقتصادي واستنباط الدروس المستفادة من وضع تلك البرامج والسياسات موضع التنفيذ) لذلك فان من أهم واجبات التنظيم

الجماهيرية واجب (إعلام) و(تحريض) و(تعبئة) النـــاس بـــالأهداف والسياســـات الموضوعة عبر أطر ومؤسسات الحركة وبحسب التسلسل التنظيمي (أي أن كـــل ذلك يتم عبر الهيكل التنظيمي) .

إن التنظيم حاجة اجتماعية لا غنى عنها، لأن الناس تجتمع في الأصـــــل سعياً لإشباع حاجاتها الاجتماعية المتمثلة بالصداقة والحـــب والانتمـــاء والـــولاء والتواصل والثقافة والحوار والتعبير بعد أن تتخطى مرحلة توفير لقمـــــة العيـــش والشعور بالأمان والاطمئنان وهما من أبرز أهداف الدولة تجاه الشـــــعب لأن الله سبحانه وتعالى قد استخلف الإنسان في الأرض ليعمرها ويبنيها ويطورها وينميـــها ولأنه (أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) استحق العبـــــادة والطاعـــة، ولأنـــه استخلف الإنسان فلقد كرمه ومنحه بعض صلاحيات الذات الإلهيـــة فـــي الأرض والإنسان، والتي تطورت لتقوم بها الدولة ممثلة العقد الاجتماعي عـــبر توفيرهـــا سبل العيش والأمان مقابل الولاء والوطنية من أفراد المجتمع .

إذن فالتنظيم (جماعة من الأفراد، من البشر، موحدة بشـــروط محـــددة، لديها أهداف ومفاهيم ومبادئ وقيم مشتركة، وتحكمهم قواعد متفق عليها (نظـــــام أساسي) ويقوم أعضاء التنظيم بعمل مشترك من خلال نظام اتصالات فعال معـــبر عنه في الهيكل التنظيمي) هكذا قالت (فتح)، وهكذا قـــالت التنظيمـــات السياســـية الفلسطينية، إذن فالتنظيم حدث هام وليس عرضي في حيــــاة الفـــرد،إن التنظيـــم مدرسة وتربية وبناء ومصنع للرجال الأفذاذ، أن التنظيم ليست بطاقــــة عضويـــة مؤتمر رام الله والبيرة أو رفح أو خانيونس أو وسط الخليل والتي يبرزها البعـــض بمباهاة واستعراضية لا شأن لها بما نعتقده عن التنظيم .. أن مثل هـــذه البطاقـــة التي تفقد صلاحيتها في اليوم التالي للمؤتمر لا تعد أساسا صالحاً لتحديـــد الهويـــة كما لا تمثل الممارسات الانحرافية لبعض الكتل الفاسدة في الجسد الغض لتنظيـــم (فتح) أي صورة حقيقية لما يجب أن يكون عليه الدور الحقيقي له .

التنظيم مصنع الرجال

إن التنظيم حدث هام في حياة الفرد أو هكذا يجب أن يكون لان الانتماء للتنظيم السياسي هو انتماء لفكر وقيم تنبع من ذات شخصية الفرد، وتتطور هذه الأفكار والقيم في العضو المنتمي كلما تكرس انخراطه في أعمال ونشاطات التنظيم الذي تنبع أهميته كما نقتبس بتصرف من (د.عمر عقيلي ود. قيس المؤمن) في كتابهما (المنظمة ونظرية التنظيم) من أنه:

يمثل أحد عناصر التطوير والتحديث في المجتمع (ليس التخلف والتشبث بالموروث الاجتماعي المتهالك) .

انه مركز صنع اتجاهات الرأي وصنع القرار (ولكن ذلك مرهون بالأطر والالتزام والتسلسل وليس بالعشوائية واعتقاد الجميع أن لكل منهم حق صنع القرار ضاربا عرض الحائط بالأسس التي تحكم آلية صنع القرار) .

انه الوعاء الرئيسي للنشاطات الاجتماعية، وفيه وعبره يمكن تطوير العادات والاتجاهات والأفكار، والتأثير في السلطة والمجتمع (وهذه نقطة هامة قد نفرد لها بنداً)

كما أن المنظمة بشمولية التعريف تشكل واسطة ممارسة الأفراد لاعمالهم والتأثير في سلوكياتهم .

أن التنظيم مصنع القيم والأفكار الرجال والرأي العام، وليس مصنع العربدة والزعرنة والعصابات المتخصصة بإرهاب الناس أو التصادم المقصود مع الدولة أو مؤسسات المجتمع المدني .

التنظيم والسلطة

إن إشكالية العلاقة بين التنظيم والسلطة، إشكالية نابعة من نقص الوعي والإدراك، أو من الإغفال المتعمد لطبيعة العلاقة التكاملية ، أو هي اشكالية مفتعلة مقصودة في صراع مراكز القوى التي تستفيد من جهل أو طيبة أو ولاء أو تخلف أو خوف أو طمع أعضاء التنظيم .

إن السلطة هي قدرة على اكتساب القبول، وعليه فإن امتلاك التأثير في الآخرين هو قدرة أن لم ترتبط بقيم ودين وفكر تتحول إلى قدرة التحكم في عقول وأفعال الآخرين عبر استغلال حاجاتهم، وبما يضرهم ويفيد ذوي السلطان والجبروت، أن السلطة الشرعية تلزم الآخرين عبر مؤسساتها بالطاعة أو بالانضباط للقانون، وعليه فان لكل شخص في موقع ما في الدولة أو المجتمع أو التنظيم أو الأسرة (سلطة) يستخدمها ويؤثر بها على الآخرين، والتنظيم باعتباره سلطة ذات أهمية ومصنع الرجال وموقع صنع القرارات وتوجيه الرأي العام أصبح في المجتمعات شريك السلطة التنفيذية لأنه المدخل في المجتمعات الديمقراطية لفرز القيادات السياسية، ومن هنا ينبع اهتمامنا بضرورة كون التنظيم صاحب سلطة تملك القلوب بالمحبة وتقديم الخدمة للمجتمع وليس بالاستئثار والاستكبار ومناهضة مصالح المجتمع، أن التنظيم إما أن يكون عصابة مافيا وإما أن يكون تيار إصلاحي للمجتمع ومعبر الخدمات التي لا تنتهي للشعب، والسند والظهير للحكومة والدولة .

يقول (لينين) عن التنظيم الحزبي (أنه بدون برنامج لا يمكن للحزب أن يقوم باعتباره تنظيما سياسياً بالمحافظة على خطه العام في كل مرة يجد فيها ظروف غير متوقعة) ويقول المفكر (أيدموند بورك) نقلا عن كتاب الأحزاب السياسية لموريس دوفرجيه ص٢٨ يقول أن التنظيم (كحزب سياسي) يمثل مجموعة منظمة من الناس اجتمعت من أجل العمل المشترك لتحقيق مصلحة الوطن عن طريق تحقيق المبادئ التي يعتنقونها. وهذا تعريف قريب من تعريف فتح للتنظيم فتعانق المبادئ مع مصلحة الوطن والعمل المشترك هو بذاته ما عبرت عنه فتح بشروط العضوية والأهداف والعمل المشترك الذي صوّره (لينين) تحت عنوان البرنامج . وفي هذا أيضا تكمن أهمية التنظيم ولكن علاقته بالسلطة السياسية يقررها (ريمون آرون) حين يقول أن الحزب هو تنظيم دائم يضم مجموعة من الأفراد الذين يعملون معاً من اجل ممارسة السلطة سواء في ذلك العمل على تولي السلطة أو الاحتفاظ بها. ولم يرى كادر حزب أو تنظيم يتعمد أو

يعمل دون أن يدري على إضعاف سلطة حزبه كما تفعل عدد من كوادر حركة (فتح) تجاه سلطتها السياسية وفي فهم مقلوب لطبيعة العلاقة بين الحزب المتولي للسلطة أو الذي يرغب بالاحتفاظ بها كما يقول (آرون) أن هدف الحزب للوصول للسلطة هو ضم اكبر عدد مكن من المواطنين إلى صفوفه في أحد الدوائر الثلاث المعروفة دائرة الأصدقاء وهي الدائرة الأبعد أو دائرة الأنصار أو دائرة الأعضاء وهي الدائرة الأولى ولغرض تولي الحكم وتنفيذ مشروع الحزب أو التنظيم أو على الأقل التأثير على قرارات السلطة الحاكمة .. نقول مجدداً أن السلطة والتنظيم في علاقة تبادلية لان الحزب (التنظيم) يسعى للوصول في المجتمعات المستقرة للسلطة والحكم أو التأثير على من في السلطة ومن هنا تلعب التنظيمات السياسية دوراً أساسيا إما في خدمة (النظام السياسي/ السلطة الحاكمة) من خلال دعمها والتعاون معها، ودعم مطالبه عبر تقنين وإعادة بلورة المطالب الجماهيرية لجعلها مقبولة من قبل النظام/ السلطة . لذا فانه من غير المفهوم أن يتعارض أي حزب مع ذاته بمعنى أن يحكم ويتعارض في ممارساته مع سلطته أو حكومته خاصة في الجوهر .

أن المعارضة التنظيمية للسلطة الحاكمة تُكتِل الأحزاب والرأي العام ضد أهداف أو برامج أو مشاريع السلطة أو تعمل على إجهاض الانتصارات الحكومية عبر تأجيج نار المطالبات الشعبية، وإيصالها للحدود القصوى .. أن طبيعة فهم دور التنظيم في دعم مشروع أو برامج أو سياسات الحكم حين توليه لقيادة البلد شيء هام جدا ويساعد في تحديد أدوار المعارضة السياسية وبما يجعل في الوضع الفلسطيني من دعم السلطة الوطنية كمشروع دولة هدفاً لجميع التنظيمات . إن النقد الذي نمارسه أو تمارسه (فتح) هو في صالح المشروع الوطني، وفي صالح الدولة الفلسطينية، ولغرض أن تكون (فتح) ثوباً ناصعاً غير ملطخ، ووعاء تربية وفكر وقيم وتثقيف لرجال يجب أن يصنعوا المستقبل.

فلسطين هي الأصل في (فتح)

إن كلمة حركة فتح تبتدئ بحرف الفاء الذي يمثل اختصاراً مــن كلمــة فلسطين، وليس كذلك في فتح تجَمُع الأحرار من أجل فلسطين، لذلك فلســطين أولاً بمعنى إنها الهدف وان فتح الوسيلة ولم ولن تكون فتح أو أي تنظيــم أخــر هــو الغاية .. أن للتنظيم عامة سمات من الممكن أن نجملها بالتالي:

- أن التنظيم تشكيل اجتماعي لأنه يضم أفراداً بينهم تفاعل اجتمــاعي يــؤدي لتحقيق الأهداف الحياتية والاجتماعية والأدوار والحصول على التقدير ..
- أن التنظيم تكوين بشري فقط يختص بالبشر وهو مقصود التكويــن وليــس عشوائي لان له (قيم) وأهداف محددة كبرى وصغرى .
- أن التنظيم السياسي في المجتمعات الديمقراطيــة ضــروري لأنــه يحقــق متطلبات الجماهير ويشكل أحد أعمدة الحكم (السلطة السياسية) .
- أن التنظيم تشكيل تطويري بمعنى انه يساهم في بناء وتكــامل الشــخصية، ويساهم في الإبداع وتنمية القدرات والمواهب ومواكبة تطــورات العصــر قبــل القبيلة أو العشيرة أو الطائفة .
- انه أداة ووسيلة ومدخل لتحقيق الغايــات (الأهــداف الكــبرى) السياســية والمجتمعية والاقتصادية والتربوية والإنسانية وما ينبثق عنها من أهداف قصــيرة الأمد .. ومن هنا نعود لمفهوم الخدمة الذي سبق وأشرنا له لنقول أن فلسطين هي الأصل في فتح وفلسطين هي الأصل في الجبهة الشعبية، والجبهة العربية والجبهة الديمقراطية وفي حركة حماس .. الخ ، لأن التنظيم باعتباره أداة ووســيلة فانــه خادم بكوادره جميعا لأهدافه أهداف الشعب وما كان في يوم من الأيام أن يكــون المطلوب هو خدمة التنظيم عبر الأهداف أو على حسابها وعلى حساب متطلبــات المجتمع، وإنما أن يكون التنظيم مجمل التنظيمات بكافة أنواعها في المجتمــع أداة (وسيلة) وليست غاية لذا فان العمل لتحقيق الأهداف عبر هذه الأداة هو المطلوب

مسؤول تنظيم أم زعيم عصابة

أن يكون الإنسان زعيماً لعصابة في ظل مجتمع شبه مضطرب أو في ظل احتلال يدعم الاضطراب أو في ظل سلطة ناشئة أو في ظل صراع مراكز القوى فهذا شيء هين، لان التفاف أصدقاء السوء أو جماعات الزعران منطلقه مصلحي ضيق بحت ويغذيه الانعزال في بؤرة الذات وتفخيمها مقابل تحقير الآخرين واستتفاههم فتشكل كل شلة زعران من نفسها قوة لا تبالي بقيم وأهداف المجتمع وتقوم بفرض سلطتها قسراً وجبراً على أفراد المجتمع بالأسلوبين الشهيرين وهما الترغيب أو الترهيب ..

إذن من السهل على قائد أي من فروع التنظيم أن يتحول إلى زعيم عصابة أو شيخ منصر لان ذلك لا يحتاج منه لمواصفات قيادية صعبة بقدر ما يحتاج منه للقضاء على ما قد يكون لديه من ضمير وفكر وقيم فقط لا غير .أن النظريات التي تتعامل مع مفهوم القائد عديدة لن نتطرق لها هنا ولكننا سنحدد ملامحاً للحد الأدنى من المواصفات لمن يشغل موقعاً متقدماً قيادياً وخاصة في التنظيم وبالأخص في تنظيم فتح .. لماذا في أخص الخاص فتح؟؟ لأنها شئنا أم أبينا تقود السلطة حالياً ولا ندري إلى متى ؟؟ أن القائد يجب أن يكون:

١. شخصاً مسؤولاً في موقعه .
٢. قادر على تحمّل عبء المسؤولية .
٣. مؤهل نفسياً وعقلياً وعلمياً ومسلكياً .
٤. يمتلك قدرات وإمكانيات .
٥. عمله ذو غايات وأهداف .
٦. لديه استعداد وحافز، وقدرة على التأثير في الآخرين
٧. يحقق أقصى كفاءة في العمل .

ودون أن نعلق أو نرجعكم للاطلاع على النظريات العديدة في القيادة أو لأدبيات حركة فتح المسماة قواعد المسلكية الثورية في المجالات المختلفة، نطلب التفكر

في المواصفات البسيطة المذكورة ومحاولة مطابقتها على العديد من الكوادر الذين يضعون أنفسهم تحت أو فوق مسمى (قائد) .

تجاوزات التنظيم لماذا ؟؟؟

كيف تتحول مشكلة بين طفلين إلى معركة، ينشب فيها نساء العـائلتين أو العشيرتين أظفارهم في أجساد بعضهم البعض؟ وكيف تتحول ملاسنة في عـــرس بين شخصين إلى هجوم بالأسلحة من قبل التنظيم التابع له الشخص الأول علــــى عائلة الشخص الثاني ؟ وكيف يقوم عدد من أفراد التنظيم باختطاف فتاة والتحقيــق معها ؟ وكيف تتحول قضية التعدي بمتر أو أقل بين شقيقين على أرض لهم إلـــى حرب بين عائلتين وتنظيمين وبين السلطة بأحد أجهزتها وبين أحد الأطـــراف .. ولا ينقطع سيل التساؤلات .. فكيف يتحول انحراف سيارة باتجاه عدد من المشــاة إلى فرصة لإطلاق الإشاعات والاتهامات وتتطور لاشتباكات بالأيدي والســكاكين إلى استخدام سطوة التنظيم ضد الآخرين؟ وكيف تتطور مشكلة اقتحام لأحد مقــار التنظيم إلى المطالبة بإسقاط مسؤول جهاز أمني ومن قبل أطـــراف مناوئـــة فـــي الأجهزة ؟ وكيف يدخل التنظيم في حرب بيانات ضد طرف ما ؟!

ونستطيع ويستطيع غيرنا أن يعدد الكثير مـــن المشـــاكل أو الحـــوادث أو القضايا الصغيرة أو حتى التافهة والتي تحولت إلى استقواء أو استعراضات للقـــوة أو قطيعة أو حقد وتحريض متبادل وربما إلى معركة أو معارك بالســـلاح وفـــي عدد منها كانت صورة التنظيم تبدو باهتة وغير ناصعة لماذا ؟؟

يتغاضى الكثيرون عن إثـــارة موضـــوع تجـــاوزات أو انحرافـــات أو إشكالات التنظيم والمقصود هنا حركة فتح وذلك إما احتراماً وتقديراً لحركة فتـــح التاريخ والتجربة والثورة والرصاصة الأولى والحجر الأول والقيادات والكـــوادر الأفذاذ، واحترامـــا لأرواح آلاف الشـــهداء وآلاف الجرحـــى وآلاف المنـــاضلين الأشاوس من الأسرى والمعتقلين أكبر علامة مضيئة في سماء الوطن، ويتغـــاضى

آخرون رهبة من فتح باعتبارها تنظيم السلطة، وربما رغبة في استمرار الخطـــأ، وسعياً لتعاظم السلبيات لإثبات نظرياتهم الممجوجة في برجوازيـــة ودكتاتوريـــة وتسلط فتح أو تنفذها بحسب مصطلحات أحزاب اليسار، وأيضاً لتقرير أن الفســاد فيها متأصل وليس طارئ أو متعلق بمجموعات أو عصابـــات محـــدودة ولكنـــها بارزة، ويتغاضى البعض الآخر عن الخوض العلني في المفاسد رغبة في تراكمها انتظاراً لفرصة الانقضاض على الســـلطة بمشـــروعهم الاســـتبدادي والمنغلـــق والتراجعي ولا نريد التعرض لأولئك المشبوهين المتعاملين مـــع جـــهات غـــير فلسطينية والذين هم كُثر وبين ظهرانينا للأسف الذين تكاد أفواههم لا تقفـــل مـــن الضحك كلما طغى على السطح مشكلة هنا أو أخـــرى هنـــاك منســـوبة للســـلطة الوطنية الفلسطينية أو للكوادر (بعض الكوادر) من حركة فتـــح .. إننـــا لا نريـــد التغاضي عن إساءات أو مفاسد أو المشاكل المرتبطة بحركة فتح، ونتكلـــم مـــن عمق فتح وعمق الانتماء لفلسطين لنصور الأسباب والظواهر وربما المعالجـــات في التالي :

١. فجوة الانتقال من الثورة إلى الدولة .

لا ينكر ذو نظر أن القفز من مرحلة الثورة إلى مرحلة الدولـــة والبنـــاء هي قفزة كبيرة، قد لا يستطيع البعض أن يقوم بها فمنهم من يظـــل واقفـــاً علـــى الضفة الأولى (الثورة) ولا يستطيع التقدم للقفز فيقيس الأشـــياء بمنطـــق الثـــورة والعنف والأوامر الصارمة ضارباً بعرض الحائط حقيقة أن الدولـــة الحديثـــة أو المجتمع المدني يبني على مؤسسات وأجهزة، فيعيش تناقضه ويمارس فكرة بقيـــم الماضي ولا يستطيع إلا أن يعكس أسلوبه على عمله وإدارته والموظفيـــن تحـــت أمرته، ومنهم من يحاول القفز فيقع في وادٍ سحيق منه (أو فيه) يتخلى عـــن كـــل القيم والمثل والأفكار المقتبسة من عهد الثورة ويستبدلها بأخرى بعيدة كل البعـــد عن قيم الحاضر المُعاش ... إنها قيم المغالاة في الانفتاح مقابل قيم المغـــالاة فـــي

الانغلاق ، ولا نجد إلا القلة القليلة ممن استطاعوا القفز متغلبين على فجوة النقلة السريعة .

ومن جهة أخرى فلقد انتهى عصر الشعارات عامة ومنها الجوفاء أو الشعارات الكبيرة التي لا تعني شيئاً الآن إلا جزالة اللفظ وقوة الوقع في الأذن من مثل الوحدة العربية طريق الوحدة أو الثأر والنار والحديد أو أن (فلسطين مشكلة الأمة العربية الأساسية والرئيسية ولا حل لمشاكل الأمة العربية إلا إذا حلت مشكلة فلسطين) كما ذكر أحد القادة الشهداء صادقاً (الوثائق الفلسطينية عام ١٩٦٩ ص٤٩٥) والذي ما زال يعيش من يردده خالياً في العقلية الماضوية والفكر الماضوي لا يستطيع أن يطور ويبدع ويتعامل مع المستجدات المنبثقة من واقع ضرورة بناء الدولة .. أن لكل واقع قوانينه ، ولكل موقف تجلياته ، ولكل مرحلة طرق فهمها والتعامل معها .

٢. تبادل السيوف بين التنظيم والعشيرة

لقد قررت فتح أن الانتماء لها يعني خلع رداء الحزبية وتجرد من قيم العهود البائدة، والابتعاد عن كل ما يثير العصبية والانغلاق فاستطاعت أن تستوعب في أطرها الوطنية الفضفاضة الشيوعيين السابقين والبعثيين السابقين والإخوان المسلمين السابقين والتحريريين السابقين، وبهم استوعبت أعداد مختلفة من عائلات وعشائر فلسطين، ومهما قيل عن صراعات عانت منها الحركة ذات طبيعة (فكرية) والتي كان أبرزها انشقاق ١٩٨٣، وأخرى ذات طبيعة عشائرية وجهوية من مثل انتشار (نعرة) نابلسي وخليلي أو لاجئ (مهاجر) وابن مدينة، أو غزاوي وضفاوي إلا أن هذه النعرات رغم إقرارنا بوجود من كان يثيرها كانت مستوعبة في حركة فتح ولا تشكل تهديداً للتنظيم أو للانتماء لفلسطين ولكن الحال الآن غير الحال بالأمس لقد برزت مجدداً رؤوس التعصب، وخرج الجني من القمقم فأصبحت العشائر والعائلات مستوعِبة (هي التي تستوعب) لحركة فتح، لقد تنامى وتعاظم الانتماء للأسرة والعشيرة والقبيلة على حساب الانتماء الأصل

للتنظيم وللفكر ولفلسطين، وساهم ضعف المعالجة، وسوء الإدارة وتراخي القيادة، وأسلوب المسايرة وضعف القيم في تقوية هذا الجنّي وتمدده ..

إننا لسنا ضد العائلات والعشائر والقبائل بل إننا نحترم ونرى ضـــرورة احترام جميع الأنساب، خاصة والعرب لهم علم محترم في هذا المجال، وإنما مـــا يريده جنّي القمقم هو استخدام العشائرية والعائلية والقبلية فـــي تفتيـــت المجتمـــع وتقسيمه إلى وحدات متناثرة، كلنا يعلم من المستفيد الأول في هذا الوضـــع ! أن القبائل والعشائر (البدوية) هي حامية قيم الأصالة والرصانة والعروبـــة والكـــرم والمحبة والتسامح والنجدة والشهامة والتآلف والتقارب والوحدة .. ومن يستخدمها في عكس ذلك كما هو حاصل حالياً فإنما يدعو لجاهلية نهى عنها الدين الإســلامي الحنيف، ولم تسعى لها المسيحية وما إرادتها تنظيمات اليسار أو حركة فتح .

إن تبادل السيوف بين رجال العشائر (بالعقلية السلبية) وبين رجال الفتــح (بعقلية العشيرة) عملية غير مربحة لا لكوادر التنظيم ولا لعشائر فلســـطين، لان التنظيم تهذيب للخلق، وتطوير للفكر، وتمدين لبداوة الطبـــع، وجلافـــة الســـوية، وانطلاق بالفكر والقيم والمجتمـــع إلـــى رحابـــة الاتصـــالات السلســـلة المرنـــة الديمقراطية، فهل ندخل في حضارة القرن الواحد والعشرين أم يصدق فينا كعـــرب قول ابن خلدون في مقدمته من أن العربان (لخلق التوحش الذي فيهم اصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض) ؟! .

٣. التأثر السلبي بالمجتمع الإسرائيلي :

إن التأثر والتأثير في المجتمعات حقيقة اجتماعية لا يمكـــن إغفالـــها،بـــل يجـــب رصدها وتحليلها والاستفادة منها، فالتواصل بيـــن المجتمعـــات والتقـــارب بيـــن الحضارات هو مما يُحض عليه، وما وجود لجان للعلاقات الخارجية فـــي كافـــة التنظيمات وفي حركة فتح إلا "ضمن أهداف أخرى" لخلق تفـــاعل إيجـــابي مـــع الثقافات والأفكار والحضارات الأخرى .

ونحن في فلسطين شئنا أم أبينا نجاور أشقاء ونجاور أعداء نحن معهم على طريق التسوية والسلام، ويتعامل شعبنا معهم عبر التجارة والسياحة والاقتصاد، عبر آلاف العمال وعبر التجار، وعبر السياسيين .. الخ، وكانوا (وما زالوا في أجزاء من بلادنا) محتلين غاصبين فرضوا علينا قيم واتجاهات لا تتفق مع قيمنا واتجاهاتنا العربية الأصيلة. إنها تؤثر وما زالت في المجتمع وفي التنظيم .. كيف تتصورون الحال بشاب غرّ تسرب من المدرسة وذهب للعمل في إسرائيل وهو في حياته لم يخرج من قريته ويرى أمامه أدوات التكنولوجيا المتقدمة والمستخدمة في مصانع ومؤسسات الآخر وبين أيدي نساء كاسيات عاريات غانيات؟! وكيف تتصورون شاباً يافعاً يعيل أسرة كبيرة العدد يضطر للتعامل مع الضابط الإسرائيلي لاستخراج البطاقة الممغنطة ؟! .. الخ من الأسئلة التي تعني من كل هذه الاحتكاكات اكتساب عادات وقيم غريبة سلبية على المجتمع يجب أن ترصد وتحارب، وتطور تلك الإيجابية منها أن وجدت .

٤. الجهاز أولاً أم التنظيم أولاً ؟؟

إن الأمن ليس اعتقال وتحقيق واقتحام، انظروا حدة هذه الكلمات باللغة العربية! أن الأمن إكساب الجمهور شعوراً بالطمأنينة والاستقرار من خلال تأمين معاش الناس وحياتهم ثم انطلاقهم للعمل والإبداع بالتالي تأتي عمليات التعاطي مع المشبوهين وان كثروا في المجتمع لاحقة لتوفير الأمان والاطمئنان والذي هو بالأساس مهمة أجهزة السلطة السيادية، و لا ننكر أن كافة طوائف ومؤسسات المجتمع معنية بإشاعة جو الأمن والطمأنينة (ليس باستخدام القوة التي هي من حق الأجهزة الأمنية فقط وفي حدود القانون) وإنما بمعرفة الحقوق والواجبات وامتثال الجميع للقانون .. وهنا يحدث تصادم الفهم لدى ابن التنظيم في فتح وغيرها، فهل هو منتمي أولاً للجهاز أم لحركة فتح وان استطاع حسم هذه العلاقة بان يعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فانه يقع في محيط معادلة تفرض عليه

الحسم بأحد الاتجاهين وذلك من قبل مسئوله في الجهاز أو مسئوله في التنظيم، وخاصة متى ما وقعت مشكلة من أو مع أحد كوادر التنظيم أو أحد كوادر الأمن، أو أحدهم والذي يحمل الصفتين، أن القانون هو الفصل دوماً، والتنظيم ليس جهازاً أمنياً ولا جهاز الأمن يقرر عضوية (فتح) .

إن أجهزة ومؤسسات السلطة قد استوعبت عديد الكوادر من فتح وغيرها ولكن لفتح الأكثرية في عديد المواقع وبالتالي فان التساند بين دور الجهاز ودور التنظيم وخاصة لدى كوادر حركة فتح يصبح مهمة مركزية توضع على جدول أعمال كل اجتماع تنظيمي من الخلية حتى الإقليم _ مع شكي الذي قد يصل للجزم بعدم وجود مثل هذه الأطر وهذه الاجتماعات إلا في مستوى المنطقة أو الإقليم وأحياناً فيما ندر _ ولكن الحاصل هو العكس أن فتح تعادي فتح، أن فتح تضعف فتح، أن فتح بإشكالياتها وبتداخلاتها مع الأجهزة تضعف الكوادر وتصنع منهم عجزة مهزولين خائفين من الأجهزة، وفتح متى ما امتلكت _ ممثلة ببعض المناطق _ القدرة على التصادم استغلت هذه القدرة المستمدة من عصابات الزعران أو زمر الأجهزة لا ضعاف ذاتها ممثلة بفتح في الجهاز الآخر أو فتح في الإطار التنظيم الآخر .. لذلك فلا غرابة أن نرى فتح تنمو بشكل عقلاني وبتطور رائع في بعض الجامعات ولكنها تسقط في الانتخابات؟! أن فتح بمفاسد البعض فيها وتعدّيها على صلاحيات السلطة تضعف نفسها وتضعف السلطة، والأجهزة بتدخلها في جسد التنظيم، وتنصيب نفسها حاكمة أمرة تخوض حرباً ضد بعضها البعض (فتح ضد فتح) لتكسب تيارات الرفض والمعارضة في ظل الغضب المتعاظم لدى الشارع الذي يمثل الأغلبية الصامتة فمتى ستثور؟!

٥. تراكم الأحقاد أم غياب التسامح ؟!

يقول العهد القديم سفر اللاويين (١٨/١٩) (لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك) ويقول المسيح عليه السلام في متى (٥/٤٣-٤٤) (أحبوا أعداءكم، باركوا لأعينكم، أحسنوا إلى مبغضيكم) ويقول الله عز وجل في كتابه الكريم (فتلقى آدم

من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) البقرة٣٧، ويقول (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) البقرة ٤٥ ويقول (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) البقرة ٦٠ ويقول (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره أن الله على كل شيء قدير) البقرة ١٠٩، ويقول (إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) البقرة ١٦٠ وكل هذه الآيات من جزء يسير من سورة البقرة ولا أريد أن استرسل في آيات القرآن العظيم التي تنفر من الحقد والبغضاء وتحبب للناس الصفح والتوبة والمغفرة والرحمة .. الخ، أن هذا هو مجتمعنا العربي الفلسطيني مجتمعنا المسلم المؤاخي للمسيحي في وحدة وطنية مثالية على مر الدهر، وليس هذا موضوعنا هنا، فهذه الوحدة وبرغم محاولات المس بها لم ولن تنجح، ولكن الحقد في مجتمعنا وفي التنظيم أصبح واضحاً نافراً ومنفراً .. مشكلة صغيرة وربما تافهة تتحول وخاصة بين أوساط الشباب ومنهم عصابات الزعران إلى عامل تحريضي سلبي يراكم الأحقاد، ويحفر في القديم، ويعيد بعثه قيئاً أسوداً يلقيه في وجه التسامح وكل ذلك _ من البعض بالطبع _ باسم التنظيم .. يا سلام !!

وهل التنظيم أصبح مطية أي حماراً بالعامية يركبها من يشاء ويوجهه بحسب أحقاده؟ هل التنظيم أصبح لجاماً (رسناً) منفلت يقوده الأكثر (صرعه) وليس (حلماً)؟ .. وهل تبادل العقل موقعه مع التهور فأصبح الثاني يتحكم في أعضاء التنظيم، أو لنقل في البارزين من أعضاء التنظيم، وهل أصبح الضرب بعرض الحائط بكل القيم التي تحض على التسامح وتناسي الإساءة والصفح والرحمة دلالة على القوة والنفوذ والتي أصبحت تستغل لإعادة ترتيب الكراسي والمواقع .. أن غياب قيم التسامح واستبدالها بتجبيل (من الجبل) الأحقاد مأساة طالت الشارع الفلسطيني بعائلاته وعشائره وكذلك الأمر مع كوادر التنظيم .. أن صراع مراكز القوى أصبح صراعاً غير أخلاقي يستخدم كل (القيم) وبكافة الأشكال لتحقيق مصلحة أنانية فردية ذاتية، ولقد تحول الدين عند هؤلاء إلى

طقوس يومية غير مؤثرة بل وعادة لا تعني نهياً عن منكر أو رفضاً لفحشاء .. وكذلك الأمر في استغلال العادات العشائرية الإيجابية والمتسامحة .

٦. القائد الهركول والكادر المظلوم

نعم الهركول ولا تستغربوا فان العرب يطلقون ضمن ما يطلقون من صفات على المرأة تسمية الهركولة ليعنوا بها المرأة عظيمة العجيزة والأوراك وقد يسمونها عجزاء ستهاء ذلخاء أيضاً (والذلخاء ذات العجيزة السابغة أو الآليتين الكبيرتين) وما يهمنا هنا هو الهركلة (مصدر) لنعني بها تضخم الذات العاجزة، أو تضخم الأنا لدى بعض (القيادات) التنظيمية، إنها تلك التي لا ترى في المرآة إلا ذاتها ولا ترى إلى جانبها أو أمامها أحداً وتعتقد أن المسافة طويلة، والخندق عميق لمن سيستطيل ليصل مقدار فهمها وعلمها وفكرها !!! انه قائد (ذلخ الفكر، هركول الأنا) متضخم الذات بحيث انك من الممكن أن تحس به في كل صباح يرقص طرباً على أنغام صوت نجوى كرم وهو يقول لنفسه (والله وبقيت قائد !!)

إن كوادر التنظيم مظلومون بمثل هذا الرجل (القائد) في موقعه ولكنهم قد لا يرون غيره ولأنه لا يهتم لا بتثقيف أو تربية أو توعية الأعضاء يطلب منهم الانصياع الأعمى وهم في حال التدني الثقافي يرونه بهركولته قدوة ومثالاً حتى لو حمل الكرسي الذي وصله معه إلى البيت وعاد به صباحاً لأقروه على ذلك !! .. إن بعض القيادات (ونستخدم هذا المصطلح في مجمل الدراسة تجاوزاً لأن لنا بها رأياً قد نفرد له دراسة مستقلة) تصطنع هوة مع الكوادر، مع الأعضاء فيزداد إحساس الأعضاء بالغيظ والظلم والغبن لا سيما والقائد الذلخ قد تقدم في مواقع على أكتافهم وحاز على فرص ومواقع لا يستحقها على أعناقهم بل وعلى صدورهم وبطونهم .. فأين المفر وكيف السبيل ؟ .

٧. نفوذ الاحتلال في التنظيم إلى متى ؟

لقد مللنا من كثرة ما ردّد عن أن كل المصائب والرزايا التي يعيشها مجتمعنا، ومنظماتنا مردها للاحتلال، حتى أصبحت المقولة لازمة يستخدمها الصادق والكاذب، الباحث والسياسي والعامي والمأجور، بحيث أن ترددادها والتوقف عندها كسبب للإشكاليات ومظاهر التسيب أصبح ينظر إليه بمنطق البحث عن مشجب .. ولكن لا ! أن للاحتلال نفوذاً شئنا أم رفضنا في أجهزتنا في مؤسساتنا وفي منظماتنا سواء في فتح أو الشعبية أو حماس أو العربية .. الخ، ومنهم من نعلم عنهم ونصمت، ومنهم من لا نعلمهم وفي جميع الأحوال فإننا لا نتعاطى مع هذه الموضوعة في التنظيم بمنطق التآمر أو العمالة أو الجوسسة والتي تترصد لها الأجهزة الأمنية وبحسب الاتفاقيات المعقودة .. وإنما نتعاطى مع النفوذ الإسرائيلي بمنطق العقلية الحاكمة أن النفوذ بحسب ما يعرفه المفكرون (القدرة على التعامل مع السلوك البشري وتوجيهه من خلال الإقناع والترغيب والإيحاء والعواطف والتهديد ..) وفي هذا التعريف لا بد ومن مجمل ما نرى هناك نفوذ مباشر يأتمر أو غير مباشر (يؤدي بالضرورة لتحقيق أهداف الاحتلال دون اتصال معه) يؤثر على عديد الأعضاء المتجمعين زمراً في عصابات الزعران المتناثرة في جسم التنظيم هنا وهناك .

إن نفوذ الاحتلال قد يعني وجود الطابور الخامس في جسد المجتمع والتنظيم وقد يأخذ إشكالاً عصيّة على الفهم من مثل حدوث مشاكل أو اضطرابات أو ظواهر أو حوادث تتفاقم شيئاً فشيئاً ولكنها ليست ذات سبب واضح، أو أنها حدثت لسبب تافه أو مضحك .. مما يستدعي الحكماء للتفكير أن النار لا تزداد اضطراماً دونما إشعال متكرر، وتجمير مقصود من فئة أو عصابات الزعران، وقد يأخذ شكل الاستنكاف عن تقديم النصيحة، أو إظهار كرم الأخلاق، وسماحة الصدر بل وعلى العكس فان هذا والذي هو مدخل التشدد والتطرف في الحق ظاهراً هو أساس الزعزعة لأركان المجتمع، والخلخلة لأساس التنظيم (بعض كوادره) للانجراف في تياره .

٨. تحالف مراكز القوى (أمراء الحرب أمراء السلم)

هل من المعقول أن يقوم كادر التنظيم بالدفاع عن الفساد؟ وأصل نشوء التنظيم لمقاومة الفساد _ بالقانون طبعاً _ وهل من المعقول أن يدافع التنظيم عن تحالف المافيات المحلية وزمر الأجهزة الفاسدة (الزمر هي الفاسدة وليس الأجهزة) وعصابات الزعران في التنظيم ؟ نعم معقول !! .. لان لبعض القيادات التنظيمية التي وصلت لمواقعها مصالحاً لا يمكن أن تتخلى عنها ولو داست على كل القيم والأفكار والانتماءات، وحتى لو وصل بها الأمر إلى بث الإشاعات والتخريب وقتل المعارضين لمصالحها .. لماذا؟؟ لان (قانون الغاب) عندما يحكم فلا يقف أمامه أي حاجز أو مانع لا ديني ولا أخلاقي ولا وطني .. أن المافيات وعصابات الزعران (أمراء الحرب أمراء السلم) لا تسعى إلا لإرواء ظمئها للمال، وشهوتها للسلطان والجبروت وهي في سعيها المحموم هذا قد تستغل التنظيم وتحمل في جعبتها ظلم الأفراد أو سعيهم للظهور وحبهم للعمل واندفاعهم ضد الفساد، فيصبح الفاسد من المافيا مدافعاً عن المظلومين وضد الفساد ؟!

إن أمراء الحرب، أمراء السلام منحرفون فكرياً أو نفسياً أو سلوكياً وفي هذا المدخل الأساسي للفساد في التنظيم والمجتمع متى ما كانوا من عناصره، وهم بذلك يقومون بالهدم حيث يهدم المنحرف أولاً أمنه الذاتي ثم يبدأ بعملية هدم اجتماعي للآخرين خاصة إذا تخاذلت السلطة عن معاقبته أو تواطأت (أو تواطأ التنظيم) للتغطية عليه، فتنم وبيئة التسيب المعياري وهي السمة السائدة في مجتمع ينعدم فيه الأمن أو يضعف ويختل .

إن المفكر (مرتون) يرى من زاوية تطرقه للسلوك المنحرف بشكل بنائي في المجتمع أن هذا السلوك إما أن يكون سلوكاً منشقاً أو سلوكاً ضالاً والأول يفصح عن موقفه ويجاهر به والثاني يقر بمشروعية المعايير التي ينحرف عنها أن الأول معارضة والثاني لص .. ونحن مع المعارضة الشرعية ولسنا مع اللصوص أمراء السلم وخاصة من خلال عصابات الزعران التي (تخردق) جسم

السلطة وتنظيم فتح وتحاول فرض سلطة غوغائية تجبّرية على الشعب في ظــل وجود المؤسسات التشريعية والتنفيذية والقضائية _ رغم كل ما نـأخذه وغيرنا عليها من ضعف أو عجز أو بطء في الإجراءات _ لان فتح تملك سلطة العقـول والقلوب وهي بذلك قادت الشعب الفلسطيني ولا تملك سلطة التجبّر والقهر، كمـا أنها (يجب إلا) تنازع أجهزة الدولة سلطتها .. ومتى ما كان للمفسدة منـها مـن ضرورة التحرك لإزالتها فيجب اللجوء للأطر الرسـمية التنظيميـة ولمؤسسـات المجتمع المدني التي ما زالت في طور البناء وتحتاج منا جميعاً للدعم والتصليب.

لقد استطاعت مافيات المجتمع الفلسطيني أن تـهضم الديـن والعشـيرة والتنظيم في استغلال مبرمج لها، وأصبحت هـذه المافيـات المتحالفـة تتعـامل كالساحر الذي يخرج من معطفه حمامة من هنا وبيضة من هناك وقطعة نقـود .. الخ، تستغل الدين (المستوعَب) وتستغل العشيرة المستوعبة والتنظيم المسـتوعب كل بحسب درجة الاستفادة منه لتصبح المعادلة الرياضية مشكلة كالتالي: المافيـا تستوعب العشيرة والعشيرة تستوعب فتح، والمافيا تستوعب ثلاثية العشيرة والدين والتنظيم معاً، وتستغلها في ألعاب سحرية تحافظ علـى تربعـها علـى العـرش الثلاثي.

لذلك لا تستغربوا أن تروا شيخاً تقياً (هكذا قد توصفونه) يجلس في آخـو الليل يحتسي كؤوساً من (البلاك ليبل) و(الشيفاز ريغـال) و(الفودكـا) وأنـواع المسكّرات الأخرى،يطلق لحية بلقاء ويتضاحك مع فتاة دلصاء(ناعمة) عيطمـوس (جميلة طويلة) سنيعة (لينة المفاصل) طرطبة (ذات أثداء ضخمة) عطبول (فتيّـة) ركراكة (عظيمة الفخذين) عبهرة (نزقة من غير عفة) طروب ناعمـة المحـاجر هيفاء ناهد خرعوبة (متثنية). فهذا زمن الزعرنة والمافيـات وزمـر التخريـب والفساد .

## ٩.	دور الشبيبة في حركة فتح

إن حركة فتح في كل موقع أو منطقة وفي كل إقليم تبحث، وتجد السعي للبحث عن دور، عن عمل، عن برنامج، عن خطة عمل وهذا شئ حسن، وسعي محمود .. ولكن افتقاد الدور أو قلة معرفته لا يعني الانقضاض على أدوار الآخرين والتمتع أي التلذذ بالقيام به _ ونقصد تحديداً القيام بالدور الأمني _ كما لا يعني القيام بدور المشرع أو القانون وإنما يجب أن ينضبط برنامج العمل لمهمات لجنة الإقليم والمنصوص عليها في النظام الأساسي والتي يعالجها الأخ عثمان أبو غربية بتوسع شديد في كتابه النفيس (المكون من ٥٢٧ صفحة) والمعنون (مفاهيم وآليات في العمل التنظيمي) والذي من المفترض أن يحول إلى مقرر ومنهج للتربية الفكرية والمسلكية الفتحوية فلا يهيم الفتحويون على وجوههم في صحراء المستقبل يبحثون عما يجب أن يفعلوه .

قلنا في العنوان دور الشبيبة (ونقصد هنا قطاع الشباب عنوان الحركة والعنفوان ومعقل الإبداع والنشاط ومعين الانطلاق الذي لا ينضب وليس منظمة الشبيبة الفتحوية أو غيرها مما قد نفرد له بحثاً آخر لاحقاً) وللشبيبة العربية والفلسطينية عموماً بعض الملامح الخطيرة التي رصدها د. فاخر عاقل في كتابه أصول علم النفس وتطبيقاته الصادر عن دار العلم للملايين عام ١٩٩٥ حيث يقرر في الصفحات ١٠٥-١٢٢ عن الشباب توصيفه بما يلي:

أ.	القلق: فالشباب العربي لا يتمتع بالراحة الفكرية والطمأنينة النفسية التي يتمتع بها غيره من شباب العالم ويرجع د. فاخر السبب إلى الفارق بين الواقع والطموح والى اضطراب المجتمع ككل وللتقدم الحضاري البطيء .

ب.	الفردية: فالشباب أناني لا يعرف التعاون ولا يؤمن بالغيرية .(والتنظيم هو تجمع من يسعى للتعاون والعمل بروح الفريق) .

ت. سوء فهم الحرية: والتي تصل لحد الفوضى والتمادي الذي يصل حد الخروج على الأدب أحياناً .. وكل ذلك يجر إلى اللامبالاة وفقدان الهيبة (وهي في التنظيم وباء عضال يجب علاجه) .

ث. الجوع الجنسي: حيث أن شبابنا _ والحديث ما زال للدكتور فاخر _ يعطون هذا الميل من وقتهم وتفكيرهم واهتمامهم أكثر مما يعطيه شباب العالم الآخرون، فانهم يواربون ويموهون ويعبرون عنه أحياناً بشكل لا يرضي اللياقة والكياسة (وكل ذلك برأينا يحتاج لتربية في الأسرة والمدرسة، وتهذيب من قبل التنظيم)

ج. حب المظاهر: والذي هو دليل على الالتهاء بالقشور عن اللباب والانصراف عن الجوهر إلى المظهر .

ح. الكلام الضخم الفارغ: وهو دلالة على فراغ العقل وعدم القدرة على التعبير، والنفاق والكذب أحياناً. لقد أشار الدكتور إلى بعض الملامح في شخصية الشباب العربي (ومنه الفلسطيني بالطبع) والتي يجب أن يكون للمنظمات عموماً عبر الفكر والقيم والبرامج انتهاج شتى السبل لتهذيب وتطوير وبناء هذه الشخصية .

١٠. ما بني على باطل فهو باطل

إن استشراء الجهل والذي يعمقه إيمان العديد من فئات المجتمع المنعكسة في التنظيم إيمانهم بالأوهام وبالقديم وبمفاهيم الكرامات والتلقين والخرافات والتطير والسحر وهي مرحلة في الحياة الثقافية كما يقول د. زكي نجيب محمود (تعالج الأمور بغير أسبابها الطبيعية) لذلك فان العلة والمعلول في التعاطي مع المسائل الاجتماعية والتنظيمية تأسيسا على الثقافة المرتبطة بالوهم هي خاطئة بالضرورة وتعمق الجهل وتدلل على تناقض الوعي المرتبط بالعلم لا يقبل إلا الأسباب المحسوسة .

إن الطيور الخضر لا تخرج من العدم لتظلل الرؤوس في حر الـــهجير، ولا قوة سحرية لكلمات تكتب أو تقال فإذا العليل صحيح معافى، وإذا الرزق كثير والخير وفير والتنظيم غير عليل، ولا قدرة لأحد أن يأتي لك بالفاكهة مـن هـواء الغرفة إلا في حال انتشار الجهل وتناقص الوعي والذي كله باطل ينتج باطلاً .

أن الدولة معنية بالتوجيه والتربية والتثقيف من خلال التوجيه السياســي والثقافة السياسية والتي تعنى كما يقول المفكران الفرنســيان (شــتاين وســدني): (التلقين الرسمي وغير الرسمي المخطــط وغــير المخطــط للمعــارف والقيــم والسلوكيات وخصائص الشخصية ذات الدلالة السياسية وذلك في كل مرحلة مــن مراحل الحياة عن طريق المؤسسات المختلفة في المجتمـــع) . إن عمليـــة بنـــاء الأفراد أخلاقياً وسلوكياً واجتماعيا ونفسياً وفكرياً هي مهمـــة مؤسســـات الدولـــة والأسرة، وللتنظيم في ذلك نصيب وفي حركة فتح نصيب كبير عبرت عنه فـــي مختلف الأدبيات بما أسمته قواعد المسلكية الثوريـــة وبنـــاء شـــخصية الكـــادر، وللندوات والدورات والدراسات وورشات العمل أهمية قصوى في تنمية جوانـــب الشخصية التنظيمية المختلفة .

١١. كيف الحال ولا محاسبة ولا متابعة ولا قانون !

يقول الشيخ ياسين الشريف سفيرنا في قطر في مقابلة له انـــه تشـــكلت محكمة الثورة في الأردن إبان الشموخ الثوري هناك حتى بداية السبعينات لتحـــاكم أخا من فتح قام بتسليف مبلغ ١٥٠٠$ لأحد أفراد الشعب فحكمت عليه وعاقبتـــه رغم وجود الإيصالات والإثباتات من الشخص المستلف بأنه سيعيد المبلغ علـــى دفعات .. لأنه خرج عن حدود وظيفته ومهمته .. أراكم تضحكون عالياً !! ولكـــم الحق في ذلك .. فاليوم كثيراً ما نسمع عن سرقات وإتـــاوات واختلاســـات هنـــا وهناك من المسؤول الفلاني أو العلاني أو الفلنتاني أو الدربكاني ولا حســـيب ولا رقيب .. فهل نلوم التنظيم عندما ينفجر غاضباً، ويحرك الشـــارع علـــى اتســـاع غضبه ربما تقولون لا لوم ولا عتاب ولكن القياس لا يكون علـــى الخطـــأ .. أن

الحرامية والسرّاق منتشرون في كل المجتمعات، ووجودهم لا يعني أن نقلدهم أو نقتدي بهم لان المثُل هي الأثبت والحق هو الأدوم ولا يجوز للتنظيم حارس الثورة، وحارس الدولة، وخادم الشعب أن يضع من أمثال هؤلاء نماذجاً أو مثلاً قابلة للاقتداء .. لقد حطم الإسلام هبَل وعزى ومناة وأصنام أخرى .. وهؤلاء الأصنام سيتحطمون مهما كانت فضائحهم تصب في خانة أضعاف فتح وأضعاف السلطة لان منهم وللأسف كوادر وقيادات من فتح انحرفت مالياً وسلوكياً وأخلاقياً .. أن على التنظيم أخذ العبرة والعظة وعلى التنظيم خلق سياج من الأخلاق وحصن منيع من المبادئ ولكن كل هذا لا يعني أن نقف متفرجين، سلبيين تجاه أمثال هؤلاء الذي ينتشرون في جسد المجتمع بمؤسساته وتنظيماته وإنما من الواجب السعي الحثيث بالوسائل الشرعية، والقانونية، وعبر التسلسل التنظيمي، ومن خلال الأطر، وبتفعيل مؤسسات المجتمع المدني وعبر التربية القويمة، ودعم أسس الإدارة الحديثة التي تعني ضمن ما تعني تعميق أسس التوجيه والمتابعة الدءوبة والتقييم والرقابة.

أن المتابعة والمحاسبة التي تقتضي قياس أعمال الموظفين، المرءوسين، الكوادر وتصويبها بغرض التأكد من أن أهداف المؤسسة تنجز شرط لازب من شروط العمل المؤسسي والتنظيمي والذي نشد فيه على أيدي كوادر المؤسسات والسلطة عموماً، وأيضاً على أيدي كوادر التنظيم .. أن غرض المتابعة والرقابة هو تقرير ما إذا كان الأعضاء وأجزاء التنظيم المختلفة يحققون التقدم نحو أهدافهم التي خطط لتحقيقها (دون انحراف أو تهاون أو سوء استخدام أو فساد ..) وهي بافتقادها يتم استغلال فضائح بعض كوادر السلطة أو كوادر فتح للطعن في كل حركة فتح وللطعن في كافة مؤسسات السلطة والصالح فيها يطحنه مساوئ وقبائح الطالح.

فتح ليست تنظيم السلطة:

بعد كل ما ذكرنا لماذا نعنون (فتح: من تيارات السلطة إلى عصابات الزعران)؟ لان الكثيرين ينظرون لحركة فتح وللسلطة كشيء واحد، وغير قابل للفصل ونحن سنتحدث عن نظرة الفتحويين لهذه العلاقة، أن الكثيرون منهم يعتبرون فتح هي السلطة والسلطة هي فتح (السلطة هنا بمعنى السلطة الوطنية الفلسطينية: أي الحكومة وأجهزتها) . وعلى هذا الأساس يستبيح مسئولو الأجهزة (الأمنية) لأنفسهم التدخل في انتخابات لجان المناطق ولجان الأقاليم، والشبيبة الفتحوية، وانتخابات مجالس الطلبة في الجامعات والمعاهد وربما المدارس غداً، انهم يفرضون في الواقع أن فتح هي تنظيم السلطة (سلطتهم)، رغم أن الكوادر التنظيمية تعمل جاهدة على البروز كقوة (سلطة) منفصلة وليست مستتبعة للسلطة الوطنية، الأجهزة الأمنية من جهة، والسياسات الرسمية من جهة مؤازرة.

أن بعض القيادات الأمنية لا تحمل فكراً سياسياً أو أيديولوجياً متميزاً تستمد منه قوتها أنها تستمد جزء من قوتها، تأثيرها، سلطتها على الشارع من قوة تغلغلها ونفوذها في أطر فتح لذلك سيبقى الصراع مستعراً بين الأجهزة الأمنية على جسد التنظيم لا سيما وانه نفس الجسد الذي يفرز الكوادر الأمنية أو السياسية أو النقابية أو الجماهيرية .. فكيف هو الحال متى ما سيطرت الأجهزة الأمنية على هذه الكوادر؟ .. لا يستطيع أي جهاز خاصة في هذه المرحلة الدقيقة التي تتداخل فيها العوامل الفتحوية الداخلية مع اللعبة السياسية والاتفاقات الأمنية، لا يستطيع أي جهاز أن يخرج من جسم التنظيم دون أن يلحق بكيانه خسائر جليلة، بل من المتوقع أن يزداد النفوذ لهذه الأجهزة لا سيما وان لبعضها تجارب سابقة منذ العصور الثورية في مراحل (الأردن، لبنان، سوريا، تونس، الانتفاضة، جهاز الغربي، السجون) وتستمد منها أيضاً شرعية تاريخية رغم الاختلاف البين في المراحل، ورغم أن التنظيم كان في تلك العصور يصارع الأجهزة ويتململ، فينجح حيناً، ويفشل حيناً أخر في التخلص من سيطرة الأجهزة الأمنية المباشرة

وإعادة ربطها من خلال قمة الهرم (لجان الأقاليم) وهو الشكل السليم بحسب النظام الأساسي لحركة فتح .

أن الصراع في مراحل مضت وانقضت كان البارز منه صراع فكري تقاتلت فيه التيارات واستخدمت كافة الأسلحة في بسط نفوذها وتكبير تيارها (العشيرة، القومية، الأجهزة، الطهارة، الثورية ، ...) . و تركز الصراع الآن بنفس الأدوات تقريبا و لكن على إضعاف الوطن أو التسلط على شعبه أو الإساءة لحكومته .

أن معظم كوادر الأجهزة فتحويون، ولهم سطوة على التنظيم مباشرة أو غير مباشرة، كبيرة أم قليلة، تأخذ شكل الاحتراب أو المهادنة في صراع متواصل يجعل من الصعب على الجماهير، وعلى المراقب المحايد أن يخلع التنظيم (الفتحوي) من أن يكون تنظيم السلطة، فالسلطة في ذهن الشارع تتمثل (فقط) عند الكثيرين بالأجهزة الأمنية، أو برؤوس الأموال التي قدمت من الخارج والمسيطرة فعلياً على رقبة الحكومة والأجهزة والشعب، وقد نلتمس لهم كثير من العذر في ذلك فالأجهزة لا تنكر هذه العلاقة العضوية بل وتمارس من منطلق أن لها الحق في ذلك كما ذكرنا، فلا تلوموا الجمهور، ولوموا صراع النفوذ والمصالح والاستئثار الخالي تماماً من أي أفق فكري أو أيديولوجي .

وعلى الضفة الأخرى ، فان التنظيم (كوادر التنظيم غير المنتمين للأجهزة) يحاولون فرض شخصية جماهيرية وطليعية في آن واحد، من خلال رفض السيطرة الأمنية من جهة، ومن خلال خوض حرب شديدة ضد بعض أجهزة السلطة، وعبر ممارسة بعض مظاهر (السلطة) على الجماهير وفي هاتك الأحوال يعمل التنظيم على إضعاف نفسه، وإضعاف السلطة في آن معاً، لان الحرب التي تخوضها فتح التنظيم ضد فتح سلطة الأجهزة هو خروج عن أصول اللعبة التي من المفترض أن يعيها تنظيم كبير ومؤسس وريادي وذو تاريخ كتنظيم حركة فتح وهي لعبة توازن العلاقة بين كوادر التنظيم، ومع الجماهير، ومع السلطة الوطنية الفلسطينية بأجهزتها الأمنية تحديداً .. انه لا يجوز بأي حال من

الأحوال أن يقوم كوادر التنظيم بالتصدي الكلي لمشروع حركة فتح وهو بناء الدولة بالصيغ القائمة، وان كان في نفس الوقت يجب أن يكون للحركة مساحة واسعة من الديمقراطية والنقد والاعتراض والتعبير عن الرأي في السياسات المتبعة ، وضد كافة إساءات وتجاوزات السلطة التنفيذية، ويختلف الأمر مع مثل هذه الإساءات أو التجاوزات الشبيهة التي من الممكن أن يقوم بها كوادر التنظيم ضد الأجهزة أو ضد الجماهير .والتي يجب أن تواجه بالمتابعة والمحاسبة الشديدة من أطر التنظيم وقيادته، إذن فعلاقة الشراكة والتوازن تفترض التساند والتكامل، وقد تفرض أحياناً التعاون ولكنها لا تمنع الاعتراض والنقد ضمن الأطر وعبر القنوات الشرعية لأي خلل أو انحراف خارج التنظيم ومحاسبة ومعاقبة أي خلل أو انحراف لتنظيم القدوة وتنظيم القيم وتنظيم الفكر الذي أن فقد من أي كان، فيجب إلا يفقد من كوادر التنظيم كما أسلفنا .

ديمقراطية وتعددية وسلطة واحدة

إن حركة فتح رغم العلاقة المتشابكة بين أجهزة الأمن وبين جسم التنظيم ليست تنظيم السلطة أو يجب إلا تكون كذلك؟ لأننا لا نؤمن بالدولة الثيوقراطية (والتي يحكمها ظل الله على الأرض) ولا الدولة الدكتاتورية (التي يحكمها نظام الفرد الواحد أو الحزب الواحد) ولا الدولة (النموقراطية) التي تخلط الديني بالسياسي .. أن دولة فلسطين تحكم منذ الآن، وستحكم في المستقبل _ من منظور حركة فتح _ بالأسلوب الديمقراطي، لذلك لا تؤمن فتح بتنظيم أو حزب السلطة (الدولة) والذي تعيش الأحزاب الأخرى على هامشه مصفقة مصفرة أو من خلال الغرف السرية والمناشير .. لا صفوف خلفية في الدولة الديمقراطية، أن الجميع يلتفون حول نفس المائدة، مائدة الحكم لذلك لن تكون فتح تنظيم السلطة وان كانت الآن تمثل في الحقيقة الشريك الرئيس في السلطة (الحكم) وقد تستمر كذلك في المستقبل أن استطاعت التغلب على مظاهر الضعف واستثمار الزمن

بعدم الوصول بالحركة لمرحلة العجز والشيخوخة، بل إعادة بعثها من جديد بإرادة انطلاق ترتبط بمثل وقيم وفكر الأصالة والتجدد التي طالما تحدث عنـــها مفكـــرو فتح وخاصة الذين عبر منهم هذه المرحلة أمثال هاني الحسن وعثمان أبو غربيـــة وصخر حبش .

أن فتح تضعف نفسها، وتضعف السلطة/ الحكم متى ما اســـتمرت فـــي تقليد مظاهر الرعونة والزعرنة التي يقوم بها بعض كوادر الأجهزة، أو متى مـــا استمرت في رعاية أو التغاضي عن عصابات الانحراف المحسوبة على التنظيـــم هنا أو هناك، أو التي تدعي هذا الانتماء ولا تجد من يقف بعنف ليرفضها، أو فـــي ردة فعل لإحساسها بالظلم والغبن. انه لا يحق لحركة فتح التنظيـــم الملـــتزم ولا لغيرها أن تفرض سلطة تتحدى بها الشارع أو تتحدى سلطة (السلطة/ الحكومـــة) .. لان القنوات الرسمية وممارسة الديمقراطية التنظيمية واحترام التسلسل والأطر هو مدخل القيام بواجب المساهمة في البرامج والخطط والعمل والاعـــتراض، أو الرفض المطلق للواقع القائم مما يعني ثورة جديدة على رفاق السلاح القدامـــى !!؟ .ولا أظن واقع المجتمع الفلسطيني والتنظيم والسلطة الوطنية حتى الآن قد وصـــل فيه التردي لهذه الدرجة حتى بالمقارنة مع دول تدعي الديمقراطية أو الثورية فـــي المحيط العربي .

إن الشراكة بمعنى التساند، والتكامل التي من المفترض أن تميز علاقـــة حركة فتح القيادات والكوادر والأفراد مع السلطة التنفيذية الفلســـطينية يجـــب أن تقبل في إطار رحابة الحرية والحياة الديمقراطيـــة ومفـــاهيم الالـــتزام الوطنـــي، فترفض مظاهر الزعرنة والمافيات ومحاولة فرض سلطة بديلـــة عـــن الســـلطة القائمة في صراع قاتل للطرفين (المتكاملين في خدمة الجماهير) وكأن فتح أن لـــم تفعل ذلك تقوم بمعاقبة شريكها (زوجتها) عبر قطع حبل الحيـــاة فيـــها (العضـــو التناسلي) رداً على الفساد أو الانحراف أو التسلط والتجاوزات .

أن عملية استمرار تنازع السلطة ذو الغايات المصلحية منزوعة الفكـــر بين أكثر من جهة، وبين تيارات حركة فتح لهو هدية لا نظير لها لبـــؤر الفســـاد

العظمى التي تمسك برقبة الاقتصاد الفلسطيني وتحرك الناس وترسم السياسات وتنقل الجمادات بأموالها في أكبر عملية مافيا اقتصادية وسياسية واجتماعية لا أخلاقية واحتكارية في التاريخ الفلسطيني ، تآزرت معها مافيات السوق المحلي وعصابات الزعرنة المحسوبة على التنظيم وزمر الارتزاق في الأجهزة مع عصابات الجوار .

إننا نخاطب في هذه الدراسة/ البحث ضمير الكادر، العنصر التنظيمي الذي يرفض التيارات التسلطية وعصابات الزعرنة الدخيلة عليه و يمثل بمجموعه كيان التنظيم الفتحوي الملتزم النابض بالحياة، المتطور، القابل للتغيّر وإحداث التغيير والذي تتوفر لديه عوامل الإيمان المطلق بالقضية والفكرة والالتزام الوطني الواعي والانضباط أو تطويع النفس للانضباط لأسس نظام (سواء النظام الأساسي لحركة فتح أو المعدل منه) . إن الإيمان بالمبادئ والأخلاق والقيم قوة جبارة وعامل بعث وتوجيه للرغبة والحاجة، تحفز وتشحذ الهمم فتقوم الإرادة بتحريك الساكن، وتحويل القوى الكامنة، الطاقات المدركة في النفس البشرية إلى طاقات جبارة تتفجر بالإرادة عملاً وعطاءً وقدرة من معين لا ينضب .

لقد كان من الممكن أن اختم هذه الدراسة بمجموعة محددة من التوصيات والتي أعتقد أن الدراسة قد ضمنتها بين ثناياها لذلك أرى من المفيد أن نضع شيء من الإضاءة الفكرية حول الحق والباطل حيث يقول د. زكي نجيب محمود شيخ الفلاسفة العرب في مؤلفه: تجديد الفكر العربي (لكي تستقيم لنا المعرفة الصحيحة يجب أن يمحو الإنسان أخطاءه التي كان قد زل فيها قبل أن يستقي العلم من مصدره المختار، وان يسد الطريق على تلك الأخطاء التي لا تعاوده من جديد، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، إذ لا يجدي أن نملأ وعاء الحق في أذهاننا، حين يكون وعاء الباطل ما زال هنالك قائماً إلى جواره؛ فالباطل على مر الزمن قمين أن يفسد الحق كما تفسد الثمرة العطبة ما حولها من ثمرات صحاح، فإذا جاء الحق وظهر بأي وسيلة من وسائله وجب كذلك أن يزهق الباطل في

اللحظة نفسها؛ فإقامة الصواب وتصحيح الخطأ جانبـان لموقـف واحـد ، همـا الإيجاب والسلب يسيران معاً، الأول يثبت ما يستحق الإثبات، والثاني يمحو مـا لا بد أن يمحى .

غزة–رام الله – فلسطين ٢ /١١/ ١٩٩٩

ما العمل؟

في الخروج من الأزمة الفكرية التنظيمية .

مقدمة في الأزمة:

هل نحن في التنظيم نعيش أزمة؟ هل نحن في حركة فتح بالذات نعاني من مشاكل متفاقمة، بدأ حلها يعاني من صعوبات وحولها بالتدريج إلى أزمة؟ قد يجيب البعض بأن لا؟ وقد يتردد الآخر بالإجابة. ولكن حيثية الأمر، وطبيعة الظروف البيئية والداخلية التي مرت فيها حركة (فتح) منذ اتفاق (أوسلو) وانتقال مركز الثقل القيادي والحركة، والكوادر إلى داخل الوطن، قد أفرزت هذه الظروف عددا كبيرا من المشكلات من مثل تحديد قواعد تقييم كوادر الداخل أو ما عرف (بالتصنيف) ولاحقا عليه أسلوب التطبيق لهذا التصنيف التي لم تعجب البعض أو ألحقت به بعض الظلم ومن ثم وانعكاس ذلك على الوضع المعيشي من خلال العمل سواء على الكادر العسكري أو الكادر المدني، والمشاكل التي تفجرت اثر خروج العديد من الاخوة من الكوادر والعناصر من المعتقلات و السجون الإسرائيلية ، ومحاولتهم والمطاردين وزعماء العمل الشعبي وغيرهم أن يتبوءوا مراكز متقدمة في النسيج السياسي والاقتصادي والاجتماعي الفلسطيني هي من حقهم بالطبع كمناضلين أشاوس ضحوا بالكثير الكثير من أجل الوطن ، مع ما خالط هذه المشاكل من دخول كادر لا يستهان به من الخارج تبوأ مواقعا في أطر السلطة الوطنية متفاوتة ،ولكنه بالغالب لقي نفورا أو تشككا أو إقصاء، أو استيعابا للقليل منهم داخل الأطر التنظيمية .

لقد أدى ذلك _ ولأسباب بيئية كثيرة أخرى لن نتعرض لها هنا_ لبروز اكثر من مدرسة سواء في طرق التفكير أو أساليب العمل، وأيضا في طريقة التعاطي مع المسألة السياسية التي تتخطى أحيانا خلافات الوضع الداخلي

التنظيمي ولكننا حين النظر لها من زاوية التعــاطي مــع التطــورات السياســية المتلاحقة يظهر جليا تكتيلا وتحشدا في اتجــاهين رئيســيين الأول يتجــه نحــو (إسرائيل) وهو ما يطلق عليه (بتيار الاسرلة) الذي لا يرى فكاكا مــن المحيــط الإسرائيلي، بل (ويدعو)أو يسعى لمزيد من تمتين العلاقات السياسية والاقتصادية والجغرافية والسكانية والفكرية... الخ مع الطرف الإسرائيلي بمــا يحملــه هــذا الطرح من مخاطر التذويب، وفقدان الهوية الحضارية والثقافية، واستيعاب العقــل العربي الفلسطيني في وعاء العقلية البراغماتية الإسرائيلية التي تطمــح لتســطيح الفكر العروبي والوطني الفلسطيني، وتجزئ المفاهيم وإعادة تركيبها بما يتفق مــع المصالح الآنية للأفراد، أو الشرائح المجتمعية المتنوعة وبما يعمــق مــن أزمــة الهوية ويشتتها ويدفع باتجاه الاقتصادي على حساب الفكري والسياســي وحتــى المسلكي.

أما الاتجاه الثاني فهو تيار (التعريب) أو الاتجاه شرقا واستنهاض القــوة الوطنية الفلسطينية ضمن بحر العروبة الكبير مرورا بجنــاحي فلســطين مصــر والأردن وبما يحمله هذا الطرح من تمتين لأســس البنــاء الفكــري الحضــاري والثقافي العروبي والإسلامي، وبما يحصن الإرادة الفلسطينية من مخاطر التذويب أو الاحتواء أو التشتيت أو الاستيعاب.

إن التيارين وبعمق امتداداتهما التنظيمية هما قائمان في الحركة الوطنيــة الفلسطينية وفي حركة (فتح) في فلسطين بالذات أو هكذا يظن عدد من المفكريــن الفتحويين والعرب. ومع قدرة تيار (الاسرلة) على التنامي والتضخم على حســاب التيار الثاني لأسباب منها ما يتمتع به من عمق ديمغرافي فلســطيني، وعلاقــات مفتوحة وحرية حركة، ودعم قوي يلقاه من الطرف الآخر ، كل هــذه الأســباب تجعل من تيار (التعريب) في حالة من التشاؤم أو السكون أو الانكفاء تصل إلــى حد الأزمة، التي نرى ضرورة تجاوزها والانطلاق منــها إلــى رحابــة الفعــل التنظيمي وقوته.

إن عملية الحشد في مواجهة العدو الرئيسي، أو الحشد لتحقيق الأهـــداف، لا يمكن تحقيقها بالعمل المنفرد وانما يتم تحقيقها حصرا عبر (التنظيم) فكما يمكـن أن يمثل (التنظيم) مصالح أو أفكار أو اتجاهات وميول الفئات أو الشرائح المنتميـة إليه، فانه يشكل الحاضنة التي يتقبل من خلالها التعددية، تلك التي تضفـــي علـــى هذا التنظيم سمة الديمقراطية في ظل الوحدة البنائية ممثلة بالتراتب الهيكلي مـــن جهة، والوحدة العضوية ممثلة بإقرار أعضاء التنظيم بأهداف وخطـــط وأســـاليب وقوانين التنظيم أو المنظمة، والسمة الديمقراطية للتنظيم لا تردع الاختلافات بل قد تشجع وجهات النظر المتعددة، ولا تتدخل في (الصراع) الداخلـــي الدائـــر إلا حال خروجه عن قوانينه المعروفة.

إن التنظيم هو بالأساس جماعة من الأفراد ويقتضي ذلك الاتفاق الطوعـــي على الانتماء له، وبالتالي الموالاة لطروحاته أو سياساته والتي تصبح من خـــلال انصهار رؤى الفرد برؤية التنظيم ممثلة برؤية كل عضو من أعضائه، وبالتـــالي يصبح التنظيم ليس هيكلا فارغا وإنما دما حارا وثابا.

إن فكرة (الانتماء) أو (الحشد) كفكرة جامعة للأعضاء هي فكـــرة تتصـــل بمسوغات عزيزة أو حاجة (التجمع) لدى الأفراد، من حيث إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده، لذا فانه يوجد ضمن جماعة ومجموع هذه الجماعات القسرية أو الطوعية (اسر، قبائل، شرائح، مهن، وظائف، تصنيفات دينية، طبقية...) تشـــكل المجتمع في حالة ما قامت الاتصالات والعلاقات داخل هـــذه الجماعـــات، وفـــي المجتمع،لذا فان (التجمع) كغريزة هي بالضرورة متصلة بوجود الأفراد وحرصهم على العيش بشكل افضل عبر (الانتماء) لجماعة من خلالـــها يقيمـــون علاقـــات واتصالات من دونها لا تكون الجماعة، ولا ينمى الولاء لها.

استمرار التنظيم:

إن أحد أدوار (التنظيم) المتمثلة (باستقطاب) العناصر الجديدة، أو بضخ الدماء في شرايينه (هياكله) يستدعي بالضرورة أن يتمتع هذا التنظيم بمواصفات (الجماعة) من حيث كون التنظيم أحد أشكالها الطوعية الراقية.. فالتنظيم يشكل مجتمعا مصغرا أو جماعة منظمة للأعضاء الذين يؤمنون بأهداف التنظيم الكبرى وأساليبه وبالتالي ما ينبثق عن ذلك من سياسات وخطط ونظم، والاستقطاب كعملية حيوية يرتبط بالضرورة بعوامل الجذب داخل هذا التنظيم هذه العوامل المرتبطة أيضا باستمرار العضوية أو انقطاعها أو تدهور التنظيم وتفككه.

أهداف التنظيم هي أهداف الأعضاء:

إن عوامل الجذب داخل التنظيم قد تحدد مسيرته من حيث التواصل أو التساقط للأعضاء، ولا تنظيم يستطيع أن يحافظ على ديمومته دون أن يجعل من أهدافه هي ذاتها أهداف أعضائه، ووسائله هي ما تغيرت وفق قناعة مجموع الأعضاء بضرورة هذا التغير وفق معطيات المتغيرات البيئية المحيطة بالتنظيم والتي أثرت واثر بها التغيرات الثقافية والفكرية لأعضاء التنظيم أنفسهم فتكون عوامل الجذب هنا، هي قدرة التنظيم على التجدد والإبداع والتميز وفق معطيات التغير سمة الحياة الدائمة، ويما يتفق أما مع تغير معطيات الصراع والعوامل البيئية والتي قد يدركها الأعضاء من خلال اتصالهم مع البيئة أو المحيط أو تقوم القيادة بتفصيلها أمامهم، أو مع تغير الأفكار أو القناعات الذاتية للأعضاء أو للقياديين منهم نتيجة الخبرة والتجربة والثقافة المشهود لهم بها والمرتبطة بالقدوة والنموذج.

فتح والمثابرة :

إن الإبداع والتجدد سمة قد لا يتسم بها كل الأفراد أو الأعضاء ولكنها قد تشكل شخصيات الكوادر البارزة في أطر التنظيم، والذين ترتبط عوامل جاذبية التنظيم واستمرارها بهم وذلك بمدى ما يضع هؤلاء الكوادر أنفسهم في مقدمة الركب وفي سفينة المواجهة من حيث اتخاذهم لأفكارهم وقدراتهم وأفعالهم نموذجا ومثلا للاحتذاء، فلا إبداع ولا تجدد دون ثقافة أو تجربة ولا تميز دون فكر خلاق. إن قدرات القادة أو الأعضاء المثابرين في التنظيم هي تلك التي تستخدم في خدمة أهداف الجماعة أو الإبداع في استغلال الزمن وإدارة الوقت لتحقيق الأهداف بأقصر الطرق وأدومها أمنا واكثرها نجاعة. وفي ذلك قد تختلف الرؤى ضمن التنظيم الواحد فتتجابه في (صراع) خفي قد يطول أو يقصر.

الصراع في التنظيم :

يمثل الصراع أحد أشكال التفاعل الإنساني، ويشكل ضرورة ملحة في حالة التضارب أو التناقض أو التنافر، فالحياة كلُ متغير، ولا تغيير في حياة البشر يحدث دون صراع، ومن مقتضيات هذا الصراع بعموميته المرتبطة بفلسفة الكون والإنسان والحياة أن يدوم فلا حاجة هنا للضغط باتجاه إنهاء أي صراع دون فهم قوانينه والتعاطي مع شرائطه. إن تناقض الأفكار، أو تضارب المصالح، أو العداء، أو محاولات السيطرة والتملك والاستئثار بالنفوذ كلها أو بعضها وغيرها من مقومات نشوء المشكلات، والتي إن طالت واستفحلت تتحول إلى (أزمة) وبالتالي بروز الصراعات.

وباختصار فان محاولة أي جماعة أو تنظيم أو أفراد في أي تنظيم لتجاوز أي معوق أمامهم قد تدخلهم في صراع وهو دليل وجود تناقض أو أزمة. والزمن هنا كعامل أساسي وأداة من أدوات الصراع قد يلعب دورا هاما وخاصة

متى ما امتلك أحد الأطراف القوة القاهرة والتي قد يستخدمها ليسحق بها الخصم في اقصر زمن متجاوزا حالة تعادل القوى التي يتطلب بها الوضع (الحشد) والتكتيل لعوامل القوة ومعرفة النواقص وعوامل الضعف، وبناء استراتيجية فعالة تربط الخطط المرغوبة بالأهداف القابلة للتنفيذ مع فرص تحقيقها وتقدير الإمكانيات المتوفرة.

تعميق الانتماء الفتحوي:

إن حركة (فتح) كتنظيم يواجه حاليا خصوما على الجبهة الخارجية، وعلى الجبهة الداخلية يحتاج من كوادره اكثر ما يحتاج إلى تمتين (الانتماء) للفكر الفتحوي المرتبط بالتجربة الحية والغنية، ويفترض بالأعضاء الالتفات إلى الخط السياسي الواضح والنابع من أهداف وأساليب ومنطلقات الحركة دون يأس أو كلل، دون تشاؤم أو ملل.

إن (فتح) الأعضاء في خوضها الصراع في ظل الأزمة على الجبهة الخارجية تحتاج لحصانة الانتماء للتنظيم هيكلا وقيما وفكرا، بما يضعف من عوامل التفتيت المبثوثة بين الصفوف والتي تحاول أن تضعف من الرؤية أو تقلص من فرص اليقين من صحة الهدف، فينتشر المشككون والمرجفون ويتكاثر الانهزاميون... وبدقة اكبر فان الجبهة الخارجية هي ما زالت الطرف الإسرائيلي بمعسكر الاستعداء فيه الذي يحاول تحطيم العقل العربي الفلسطيني وإخراجه من حالة الحزم في رفع الهدف، إلى حالة التنصل من الهدف عبر الهدم المستمر والتشكيك المتواصل في صحة أو أهمية أو قابلية أهداف الحركة للتحقيق عبر فرض أمر واقع يومي ممثل بالاعتقالات وتوسيع المستعمرات وسلب الأراضي وهدم البيوت وقتل المناضلين وإلزام الفلسطيني بمحاربة كل ظاهرة أو مجموعة أو أفراد لا يروقون للعدو تحت غطاء الإرهاب والحفاظ على أمنهم. وأيضا في إفقاد العضو بثقته بسلطته وحركته عبر التجويع والتركيع وتقليص فرص العمل

وإغلاق الحدود،وبث الفتن واستغلال الاختلافات الداخلية ،وتحطيم صورة السلطة والحركة ...الخ,

إذن ما زالت الجبهة الخارجية في ظل عدم قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، وفي ظل عدم تحقق عودة اللاجئين، وسيادة الفلسطينيين على أرضهم، ما زالت نفسها ممثلة بالإسرائيليين وبتحديد اكثر ممثلة بمعسكر الاستعداء الإسرائيلي المواجه لمعسكر السلام الإسرائيلي.

التحصين السياسي ضد (الاسرلة) :

أما الجبهة الداخلية والتي يخوض الحركيون في فتح، وخاصة المؤمنون الملتزمون المناضلون فيها، حربا شعواء فانهم يخوضونها ضد فكر بدأ ينمو داخل الحركة نفسها باعتبارها جبهة الصراع الداخلية، والفكر لا ينمو دون عقول حاضنة مركبة في أجساد ذات أرجل تمشي على الأرض. وبالتالي فالصراع داخل الحركة وان اقترن في الوطن مع عوامل كثيرة من تضارب الأفكار بالمصالح الاقتصادية والشخصية فهو يظهر بشكل جدي وبشقه الفكري بين خط (الاسرلة) وكما يردد دوما المفكر القائد هاني الحسن وبين خط (التعريب) فكما هي فتح دوما فلا مناص لها عن الاتجاه شرقا، فلا قاطرة فلسطينية تستطيع أن تسير دون القطار العربي، ولا (أسرلة) أبدا هي في صالح خط الاسترشاد بالجماهير التي تتطلع للدولة الديمقراطية.

الأيمان بالقضية يعني الصبر :ـ

ما العمل؟ في ظل هذا الصراع؟ ماذا نفعل في افتراض تعادل القوى بين الخطوط المتصارعة؟ هل نخرج من المأزق بالخروج من الحركة أم نلجأ للصدام أو نختبئ وراء الأكمة أو في المكامن ؟؟ وكلها يمكن أن تكون بدائل للحلول أم نتعاطى مع (الأيمان) بالقضية والهدف من زاوية التحلي بالصبر باعتباره الشق الثاني للشكر عاملا (الأيمان) ونحن في ذلك بمرحلة (الصبر).وكما يقول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه :(عود نفسك الصبر على المكروه،والجئ

نفسك في الأمور كلها إلى الله فانك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيـــز).. قــد تختلف النظرات أو الرؤى هنا ولكن شروط النصر لا تعرف العجلة ولا تعـــرف اليأس فالنصر صبر ساعة .. وهذه الساعة قد تطول فماذا نفعل؟

التحصين الفكري والمسلكي: ـــ

إن (التحصين الفردي) أصبح في هذا الوقت من الأهمية بحيــث لــم يعــد مجديا أن يتم الاستقطاب أو التجمع على قاعدة الكم الذي يتراكض هاربا عنـد أول مواجهة خارجية أو داخلية، لذا فالتحصين الفردي يعد أحد أهم شروط الثبات فـــي ساعة الصبر .. إن وضوح الخط السياسي في الفكر للكادر الفتحـــوي، وتحليــه بالقيم والأخلاق العروبية والحضارية الإسلامية، وحصانته النفسية والروحية هـــي من أبرز ما يجب أن يكون عليه العضو أو الكادر ولا يلزم غيره بما يترفع عـــن تطبيقه، كما لا يقتدي بمن أساء، ولا يتراجع أو يتخاذل حال طغيان أمواج البــاطل أو يجعل منها مبررا للتحلل من حصانته.(من حلم ساد ومن ســاد اســتفاد ومـــن استحيا حرم ومن هاب خاب ومن طلب الرئاسة صبر على السياسة، ومن أبصــر عيب نفسه عمي عن عيب غيره ، ومن سل سيف البغي قتل به) .

تجمع النويات إلى (حالات):ـــ

إن الحصانة الفردية للعضو قد لا تكون كافية وقد لا تكون مؤثرة إلا فـــي نطاق ضيق وهي بالطبع مهمة ومطلوبة، ولكن اجتماع هذه النويـــات المتنـــاثرة وحشدها يصبح في التنظيم ضرورة باللجوء (للتجمع) ثانية عبر المؤسســـات، أو التنظيمات الأهلية و (غير الحكومية) والتي تجعل من (الحالة) الفتحوية الصحيـــة في هذه المؤسسات أو التنظيمات الجماهيرية قيادة للفعل اليومي لها وبذلـــك يتـــم تعميم النويات المكونة من مجموع هؤلاء الأفراد المحصنين ليشـــكلوا (حـــالات) متوزعة في أجساد مختلفة هي من الأهمية بدرجة استمرار حصر الصراع عـــبر حركة فتح والتنظيم الذي نريد .

الأطر ومن خلال القنوات التنظيمية الرسمية، لأن تفتيت (التنظيـــم) لـــن يجلـــب للأشجار المثمرة ممثلة بخط التعريب إلا نمو النباتات المتسلقة أو الفطريات فـــي جسد التنظيم مما يقوي من جذور خط (الأسرلة)، فلا تعيش لا النويات المحصنـــة ولا الحالات النموذجية أو تلك التي جعلت من حركة فتح بؤرة للإبداع والتميز.

خلاصة : ـ

إن الخروج من الأزمة بكافة أبعادها ومنـــها محاربـــة خـــط (الأســـرلة) وجمهور الفساد أو الإفساد في التنظيم أو المجتمع لا يمكن التصدي لــــه إلا مـــن خلال التحشد والتجمع للمواجهة وبما يجعل من الخط الفكري والصراع السياســـي والفهم الاستراتيجي المناوئ واضحا ومحددا وراسخا في العضو المؤمن رســـوخ تمسكه بأخلاقه ومبادئه وقيمه الروحية والتي تجعل من كل عضو مهما ادلـــهمت الخطوب وضاقت الدنيا أمام عينيه كالقابض على الجمر، مقاتل شرس في مواقـــع المواجهة، وإنسان رحماني ذو قلب كبير بين الجماهير، ذو طاقة روحانية غامرة وهكذا هو صاحب الرسالة الذي يحشد جاعلا من الانوية (حالة) عامـــة، وبعـــد فلنردد مقولة المفكر أبو حيان التوحيدي التي أطلقها في القرن العاشر (يـــا هـــذا الغريب من إذا ذَكر الحق هجر، وإذا دعا إلى الحق زُجر) كي يتعزى من يســـعى لبسط الحق فيهجر أو يدعو للحق فيزجر، وحين يعظم عناؤه بغير جدوى.

لماذا ننتمي لحركة (فتح)؟!

مقدمـــــة

على اثر الدراسات التي نشرتها في الصحافة العربيـــة ، ومنـــها فـــي صحيفة (الحياة الجديدة) ، الأولى بعنوان حركة فتح في الوطن بين واقع الأزمـــة وضرورة الاستنهاض والثانية بعنوان حركة فتح بين تيارات السلطة وعصابـــات الزعران والثالثة بعنوان : ما العمل في الخروج من الأزمة التنظيمية؟ اتصل بـــي العديد من الاخوة والأخوات ما بين موافق أو معارض لما طرحت ،ولكن ســـؤال أحد الأصدقاء من مدينة خان يونس كان حافزا لي كبيرا لكتابة هذه الورقة حيـــث قال: بعد كل هذا النقد لمآل أو مسيرة حركة (فتح) لماذا ما زلـــت تنتمـــي لــــها؟! وكان الحافز الثاني مستمدا من تساؤل إحدى الأخوات من جامعة النجـــاح التـــي كانت قد طرحت عليَ نفس السؤال تحت عنوان (لماذا أنا فتح؟) وقالت حينها أنـــها تتمنى صدور كتيب بهذا الشأن في اقصر فترة ممكنة. ورغم أن لحركة (فتح) فـــي أدبياتها وضمن جلساتها الحركية دراسة ثرية بالعنوان السابق إلا أنني آثـــرت أن اكتب بالموضوع بشكل جديد لا سيما وان ما كتب في بداية الانطلاقة على أهميته وضرورة الاطلاع عليه قد داهمته عديد المتغيرات لان ماء النهر لا يستكين.

فلكل منتم أو من يفكر بالانتماء لفتح أن يطلع بأفق مفتوح لهذه الحركـــة من زاوية تحمل المصاعب وركوب المخاطر والتضحية بالكثير، وخدمة الجماهير وتعظيم شأن الفكر الوطني والممارسة الجادة والدعوبة المرتبطة بمنظومة القيـــم والأخلاق لان في الإيمان انتماء وفي الانتماء تحفيز لـــــلإرادة محـــرك العطـــاء والعمل.

لماذا ننتمي لحركة (فتح)؟!

من قوة الاندفاع الجبارة المستمدة من إرادة الفعل الكـامن فـي النفـس المناضلة كان التراث المتواصل الذي ولّد الثورة الفلسطينية المعاصرة، وحركـة (فتح)، ولم تكن الرصاصات القليلة التي أطلقها بضعة فتيان مؤمنين مـن أبنـاء فلسطين في سكون العتمة التي غشيت الأمة، وذلك في الفاتح من ينـاير ١٩٦٥ إلا ومضة الأمل للفجر القادم، وإيذانا بدخول المنطقة العربية مرحلة جديدة أسـقطت من على كتفيها ثياب الترهل والبكاء، وأردية الحزن والذلة، وملبوس الشـعارات الرنانة والمناظرات الخاوية، لتتدثر بالحرية والكرامـة، وبـالإرادة والتضحيـة، والإيمان بالنصر من خلال حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح).

١ – من السكون إلى الحركة

لقد شكلت حركة (فتح) نقطة الانعطاف في المنـاخ العربـي السياسـي والفكري والمجتمعي الذي كان سائدا في عقد الخمسينات والستينات فـي القـرن العشرين من حالات الخوف إلى الإقدام ومن التوجس إلى الانطلاق ومن السـكون إلى التمرد والحركة امتدادا لتمرد وحركية الثورات القوميـة العربيـة: الثـورة المصرية والثورة الجزائرية العظيمتان، فحولت حلم ملايين الأمة و أملـهم فـي التمرد والقضاء على الواقع الفاسد، والثورة والجهاد إلى أهداف قابلة للتجسيد على ارض الواقع، فكسرت القيود ورفضت منطق اليأس أو التيئيس، وقضـت علـى عقلية التشرد والترقب، وانتظار فزعة الآخرين أو هبات السماء، وقاومت جميـع محاولات طمس الهوية وإنكار طموحات التغيير فكانت كالحجر الذي انقض علـى الماء الساكن فاحدث موجات متعاقبة متحركة طالت القريب والبعيد.

استمرت (فتح) متحركة متواصلة تراكم التجـارب، وتعظـم الخـبرات وتعلي من شأن الممارسة لأنها دليل الحركة والتجدد والتغيير، فكـانت السلاسـة النسبية التي ارتبطت بالانتقال الآمن لحركة (فتح) من مرحلة إلى مرحلة، تجـدد

وتغير في الوسائل والأفكار في سياق حفاظها علـــى الغايـــات الكـــبرى وأحـــلام المستقبل الو ضاء والحر والديمقراطي (فعسى الله أن يأتي بـــالفتح أو أمـــر مـــن عنده: سورة المائدة ٥٢)

٢- من الأكف المفتوحة إلى القبضات

حولت حركة (فتح) الأكف الضعيفة الممدودة، المستســـلمة، الخاضعـــة، اللينة العاجزة، المرفوعة، المفتوحة للتسول أو للدعاء فقط، إلى أياد صلبة، متينـــة، خشنة، قوية، مشدودة والى راحات تقبض على الزناد، ومصوبـــة للبندقيـــة فـــي الاتجاه الصحيح، على صدور الأعداء المحتلين الغاصبين. ولقد جعلت من العيـــون الذابلة، المنكسرة، الدامعة، الباكية، عيونا يقظة حادة متنبهة تسهر علـــى حمايـــة الوطن والشعب. فهزمت (فتح) بذلـــك عوامـــل الخنـــوع واليـــأس والاستســـلام وانتصرت لعوامل الاجتهاد والجد والصلابة والخشونة والقوة قال تعـــالى :" يـــا يحيى خذ الكتـــاب بقـــوة". سورة مريم (١٢).

٣- من قطيع حملان إلى نسور العاصفة

وجعلت من طوابير الحملان الوادعة، العاجزة، فاترة العزيمـــة، المليئـــة بالإحباط والسكون والحزن واليأس العميق، وهي طوابـــير مئـــات الآلاف مـــن اللاجئين الصامتين المتكدرين الذين يصطفون لتلقي فتات هبات العـــالم الغربـــي، حولتهم إلى فدائيين مخلصين صارخين (لا) في وجه الظلم والعدوان والاحتلال.

لقد توجهت الحركة إلى كميات الحقد الكامنة فـــي النفـــوس المتوتـــرة، وفجرتها بركانا في مواجهة العدو الصهيوني، أطلقتها مـــن عقالـــها، ونظمتـــها، واستخدمتها في إعادة صياغة هذه النفوس الهالكة المهانة لتحولها إلى نفوس أبيـــة محلقة في سماء الأمل والتصميم الذي تميزت فيه نسور (فتح)، نســـور العاصفـــة منذ الانطلاقة، وحتى الانتفاضة، مرورا بكافة مواقع النضال إلى أن هبطت علـــى

ارض الوطن، ارض فلسطين تحت اسم السلطة الوطنية الفلسطينية المقـــدر لـــها تحمل عبء استكمال المرحلة العسيرة الجديدة، بقوة دفع الشعب والثورة وحركـــة (فتح). قال تعالى:"وان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح، وان تنتهوا فـــهو خـــير لكـــم". سورة الأنفال (١٩).

٤- كوفية الختيار رمز الثورة

لقد جعلت حركة (فتح) من الرداء المرقـــط للفدائـــي الفلســـطيني، ثـــم الأخضر لاحقا للجندي الفلسطيني، والكوفية العربية الأصيلة رمزا للثورة، رمـــزا للتمرد، رمزا للأصالة، ودليلا على التواصل ، ومفخرة للعروبة، وأمنية كل طفـل وفتى وشاب فلسطيني وعربي.

لم يكن من السهل أن ينفض المهزومون مشاعر الخزي والعار والمنعكسة علـــى مختلف جوانب حياتهم ومنها في احتقار أرديتهم، والتي طورتها الثورة وحركـــة (فتح) لتصنع فيهم الاحترام الكبير والفخر المشوب بالمحبة والاعـــتزاز للكوفيـــة العربية، لقد كانت الكوفية رمزا مجيدا لثورات شعبنا الفلسطيني المتعاقبة وخاصـــة في ثورة عام ١٩٣٦، وعادت لتصبح لصيقة بالثورة الفلسطينية المعـــاصرة مـــن خلال كوفية رجل كل المراحل (الختيار).

أن الأهمية التي كرست فيها الثورة الفلسطينية وحركة (فتح) عددا من الرمـــوز المادية للثورة من مثل الرداء الأخضر، والكوفية، وقلادة خريطة فلسطين، ووسام شعار العاصفة، وقسم الإخلاص لفلسطين، ودقيقة الصمت وقراءة الفاتحـــة علـــى أرواح الشهداء، وشارة النصر، ومصطلح (أخ ، أخت) هي بأهمية التوجه الكلـــي الذي يحسّه كافة المؤمنين تجاه التجسيدات والرموز المادية لمعتقداتهم، وفي ذلـــك ما لا ينكر من أهمية رسوخ وجود المسجد الأقصى في مدينة القـــدس عاصمـــة فلسطين كرمز مادي حي متواصل يعبر عن الانتماء الفلســـطيني لـــه، وانتمائـــه لأرض فلسطين، وكذلك الشأن فيما يتعلق بكنيسة القيامة، وكل رمـــوز الديانـــات المادية الأخرى.

إذن لقد صنعت الثورة، وصنعت فتح رموز الانتماء لها، لفلسطين، رمزها الوطني المادي الثابت وأكثرها وضوحا هو شخص الختيار، وكوفيته العربية الفلسطينية.

٥- حركة التاريخ والفكر النهضوي

لم تكن حركة (فتح) بحركة الرفض للتراث والتاريخ والأصالة كما هو شأن بعض المنظمات التي وجدت في فترة سابقة أو لاحقة على نشوء (فتح)، وما كانت (فتح) حركة الحداثة أو المستقبل المنقطع عن التاريخ، وأيضا لم تقبل لنفسها أن تكون تلك الحركة المنقطعة للتاريخ كما هو شأن المنظمات المحافظة والسلفية غير المتجددة، بل كانت امتدادا للفكر النهضوي والعقلاني في الحضارة العربية الإسلامية، ومددا للفكر الديمقراطي الذي وصل إليه العقل الإنساني آنذاك.

إن حركة (فتح) هي حركة الاستنهاض لكل القوى الفكرية والنفسية والذاتية لأفراد الشعب، وللشعب بمجمله، وللامة العربية لأنها امنت بالخصائص النهضوية للفكر العربي، وللامة العربية، والتي يبعث فيها في كل قرن وكل زمن بفلسفة جديدة، ونظرة جديدة، ورؤية جديدة، وفكر وبناء ثقافي متجدد، تجر معها حركة التاريخ بما ينطلق بهذا الفكر نحو التقدم للأمام. لقد أخذت فتح كل عناصر النهضة في الفكر العربي واستنبطت آليات ومبادئ (ما يبتدئ به الفكر) ومسلمات استخدمتها في حركة تجدد وتواصل صاخبة.

٦- ثورة وامتداد لثورات

وكانت امتدادا لكل الثورات والانتفاضات والهبات العربية والفلسطينية منذ بداية القرن العشرين، ضد التسلط والطغيان، وضد دول الاستغلال الأوروبي التي اجتاحت المنطقة العربية، ثم ضد الاحتلال الصهيوني لفلسطين فكانت حركة (فتح) امتدادا طبيعيا وتواصلا حقيقيا لجميع الثورات التي أغنت الذاكرة الفلسطينية

والفتحوية بأصالة الإقدام والتصميم والتنظيم التي صاحبت أعمال ونضالات وكفاح المجاهدين الكبار.

إن التمرد على الواقع الفاسد هو سمة الثورة وهو سمة (فتح) في كافة المراحل، وفي مرحلة المواجهة العسكرية فللتمرد أصوله كما هو في مرحلة بناء الدولة فللتمرد قوانينه وفتح في الحالتين امتداد ثورة تبدع قوانين القضاء على الفساد في ظل ثبات العقيدة.

٧- فتح بؤرة الإبداع والتميز

وقدمت (فتح) خلال مسيرتها الطويلة خبرة صنع الحدث، والتفوق في التعامل مع الأحداث، والتميز في الاستجابة لمتطلبات المراحل، ولها في تجربة التصدي للاجتياح الصهيوني للجنوب عام ١٩٧٨، ثم في التصدي للعدوان الصهيوني على لبنان والثورة وعلى بيروت عام ١٩٨٢، والصمود الأسطوري المقترن بالتفاوض، للخروج من الأزمة بأقل الخسائر، لنا في هذه الأمثلة، ومثلها من قبل ومن بعدها الكثير ما يعبر عن تجلي قدرة الإبداع الفتحوية وتميزها في فهم وصنع وتعاطي الحدث. كما قدمت (فتح) الفكر والرأي المستنير، والشعار الواقعي مترابطا مع الفعل والعزيمة التي لا تلين في مواجهة الخصوم، والأعداء. إن الواقعية أو (البراجماتية) والتعامل المرن مع المتغيرات مما نسب طويلا (لفتح) ليس فيه ما يعيب ما دامت الجذرية لدى الآخرين قادتهم للجمود والتراجع.

إن القدرة الفائقة على التجديد في إطار الحفاظ على المسلمات الوطنية، هي القدرة على الإبداع الوطني التي ميزت رؤية (فتح)، وقيادة حركة (فتح) التاريخية، وجماهير (فتح). فكان في إبداعها وخبرتها وصنعها للحدث وإيمانها بالفعل وتفوقها ميزة عرفت فيها (فتح) وما زالت، رغم اختلاف الآخرين معها في ذلك.

٨- الفكر الواقعي مقابل الفذلكات الأيديولوجية

لقد منحت حركة (فتح) الثورة الفلسطينية بعد النظر، والرؤية السياسية الواضحة، والفهم المتطور للمرحلة، والفكر الواقعي، ففي حين رفضت رفع العصا في وجه هذا أو ذاك متهمة إياه بالخيانة أو المروق أو اللاوطنية المعبر عنه بمنهج التفكير القضائي، رفضت أيضا منهج التفكير التاريخي الذي لا يرى المستقبل في ظل حصار الواقع إلا عجزا عن اللحاق بالماضي التليد، ورفضت أيضا منهج التفكير الفلسفي الذي لا يقبل إلا القوالب المصبوبة والرؤى الجامدة الثابتة والنظرات المسبقة. لذلك لم تتبن حركة (فتح) أيديولوجية لأنها مرتبطة بالحزبية التي يكون نشوئها في ظل الدول والحكومات المستقرة، وفي المجتمعات الآمنة غير المهددة، وتهدف للسيطرة على الحكم من خلال برنامج الحزب السياسي.

لقد آمنت (فتح) بفكر التطور والحركة والتغيير، وحافظت في خلفيتها السياسية والثقافية والتعبوية على فلسفتها وتاريخها وتحديداتها القضائية كمرشد ومرجعية في استخدامها المتطور للفكر من خلال المرحلة في واقعية سياسية تفقه السبل المثلى للتعاطي مع متغيرات العوامل الذاتية والعوامل الموضوعية (الخارجية).

٩- قواعد المسلكية في المجال التنظيمي

لقد اهتمت الحركة ببناء الكوادر عبر التربية والتثقيف المستمر الذي مارسته من خلال أطر تنظيم (فتح) في مختلف الأقاليم، وعبر القدوة المستمدة من سلوكيات القيادة التاريخية، وعبر الجلسات الحركية واللقاءات والندوات والزيارات والدورات العسكرية والسياسية والتنظيمية، وعبر المؤتمرات ومدرسة الكوادر والحث على البحث والدرس والقراءة واستخلاص العبر، بما يغني الفكر ويقوم السلوك، ويهذب النفس، ويمتن العلاقة الروحية للعضو مع خالقه كما لم

تهمل (فتح) بناء الجسد الذي بتكامله مع العناصر الأخرى تمتن بناء الذات وتجعل من السلوك التنظيمي (ممثلا لمجمل تصرفات العضو) يتجه نحو الالتزام والانضباط والولاء، وتطبيق المركزية الديمقراطية، وممارسة النقد ونقد الذات.

١٠- دع ألف زهرة تتفتح في بستان (فتح)

آمنت حركة (فتح) بالطليعة الثورية، الطليعة المقاتلة، الطليعة المنظمة، الطليعة المسيسة، وآمنت بقدرات الشعب، وحضت على العمل، وفي المقابل لم تسمح للقواعد والإجراءات البيروقراطية القاسية أن تتحول لمعيق وسد مانع أو أن تحد من العطاء والنماء والعمل، وانما حددت أن العمل هو المقياس، والعطاء هو التصديق الفعلي لكل من الفلسفة والنظرية والفكر والأهداف والمبادئ، وعليه فلقد كان للمبادأة أو المبادرة قيمة عالية في الفهم الفتحوي للإبداع وفي الفهم الفتحوي لانطلاق الأفكار، فحثت في ادبياتها على أهمية المبادرة الفردية في موقعها، والمبادرات الجماعية في مواقف الدعم للأهداف والمصالح.

لقد أساء البعض فهم هذا الشعار فاستغلوا حركة (فتح) لاهوائهم وأهدافهم الخاصة والشخصية، وهم وان قاومتهم الحركة، إلا أن وجود بعضهم حتى الآن لمدعاة لتواصل الصراع اصل الوجود، ومبرر التغيير والتطور. ورغم ذلك استمرت (فتح) ورعت تفتح مختلف المبادرات وهي تزهر في بستان حركة (فتح). لقد كانت الآية الكريمة (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون). سورة الصف (٣). مرشدا وهاديا للحركة في اقتران القول بالفعل عندها، بل وبتعدد الفعل من خلال المبادرات.

١١- فتح تصنع الحدث.

انهمكت معظم المنظمات الفلسطينية في جمأة التنظير الحزبي، والمراوحة النظرية بين مرحلة الثورة الشعبية والثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية،

والإسفاف الأيديولوجي المنقسم على مساحة الخلاف الماركسي – اللينيني أو الستاليني أو الماوي أو التروتسكي، وعشرات التيارات والأحزاب والتكتلات التي نشأت وعاشت على هذه الخلفية، وعلى خلفية التقسيم الطبقي للمجتمع العربي أو الفلسطيني ما بين كومبرادور وإمبريالية وبرجوازية كبرى أو وطنية أو صغيرة، وبروليتاريا وغيرها، كما انشغلت أيضا بالدعوة لرفع راية اليسار والعلم الأحمر الممزق بين عديد المنظمات غير الموحدة، أو الدعوة لصحوة اليمين الديني من أصوات خافتة في الفترة التي كان يعيش فيها هؤلاء في غيبوبة السكون والكمون، أو الفرجة على الأحداث دون الإقدام على أي محاولة جادة للإسهام فيها إلا بعد مخاض طويل ومنذ العام ١٩٨٢ ثم العام ١٩٨٧.

وفي ظل هذه الانشغالات النظرية للمنظمات الفلسطينية الظاهرة أو الكامنة خاضت حركة (فتح) معارك الدفاع الباسلة عن شعبنا العربي الفلسطيني في فلسطين وفي الشتات ولتنهك الفكر الصهيوني التوسعي بسيل متتابع من الضربات ، والعمليات الاستشهادية الجريئة التي وضعت فلسطين على الخارطة الدولية، وصنعت الثورة الفلسطينية كرقم صعب في معادلة منطقة (الشرق الأوسط) الدائرة الحضارية العربية الإسلامية لا يمكن تجاوزه.

لقد صنعت حركة (فتح) الحدث، أعادت بناء الشخصية الوطنية الفلسطينية، وجعلت من (م.ت.ف) الوطن المعنوي للفلسطينيين إلى أن عادت للخريطة الجغرافية، وان ببقع صغيرة ابتدأت في غزة وأريحا سرعان ما كبرت وستكبر في ظل بسط السيادة للدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. وبذلك فنحن ننتمي لحركة صانعة للحدث تاركة للآخرين التعليق.

١٢- الأرض للسواعد الثورية التي تحررها

لقد كانت رؤية حركة (فتح) منذ البدايات وحدوية، فدعت كافة المناضلين من كافة شرائح المجتمع، وكافة التيارات لنزع الأردية الحزبية والانصهار في بوتقة حركة الشعب الفلسطيني، حركة (فتح)، فكانت (م.ت.ف)

الإطار الفلسطيني الجامع لكافة القوى والتنظيمات الفلسطينية والتي حافظت كل منها بذلك على استقلاليتها التنظيمية والأيديولوجية والتقت معا ضمن برنامج موحد جامع عبر (م. ت. ف) اسمي برنامج الوفاق الوطني أو القواسم أو الجوامع المشتركة وبالتالي كان شعار أن الأرض للسواعد الثورية التي تحررها (وليس الفتحوية) فقط، إشارة لكل تنظيم (ثوري) للمشاركة في الوحدة الوطنية من خلال الإطار الجامع (م. ت.ف)، ومن خلال مسيرة السواعد الثورية نفسها والتي أصبحت فلسطين عنوانها كطريق للوحدة مع عدم رفض شعار أن الوحدة طريق فلسطين، ولكن بتواز يقبل تحقق أيهما ما دام الغرض تحقيق مصلحة الثورة والشعب. ولقد أثبتت فتح في ذلك أن الشعار يصنع لتحقيق مصالح الشعب وتحرير الأرض، وليس ليخدم الشعب شعارا مستوردا أو لا يعبر عنه. ولم تقبل (فتح) السواعد الأسيرة في قوالب الشعارات التي كانت بالنسبة لها تعبيرا متطورا عن فهم كل مرحلة ومصلحة الجماهير.

١٣- فتح ديمومة الثورة.

قادت حركة (فتح) مسيرة الثورة فحققت بذلك الديمومة والتواصل، ورفضت بذلك الانقطاع أو التوقف أو الجمود لان الديمومة فعل الثورة الرئيس، بينما الجمود أو التكلس أو السكون هي من أفعال الانهزام والتقهقر والتراجع والتخاذل والتي كانت انطلاقة الحركة موجهة لنقضها والتمرد عليها ولتحقق منطوق النشيد الفتحوي القائل:

أنا قد كسرت القيد قيد مذلتي   وسحقت جلادي وصانع نكبتي
ونسفت سجني وانطلقت عواصفا   لهبا يدمدم تحت راية ثورتي
أنا ابن فتح ما هتفت لغيرها   ولجيشها الجبار صانع ثورتي

أصبحت فتح ديمومة الثورة والعاصفة شعلة الكفاح المسلح، وما زجت في ديمومة مسيرتها بين العمل العسكري والعمل السياسي (فالعمل العسكري يزرع والعمل السياسي يحصد، ومجنون من يزرع ولا يحصد) لذلك فان تواصل الفعل،

واستمرار العطاء، على كافة الصعد السياسية والإعلامية والاجتماعية العسكرية والتنظيمية هي الزرع المطلوب لتحقيق الديمومة التي مثلتها (فتح) العمود الفقري للثورة الفلسطينية المعاصرة.

١٤- بوصلة فتح تتجه نحو فلسطين

و لأنها جعلت من فلسطين، ومن القضية الفلسطينية المادة اللاصقة، المادة الرابطة، المادة الجاذبة لكافة الأفكار والأيديولوجيات والفلسفات الاجتماعية السياسية فإنها رفضت التنازع الأيديولوجي والتشريح الطبقي، والتفرقة الدينية والاختلاف العشائري والفرز الطائفي أو الجهوي. وأمنت في نفس الوقت بالله وبالوطن، وبقدرتها على تحقيق النصر فكان التمحور لأعضاء الحركة مركزا حول الهدف الأكبر والغاية الأساس وهي تحرير فلسطين.

ولان التمحور كان حول فلسطين، واتجاه بوصله (فتح) هو فلسطين، فلم تستتبع الحركة وحتى الآن لا ليمين ولا ليسار، ولا لدولة تقدمية أو رجعية، لا لهذا النظام ولا ذاك، وبقيت تحتفظ باستقلاليتها (القطرية) ضمن خط الرفض للإقليمية والتثبيت المستمر للعمل القومي العروبي للقضية الفلسطينية.

ولأن الثورة الفلسطينية، والقضية الفلسطينية انطلقت في الزمن المستحيل فلقد كانت لها خصوصيتها التي معها غدت الاستقلالية مطلبا يتكامل مع العمل القومي ولا يتنافر معه، أنها رؤية خاصة ضمن الرؤيا العامة ... فلم يكن هناك من (فتح) لا سؤ توقيت ولا توريط ولا تخبط في التخطيط فيما أطلقت عليه الأنظمة العربية التي كانت قائمة في الستينات (التاءات الثلاثة) لتتحلل من التزاماتها القومية تجاه فلسطين. إن إيمان فتح لم يتزعزع حتى الآن بأن قاطرة (فتح) والقضية تحتاج للقطار العربي لذلك كان العمق القومي لها مما لا مناص منه.

لقد حاولت عديد التيارات والطحالب والنباتات المتسلقة على جسد الحركة أن تحرف البوصلة، وان تطوع الفكر، أو الاتجاه بعيدا عن فلسطين

وكادت أن تنجح في الخداع لبعض أبناء الثورة، لولا الوعي والصبر، والثقة التي يتحلى بها غالبية الكوادر الفتحويين الذين سرعان ما كانوا يطردون بمجموع وعيهم مثل هذه الظواهر، ويثبتون البوصلة باتجاهها الصحيح.

إن معنى أن تتجه البوصلة نحو فلسطين، هو أن ننحي جانبا كل الخلافات الداخلية، والخلافات الإقليمية، والخلافات العربية، ونضع فلسطين على رأس قائمة الأولويات، ولا نقبل بأن نجر لهذا المحور العربي أو الإقليمي أو ذاك، ولتبقى فتح (ثورة على الأعادي)، لان قضية فلسطين ليست قضية شعب فقط، و إنما قضية أمة وقضية أجيال. قضية الفلسطينيين وقضية العرب المركزية، وقضية جميع الأحرار في العالم.

١٥- معا وسويا ويدا بيد حتى النصر

لان (فتح) تؤمن بمدى قدرة العضو على العطاء، وبأن القدرة في حدها الأقصى لا تنطلق إلا عبر العمل الجماعي، وهو الممثل لمجموع قدرات الأعضاء، ليس بشكل حسابي تراكمي بسيط، وإنما بشكل يعترف بتنوع وتعدد ونسبية القدرات، التي على ذلك فإن تكاملها يعني أن (فتح) وليس عضو من (فتح) مرت من هنا، حيث تركت الأثر الإيجابي لمجموع جهود أعضائها بنسبة جهد كل منهم وتنوعه وتعدده، وكما حصل في عديد مواقع الثورة من الأردن فلبنان وسوريا إلى تونس وفي فلسطين، ولنفس السبب طالما ردد الأخ الرئيس القائد العام ياسر عرفات (معا وسويا ويدا بيد حتى النصر ونحو فلسطين) وهو الذي جعل من الشبل والزهرة العربيان الفلسطينيان رمزا للنصر لأنهما سيرفعان علم فلسطين فوق أسوار ومآذن وكنائس القدس الشريف.

إن العمل الجماعي هو ناتج الإرادة الجماعية وناتج عمل الطاقات أو القدرات المتنوعة التي تعمل معا بروح معنوية عالية، بتناغم، بتعاون، بتناسق يحقق الهدف ضمن خطة آمنت (فتح) بضرورة توفرها، ولم يكن حث وتحفيز الحركة لأعضائها على العمل الجماعي بنقيض أو إلغاء للشخوص أو للمبادرات،

وإنما دفع لاحتضانها ضمن عمل الفريق ومن خلال العمل الجماعي (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما) سورة النساء ١٧٥.

١٦ ـ العضو الفعال هو العضو الملتزم:

لأنها حركة فإنها في الاتجاه المناهض للسكون، ولانها حركة (فتح) فإنها وضعت في صلب نظامها الأساسي بنودا تحدد الواجبات والحقوق للأعضاء أو عناصر الحركة، واشترطت ممارستها لاستمرار العضوية وعدم انقطاعها، وجعلت التدرج عبر الهرم التنظيمي (هيكل توزيع الأعضاء والمراتب والمهمات والنشاطات) مرهونا بمدى عطاء وفعالية العضو من جهة، وبمدى فعالية المؤتمرات المنضبطة لقواعد النظام والتي من خلالها تبرز الكوادر وتنتخب القيادات، إن العضو الفعال هو من يعطي بلا حدود، ومن يقدم بلا انتظار ثمن، من يخدم بكل طاقته ومن يكن كذلك فإنه بالأصل عضو ملتزم.

لم تقبل (فتح) من الأعضاء الخمول ولا الكسل، ولم ترض منهم الانزواء والعزلة كما أدانت في الأعضاء حب الظهور والفعل الاستعراضي على كثرة محبيه ورواده، وربطت الحد الأقصى من الأداء، العمل، العطاء (أي الفعالية) بمدى الطاعة الواعية (الالتزام) بفكر ونظرية وأهداف وهياكل وسياسة وديمقراطية الحركة، فلا تنظيم بدون أعضاء مؤمنين وملتزمين، والعضو الملتزم هو العضو الذي يقدم أقصى طاقاته لخدمة تنظيمه وجماهيره وأهدافه وقضيته، ولا ديمومة بدون أعضاء ملتزمين، ولا تواصل بدون فكر موحد يلتزم به الأعضاء، فيحملهم ويحملونه.

١٧ ـ فتح وقانون المحبة

لقد استطاعت حركة (فتح) أن تتجاوز الكثير من الصعوبات، والكثير من المشاكل الداخلية، والعديد من الأزمات بحكمة قيادتها، ومرونتها وقدرتها على استيعاب ورعاية التعددية تحت مظلة (فتح)، ورغم الاستغلال الكبير للمنحرفين لمثل هذا المناخ التنظيمي في التجنّح أو التكتل أو التمرد وكما حصل في الانشقاق عام ١٩٨٣ إلا أن هذا المناخ الحر والديمقراطي والمرن، الاستيعابي، التعددي، الحكيم المرتبط بقانون المحبة استطاع أن يجمع أعضاء الحركة ويكرس جل جهودهم على تعدد آرائهم في أساليب تطبيقاتهم وتصرفاتهم في مواقف معينة، لقد استطاع قانون المحبة أن يقود أطر الحركة إلى بر الأمان بالتركيز على الهدف الأكبر، وعلى دعم التواد والتراحم والمحبة بين الأعضاء ، ونقل الشدة والصلابة والخشونة والصدامية في مجابهة العدو (رحماء بينهم أشداء على الكفار) سورة الفتح ٢٩.

إن قانون المحبة الذي يجمع كل الأعضاء، ويقربهم من بعضهم البعض، وينمي فيهم الشعور بالاخوة أو الرفاقية، والذي أمكن باستخدامه تجاوز عديد الاشكالات وتقويم عديد السلبيات والمسلكيات الخاطئة وتقريب وجهات النظر وتوطيد الأواصر المتفككة، لم يكن ليعني رفضا للنقد والنقد الذاتي وإنما عمل هذا القانون غير المقنن كمواد نظامية جنبا إلى جنب مع تكريس مفهوم النقد والنقد الذاتي من جهة، ومع تطبيق النظام الأساسي بمنطق المتابعة الدورية والمساءلة والمحاسبة الذي حكمته طبيعة المشاكل أو المواقف أو الظروف الداخلية والخارجية.

١٨ - (فتح) فكر الوسطية في المحيط العربي الإسلامي

إن الفكر باعتباره إبداع إنساني، وتعبير عن واقع مرتبط بالمثل والقيم والمعتقدات، أدراك يمنح الشيء ألوانه، يفترض التعدد، ويفترض التطور، كما إن

التفكير المستقيم يفترض المرونة بحيث يتضمن الثبات في جوانب والحركية في جوانب، يفترض الجدة المنبثقة عن الأصالة، ولا يعترف بحداثة منقطعة عن سلف ولا بالإغراق في التاريخ أو القوالب الجامدة. إن التفكير ونتاجه الفكر بهذه الفلسفة أو النظرة الشمولية هو ما طبقته حركة (فتح). ولان الفكر مرتبط بالواقع، والواقع الاجتماعي الفلسطيني مرتبط بواقع المجتمع العربي، وفكر حركة (فتح) هو فكر الجماهير لذا ففكرها بالضرورة قومي عربي حضاري.

إن المجتمع الفلسطيني على تعدد شرائحه وفئاته محافظ أجمالا بمسيحية ومسلميه، لذا فهو فكر الحضارة العربية الإسلامية الذي لا يسقط القديم إسقاطا تاما ولا يتعلق بالحديث ذو الجذور الثابتة في تربة غير عربية أو فلسطينية، لذلك فقد كان فكر (فتح) في واقع الأمر، ورغم محاولات شده وجذبه من تيارات وتكتلات في الحركة نحو اليسار حينا ونحو اليمين حينا، بقي فكر الوسطية، الفكر الجامع لكل أصحاب الديانات السماوية ولكل أصحاب الأيديولوجيات غير المتحزبين ما دام فكرهم ينطلق من الإيمان الروحاني، والإيمان بفلسطين، وبقيم الحرية والعدالة والتقدم والثورة.

إن الحضارة العربية الإسلامية هي حضارة امتنا العظيمة وحضارة شعبنا الفلسطيني البطل بمسلميه ومسيحييه، وهي الحضارة التي تركت آثارا لا تنمحي، فنشأت عشرات التيارات والأحزاب القومية والإسلامية وكانت فتح في هذا الخضم ممثلة لفكر فرسان العقل في متن الحضارة العربية الإسلامية وحاملة لواء الوسطية فلا تطرف ولا تهاون، ولا تشدد ولا غلو، فعبرت بذلك عن فكر وواقع وممارسة غالبية الجماهير. قال تعالى:"وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا". سورة البقرة (١٤٣) وكما قال الشاعر "لا تذهبن في الأمور فرطا ولا تسألن إن سألت شططا وكن من الناس جميعا وسطا".

١٩- فتح الحرث في حقل الذات

لقد عانت الذات الفلسطينية، والشخصية الوطنية على اثر نكبة ١٩٤٨، ثم على اثر نكسة ١٩٦٧، عانت معاناة الجريح الذي ينزف ولم يندمل جرحه، كما عانت معاناة المريض مرضا مزمنا ولفترة طويلة، فتشتت الذات بين أحلام كبار وبين واقع شريد ممزق بائس، حزين، وبين ماض آمن، وردي، مستقر.

لقد عانى جيل النكبة من الضياع وتخبط في البداية - باتجاه بحثه الدؤوب عن الهوية عن الشخصية الوطنية، عن الإخلاص، عن الوصفه أو التميمة التي تنتشله من واقعه وتنطلق فيه إلى أفق المستقبل الواعد بتحقيق العودة لأرضه وإزالة الاحتلال الصهيوني عن بلاده، فكانت الانتماءات المتعددة لمختلف الأحزاب والمنظمات التي نشأت آنذاك، وعبرت عن الذات الفلسطينية في الفكر العروبي أو اليميني أو اليساري، إلى أن جاءت (فتح) واستثمرت مرحلة الصراع في البحث عن الذات، مرحلة صراع السيوف الخشبية والمناظرات الفكرية الخاوية فانتشلت الذات الفلسطينية من أفق الصراع الفكري النظري المحض ودمجتها في مسيرة الفعل عبر العمل العسكري والإعلامي والسياسي والاجتماعي النقابي واستطاعت بذلك أن توظف عديد الطاقات في مجرى نهر الثورة المتدفق. فأعادت بذلك اللحمة والتماسك للذات، وبعثتها من جديد وطنية ثورية مناضلة مقاتلة بناءة.

لقد سعت (فتح) لاستثمار الذات الفلسطينية بنقلها من الحرث في حقول الآخرين إلى الحرث في حقل الذات الفلسطينية، فكانت السمة القطرية وكانت الاستقلالية، وكانت (م.ت.ف) جامعا، وكان أن أعيد بناء الذات والشخصية الفلسطينية بروحها وعقلها وجسدها التي كادت بإنهاكها أن تمحى أو تضيع من الآخرين أو تطمس أو تقتل. قال تعالى:"من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب". سورة الشورى (٢٠) .

٢٠ - قواعد المسلكية في المجال الجماهيري

تهتم حركة (فتح) بالقيم وبالمسلكيات لذلك أفردت لها دراسات وأبحاث وأدبيات خاصة فكانت قواعد المسلكية الثورية في المجال التنظيمي، والسياسي والعسكري وفي المجال الجماهيري تلك الخاصة للكوادر المتقدمة وكما كان اهتمام الحركة بعملية البناء المتكامل للشخصية الفلسطينية الفتحوية بعناصرها الأربعة: الروح والنفس والفكر والجسد، فإنها تهتم بالعلاقة مع الجماهير، فجعلت من محبتها والتعاون معها واحترام عاداتها وتقاليدها والاعتماد عليها وتعليمها والتعلم منها مبادئ للسلوك القويم مع الجماهير، ولان (فتح) احتفظت بطابع الثنائية الطلائعية والجماهيرية لم تعزل نفسها عن الجماهير، ولم تميز نفسها عنها بل عبرت في عديد المواقع والمواقف والمسلكيات عن مدى ارتباطها والتحامها ومحبتها للجمهور واحترامها له، وعدم تعديها أو إساءتها أو تكبرها أو تعاليها أو احتقارها أو تسفيهها لهذه الجماهير أو قطاعات منها: فكانت مختلف الهبات والتظاهرات والفعاليات والنشاطات تعبر عن مدى الزخم الجماهيري الملتقي مع طبيعة العلاقة التبادلية الإيجابية بين كوادر حركة (فتح) والجماهير والتي اعتبرتها (فتح) المد الرئيسي والدائرة الأوسع المحيطة بأعضاء وأنصار الحركة.

إن بعض السلوكيات السلبية التي مارستها أعداد مرصودة من عناصر الثورة تجاه الجماهير في مختلف المراحل والمواقع والمواقف أدت لعزل مثل هؤلاء، وركنهم في الزوايا السوداء للذاكرة الوطنية والشعبية، وحصرتهم رغم محاولاتهم إعادة تلميع أنفسهم وبعثها في كل مرحلة بشكل جديد، حصرتهم في نطاق المنافقين أو الثقوب السوداء في الصفحات البيضاء لسفر الثورة الكبير.

إن السلوكيات السلبية الموروثة عن عهود العتمة والتي تزاولها قطاعات أو شرائح من الشعب كانت مجال النقد والتقويم من قبل الثورة بالقدوة، والأمثولة الحسنة، ومحاصرة السلبيات، وليس بالقسر أو التعنيف أو التحقير أو البتر، فالمجتمع أو التنظيم كيان حي نابض شامل للحق وضده وللصواب المتعدد وضده، وللآراء غير المتماثلة، والأفكار والقدرات المتفاوتة التي يجب أن ترعى وتهذب

بالقيم وقواعد السلوك والقدوة. قال تعالى:"لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة". الممتحنة (٦).

٢١- ضد الفساد والإفساد

كما هو الحال بالنسبة لحياة أي جماعة أو مجتمع، لا بد وان تشوبها النزاعات والمشكلات والأزمات، كل ذلك في متوالية الصراع الدائم الذي قد يتخذ أشكالا عدة ولكنه في عمومه يتراوح بين الوسطية والحدين القصيين للشيء أو موضوع الصراع.

وما كانت حركة (فتح) بتلك الحركة المنزهة عن الصراعات أو عن الأزمات أو المفسدين. وفي تاريخها الطويل وحتى الآن استطاعت وعبر قانون المحبة كما ذكرنا أن تقضي على كثير من المشكلات والنزاعات، وبتطبيق النظم الأساسي والمساءلة والمحاسبة حلت نزاعات أخرى، إلا أن استفحال عدد من الظواهر حال دون فعالية قانون المحبة والنقد والنقد الذاتي وصعوبة تطبيق قانون العقوبات وخاصة مع أولئك الانتهازيين والفاسدين المفسدين، فأصبحت (فتح) ومنظمات (م.ت.ف) في مرحلة من المراحل حبلى بالتيارات الفكرية، وفي مرحلة أخرى مليئة بالأفكار الانشقاقية العسكرية السياسية، وفي مرحلة أخرى ظهرت على السطح عصابات الفاسدين أو المفسدين في منظمات الثورة، وعصابات المافيا والزعران في مرحلة السلطة.

لا بد أن المتتبع لمسيرة الثورة وتنظيماتها يلاحظ مثل هذه الظواهر، وقد يحلو للبعض أن يسم الجماعة أو المنظمة هذه أو تلك بسمات بعض الفاسدين المتسلطين الذي قد يظهر أن هناك صعوبة في إسقاطهم، أو المفسدين الذين يزينون الخطايا، ويقلبون الحقائق، ويسرقون أحلام الشعب، وينهبون مصالحه، إلا أن الفكر القويم (الثوري) والعمل الثوري والرجل الوطني هو الذي لا تحبطه مثل هذه الظواهر، بل هو ذلك الذي يظل متشبثا بالعقيدة رغم الزيغ والضلال الذي يحيط به ليصور له المبدأ انحرافا، والمستقيم معوجا، من قبل أولئك المتسلطين الفاسدين المنحرفين، ويظل الرجل الثوري صامدا محافظا على قوته في صبر

ودأب وعمل لمرحلة قادمة، متمسكا بدينه ومبدأه وتنظيمه ووطنيته وفكره، وان كان ذلك له كشخص ولغالب كوادر تنظيمه كالقبض على الجمر.

لذلك فان الانتماء لحركة (فتح) ليس امتيازات وتشريف كما قد يرى أو يفهم ذلك بعضهم اليوم، و إنما تكليف وعطاء مستمر وقبض على جمر النار.

٢٢- فتح الثورة، فتح البناء،،،

هل نتصور لحركة تنامت وعظمت، تطورت ورسمت أفقا للعمل الثوري تتقدم أحيانا، وتكبو أحيانا أخرى، هل نتصور لمثل هذه الحركة أن تعجز عن وضع الأسس لمرحلة قطف الثمار؟ وهل نستطيع أن نقول أن عقلية الثورة من الممكن أن تنفتح لتتعاطى مع مرحلة الدولة والبناء والمؤسسات؟ والإجابة هنا بكل تأكيد نعم.

إن فتح الانطلاقة اختارت نهج الكفاح المسلح وحرب الشعب طويلة الأمد ، وأسلوب الانتفاضة ، ضمن رؤية واضحة لطبيعة المتغيرات السياسية المحيطة بالوطن والقضية، وتعاطت مع العوامل الخارجية بمنطق كسب الدعم للوليد الذي لا يستطيع السير إلا استنادا للآخرين، فلما شبت وكبرت استطاعت أن توفق بين العوامل الداخلية في الإطار الفلسطيني وتلك الخارجية، ولكن الحال كان غير الحال. فصنعت فتح عقلية المراحل وخاضت النضال بأشكاله المتعددة العسكرية والسياسية والجماهيرية والإعلامية..الخ آخذة بعين الاعتبار حسن تخير السلاح المستخدم وفق متطلبات المرحلة (تعانق الأحداث مع الزمن ضمن معطيات عوامل القوة) .

لذلك فان ما يحمل مثل هذا الفهم من الممكن أن يتعامل مع الأعضاء والجماهير والأصدقاء والاخوة والمرحلة السياسية بعين الناقد والمفكر والمبدع الذي لا يجمد عند أسلوب أو فكر منغلق، وانما ينطلق لإنشاء الأفكار الجديدة والرؤى الجديدة التي تتعامل مع ضرورة إحداث النقلة في التفكير من التخبط

والعشوائية ونقص التخطيط والتنظيم والمتابعة إلى عقلية المؤسسات وهو ما تسعى إليه (فتح) في ظل الدولة الفلسطينية المستقلة.

٢٣- ثورة حتى النصر

لكل ما سبق ننتمي وننضوي، نشترك ونعتبر أنفسنا جزء من حركة (فتح) ولأن الإنسان كائن اجتماعي، لا يعيش وحيدا أو منعزلا، وانما خلق ليعيش في جماعة أو جماعات ضمن المجتمع... كانت (فتح) هي التعبير اللطيف عن الجماعة المنظمة أو التنظيم الذي يتسع للتباينات والتعددية والفروقات الطبيعية والشرائحية الممثلة للشعب، ولكن المندمجة في فكر ومبادئ حركة (فتح) والتي كانت وما تزال التضحية والإيمان بالنصر من أهم مبادئها التي يعبر عنها في الإيمان المنطلق من شعارها الخالد (ثورة حتى النصر)، ولأنها (ثورة حتى النصر) كانت فتح رفضا للموت برفض اختصار اسمها إلى (حتف) وقلبا له إلى الفتح المبين في (جهاد نصر أو استشهاد) شعار الشهيد القائد عز الدين القسام المتطابق مع شعار (الثورة حتى النصر).

ولأنها التنظيم الذي عبر عن وعي وفكر ومصلحة وتراث وتطلعات الجماهير الفلسطينية بصفتها الإطار الفلسطيني لأوسع انتماء جماهيري، فإنها قد تكون اكثر التنظيمات معاناة من الظواهر الانتهازية والتسلقية وتلك الفاسدة أو المفسدة -كما أسلفنا- والتي نظرا لطبيعة الحركة الطلائعية والجماهيرية لا بد وأن تنمو على هامش الحركة وفي صلبها، والتي يجب أن تتلخص منها الحركة في إطار تكريس مبادئ الإيمان بالله والوطن والتضحية والثورة حتى النصر على الأعداء.

لقد طرحت (فتح) شعار الدولة الديمقراطية على كامل التراب الوطني الفلسطيني، أي على مجمل مساحة فلسطين التاريخية، وبحدود الانتداب البريطاني، ورغم واقع القبول الحالي بأجزاء محدودة من أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة، فإن انطلاق الفكر الفتحوي الجديد نحو بناء دولة فلسطينية مستقلة

على شطري الوطن، لا يلغي سعي الحركة وان بأساليب جديدة، ديمقراطيـــة، أو منبثقة عن فهم متطور لعوامل القـــوى وطبيعـــة الصـــراع وعواملـــه الداخليـــة والخارجية، لا يلغي ولا يسقط بل يدفعنا لان نبدع أفكارا وأساليب ومفاهيم جديـــدة تحقق الدولة الديمقراطية على كامل التراب الوطني الفلسطيني. ليكتمـــل جنـــاحي الشعار الدائم (ثورة حتى النصر) وهما التضحية والنصر اللذين ابتدأت فيهما فتـــح بالاتكال على الله في بيانها الأول. في ١٩٦٥/١/١ قال تعالى:"فإذا عزمت فتوكـــل على الله إن الله يحب المتوكلين". سورة آل عمران (١٥٩).

خلاصة

لان (حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح) حركـــة تواصـــل ودأب لا يستكين، ولأنها الرافعة لشعب رفض اليأس والاستسلام، وحولته لنسور العاصفـــة القوية التي تفجر براكين غضبها في مواجهة المحتل، ولأنها أعطـــت تجســـيدات مادية حياتية يومية في مسيرة الثورة عبر كوفية الختيار، ولأنها حركة الأصالـــة والتاريخ والتراث والتقدم المقترن بالاستنهاض لكل القـــوى والطاقـــات الفكريـــة والنفسية للشعب لتقدم له رؤيا جديدة، وبناء ثقافي متجدد، ولأنها فتح فهي تمـــرد على واقع فاسد وامتداد لثورات كانت متميزة فأبدعت فكرا وممارسة وارتبطـــت بقدرة فائقة على فهم المراحل، والتجدد في الوسائل والتفوق في استخدامها.

لكل ما سبق انتمينا لحركة (فتح) ولكل ما سبق ننتمي لفتح ولأنها أيضـــا حركة الفكر المعبر عن واقع الشعب الرافض للفذلكات الأيديولوجيـــة والقوالـــب الجامدة، ومناهج الحكم على الآخرين عبر النظريات لا الممارسات، ولأنها ألقـــت بالتنظيرات الفارغة، والانقسامات النظرية وراء ظهرها صنعت الحدث، وتركـــت للآخرين التعليق ولأنها حققت الثورة وستحقق الانتقال الآمـــن لفكـــر المؤسســـة والدولة ولان فتح إطار وحدوي بقبولها لكافة أفكار مـــن خلعـــوا رداء حزبيتـــهم وانضموا لها، وقبولها للآخرين ضمن العمق الوحدوي الذي مثلته (م.ت.ف).

وبعمق الثورة وبعمق (فتح) الحضاري العروبي الإسلامي مثلت فكر فرسان العقل في التاريخ العربي الإسلامي، فكر الوسطية. ولأنها (فتح) كانت ديمومة الثورة فلم تنزوِ ولم تركن جانبا واستمرت تتجه ببوصلتها نحو فلسطين ولم تنحز لهذا النظام السياسي العربي أو ذاك. ولأنها حركة (فتح) فهي حركة القيم والمسلكيات القويمة في كافة المجالات وفي أطر التنظيم ومع الجماهير مدد الثورة الرئيس.

وأيضا فان (فتح) آمنت بالطليعة ودعمت المبادرات ومارست العمل الجماعي وحضت عليه وسمحت بتفتح ألف زهرة في حركة (فتح). وكرست فتح في أطرها التنظيمية مبادئ الالتزام والانضباط، وجعلت من العطاء والجدية مقياس فعالية العضو، ونمت الروح المعنوية، ونشرت قانون المحبة بين الأعضاء، والنقد والنقد الذاتي، وشكلت بذلك الشخصية الوطنية الفلسطينية وحولت حرثها لحقل الذات، ولتمارس رفضها للانتهازيين والمفسدين والمتسلقين، وتحقق شعارها الخالد المرتبط بالإيمان بالله عز وجل والوطن وضرورة التضحية وتحقيق النصر (ثورة حتى النصر)، لكل ذلك واكثر نحن نفتخر بأننا ننتمي لحركة (فتح).

فتـــــح ضد فتـــــح!

مقدمة

اختلف مع زوجته خلافا شديدا ولم يستطع أن يطلقـــها لطـــول العشـــرة والأولاد وخوفا من عشيرتها وحفاظا على مصالحه الاقتصادية التي نشـــأت مـــن زواجه بها ، وحرصا على سمعته الاجتماعية وعلى خياره الذاتي بالاقتران بـــــها وصونا لمركزه الإداري في العمل وانضباطا لموقعه التنظيمي وتحقيقـــا لســـريان نفوذه ، فهداه تفكيره (وما كان في ذلك هدى) أن يعاقب زوجته بما يســـتطيعه ، فماذا يا ترى فعل ؟ قام مشكورا بخصي نفسه؟! وهكذا هي نتيجة العلاقـــة غـــير السوية التي قد تحدث بين الشركاء في البيت أو المؤسسة أو الدولة ، ولأن العلاقة بين حركة فتح تحديدا والسلطة الوطنية الفلسطينية علاقة متشابكة ومركبة وصعبة جاءت من أن فتح هي التنظيم ذو الثقل الأكبر في السلطة ، والسلطة مشروع فتـح ، وفتح لم يعد بالإمكان تحديدها بأشخاص أو فكر أو زمن أو جغرافيا فهي في كل شيء وفي كل مكان فوق الأرض وتحت الأرض في الصالح والطالح ، عند التقي وبين أحضان الفاسد ، لذلك كان لحدث مروع مثل مقتل فتاة بريئة من البيرة علـى أثر خلاف عائلي أو خلاف بين عصابات وزعران أن كانت ردة الفعل بـــإصدار البيانات وتكسير عدد من المحلات وإغلاق البلد بالإضراب تعبر عن مجتمـــع أو تنظيم لا يقبل الظلم والفساد من جهة مهما اصطبر عليه ، وتعبر عـــن مســـلكية تخريبية متشابهة بين الطرفين المسيء والمحسن الباني والهادم ، المحق والظالم .

واليكم مقاطع من البيان الهادر الصادر حول الحادثة التي ابتدأنا بذكرهـــا ورقتنا هذه إقحاما متأخرا ولكن بما قد يفيد العنوان كالتالي : (أذن للذين يقـــاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير) صدق الله العظيـــم (؟!) يـــا جمـــاهير العطاء الفلسطيني : رفعت الأقلام وجفت الصحف .... بلغ السيل الزبى ولم يعـد

بالإمكان الاصطبار أو التريث على ما يجري في هـذه الأرض المباركـة التـي تدنس بروث قلة قليلة فاجرة قد أفلت عقالها .... واسـتباحوا كـل المحرمـات وتجاوزوا وتمادوا وبلغو مبلغهم في الجور والفساد .... فمن حلم الدولة المسـتقلة دولة حق المواطن ، دولة الديمقراطية التي تعطي كل ذي حق حقه وتبدد الحلـم في حلكة ليل الظلم وإهدار حقوق الشرفاء والمواطنون (كذا)

وكان الانتظار طويلا لنكشف جميعا أن هناك جزرا وانحسـارا لوجـود الشرفاء بين المتنفذين وأصحاب القرار في هذه الدولة وسـاد منطـق الاسـتزلام والعصابات المافيوية المدعومة من مجموعة من قياديي هذا البلد الشريف الطـاهر يبرمجونهم ويلبون لهم غاياتهم الدنيئة ...ويضيف البيان أن العصابة التي قتلـت الفتاة : نمت وترعرعت في أكناف وجود سلطتنا الفلسطينية حيث اعتـاد هـؤلاء على النهب والسرقة وقطع الطرق والابتزاز نـاهيك عـن تجـارة المخـدرات والسيارات المسروقة وتجارة السلاح ...الخ ويختم البيان بطلب إنزال العقـاب الرادع بقتلة الفتاة (حيث لن يوارى جسدها التراب حتى تتمثـل العدالـة ويـأخذ القانون مجراه (؟؟!!))وطلب الضرب بيد من حديد وبلا رحمة أو هوادة وطلـب بفتح ملف تحقيق يطال مسئولي الأجهزة الأمنية ...والعمل على التطهير السـريع للمفسدين ويضيف أنه بناء عليه (فإننا باسمكم وباسـم كافـة الغيوريـن علـى مصلحة هذا الوطن نعلن عن استمرار الإضراب الشامل بمحافظة رام الله والبـيرة ...) أي نعلن عن خصي أنفسنا وتدمير اقتصادنا بتوقيع حركة التحرير الوطنـي الفلسطيني فتح وجماهير محافظة رام الله والبـيرة؟!فـي البيـان المـوزع يـوم ٢٠٠٠/٧/٢.في رام الله والبيرة.

مرجعية وقدوة ورؤية

لم يكن مقررا أن أُدخِل هذه المقاطع من البيان المذكور في هذه الورقـة إلا أن الـتأمل في الحدث فرض نفسه لان ما حصل في حادثة القتل ذات الطـابع

المدني الجنائي وخروج تفاعلاتها عن حدها الطبيعي جعلني أعيد قراءة ما كتبت وأسأل وأستفسر عدد من كوادر التنظيم وقيادات الأجهزة الأمنية بما يفيد نقض أو تدعيم –استخلاصا من هذه الحادثة ومثيلاتها ما كتبت مسبقا–فكانت الآراء على الوجه التالي : شبه إجماع من حركة فتح – من التقيت – وقيادات السلطة على أن القاتل وعصابة حوله رجل فاسد وكان قد أعتقل وسجن على أثر حركات زعرنة ورفض إطلاق سراحه لسوء سلوكه وعقليته التخريبية إلا أن تدخل عدد من الناس وكوادر فتح ؟! ومسؤول متنفذ أدى لاطلاق سراحه فكان أن حذره الأخ توفيق الطيراوي مدير المخابرات العامة في الضفة الفلسطينية من أن زعرنته ستجلب عليه الويلات فإما سيقتل أحدا فيقتل به أو يُقتل هو ، وكان الاحتمال الأول ما حصل فلقد قام المذكور بالقتل . وكان هناك استهجان للهجة البيان التهديدية–رغم جسامة الحدث ودقة الموقف – التي ابتدأت بآية قرآنية تدعو للحرب ، وبإلقاء كل اللوم على السلطة الفلسطينية دون أدني حق أو لوم على من يتسمون باسم حركة فتح ويؤازرون القاتل الذي هو وعصابته يعتبرون أنفسهم من كوادر فتح (؟!)وثالثا كان هناك رفض لتعطيل مصالح الناس وخسارتهم مئات الآلاف من الدنانير نتيجة الإضراب الذي فرضته مجموعات غير حكومية تتغطى بحركة فتح وجماهير المحافظة ، كما استهجن المعظم طلب البيان عدم دفن القتيلة إلا بعد أن يأخذ العدل مجراه وكأن الشارع بدأ ينصب نفسه في ظل الفوضى والأزمة قاضيا وحكما وسيافا وكما حصل في حوادث سابقة في قطاع غزة ، وينقض في نفس الوقت مبدأ إسلامي يعتبر أن إكرام الميت بسرعة دفنه ، وكانت الملاحظة الرابعة تنصل عدد من كوادر فتح من البيان القاسي رغم إقرارهم بكثير مما فيه.

وخامسا استغرب أحد مسئولي الأجهزة الأمنية المطالبة بمحاسبتهم وهم أول من قام بردع المذكور وعصابته ولم يطلق سراحه إلا بوساطات الناس واستنادا لتاريخه ولقيام متنفذ بكفالته كفالة تامة (لم تثمر على ما بدا) وسادسا وضع الكثيرون اللوم على أخ القتيلة لأنه من نفس فصيلة القاتل زعرنة وسوء

وفسادا ، وفي جميع الأحوال فإن القتل مهما كانت أسبابه غير مـــبرر ومـــدان ، وعلى القانون أن يأخذ مجراه دون تشنيع أو اتهام أو تـــهديد أو وعيـــد مـــن أي شخص لا في السلطة التنفيذية ولا في فتح ولا في الشارع الملتهب والقابل للتعبئـة والانفجار دوما بالكراهية والحقد والتعميم والتضخيم والإشاعات لافتقاد المرجعيـــة والقدوة والرؤية الواضحة وأهل الحكمة ؟؟!

تنزيم ومحسوم!

أصبح مصطلح (تنظيم) باللغة العربية متداولا باللغـــة العبريـــة، حيـــث لاحظنا ذلك حديثاً بعد مواجهات الأسرى وذكرى النكبة في شهر مـــايو ٢٠٠٠، على وزن ما وقع من اعتماد مصطلح (انتفاضة) بالعبرية واللغات العالميـــة وان بشكل أضعف، بمعنى أن المصطلح فرض نفسه كما الحدث أو مســبب الحـــدث، وقد يكون هذا مما يفرح، لان فرض المصطلح قد يكون مقدمة لانتزاع الاعـتراف لا سيما وأن أحد أشكال صراعنا مع الإسرائيليين هو صراع (مصطلح) ذو العمق الأيديولوجي التاريخي، فهم يستخدمون يهودا والسامرة ونحـــن نســتخدم الضفــة الغربية، وهم يستخدمون جسر اللنبي ونحن نستخدم جسر الملك حسين أو جســـر الكرامة، هم يسرقون الأسماء الكنعانية القديمة، ويطلقونـــها علـــى المســتعمرات (المستوطنات) بادعاء يهوديتها مثل (بيت ايل) و(كريات أربع) ... الـــخ، حيـــث يمثل إيل أحد آلهة الكنعانيين وأربع (مذكر رابعة) أحد وجهاء الخليل الكنعـــانيين الذي سميت المنطقة باسمه (قرية أربع) وهكذا في مختلف الأمور، ولكنـــه فـــي الاتجاه الآخر هناك تأثر وتأثير فعدد كبير من الكلمات العبرية الحديثة (وان كـانت أصول بعضها عربية) أصبحت متداولة في مناطق السلطة الفلسطينية دون حـــرج للأسف مثل (محسوم = حاجز) و (رمزون = إشارة مرور) و(بلفون = خلوي) و (مخشير = لاسلكي)، وهذا من دلالات الجوار والتأثر والتأثير كما قلنـــا. وعـــود على مصطلح (التنظيم) الذي استخدمه الإسرائيليون حديثاً مقرونـــا بالمواجـــهات نقول انه من المفرح في الصراع الحضاري أن ننتزع اعترافاً ولو مـــن الكلمـــة

كبداية، ولكن غير المفرح في الموضوع أن يكـــون هـــذا التنظيـــم (أو التـــنزيم) المطلوب تجريده من سلاحه، والذي قد يرى البعض انه أبلى بــــلاءً حســـناً فـــي المواجهات الأخيرة، ويرى البعض الآخر انه كان مدفوعاً من أطراف خارجيـــة، ويرى آخرون أنه (زودها حبتين) وآخرون يرونه رمزا للشجاعة والإقدام ، أقـول أن غير المفرح فيه هو اقتصار برامجه وخططه أن وجدت على شكلين أساســـين فقط الأول هو عقد المؤتمرات والاجتماعات العامة والثـــاني هـــو المـــهرجانات (وأحياناً المواجهات) ، وفي الشكلين يتخذ الحشد الجماهيري (التنظيمي) صفاتـــه المرتبطة بطبيعة المؤتمر سواء كان مؤتمر الإقليم أو المنطقة أو الشبيبة أو النادي أو .. الخ، بمعنى أن الوجوه على كثرتها كقاعدة تتكرر في كل مكان وكأنها تنتقل من مؤتمر / اجتماع / مهرجان إلى آخر، بحيث أن مفـــهوم العمـــل التنظيمـــي والخطة التنظيمية والفكر التنظيمي أخذ يتبلور حول الوسيلة أو الأسلوب باعتبارها خطة أو فكرا أو هدفاً وتقصد بوضوح تحويل هـــذه المؤتمـــرات والمـــهرجانات والاجتماعات إلى هدف بحد ذاته فما أن ينعقد مؤتمر لنادي أو إقليم .. الخ تسيطر عليه فتح (باعتبار أن كلمة تنزيم التي يستخدمها اليهود يقصد بها تنظيم حركـــة فتح) ويتم الفرز وظهور النتائج حتى تبدأ (القيادات) التنظيمية بأعداد العدة لأمرين لا ثالث لهما وهما المهرجانات مع الاجتماعات والإعداد للمؤتمر القادم.

لقد تحولت الانتخابات إلى سلسله لا تنتهي حتى تبدأ، تشـــعر الأعضـــاء والكوادر و(القيادات) بالتحفز الدائم، والتنبه الشديد، والضغط باتجاه الحفاظ علـــى الموقع وما قد يجلبه من امتيازات ومصالح تبدأ من القدرة على مخاطبـــة القيـــادة السياسية ولا تنتهي عند تسلم الموازنات. بل وأزداد الضغط النفسي على العناصر والكوادر بحيث تحولت الرغبة بالاحتفاظ بالمكانة المستمدة من الموقع التنظيمـــي إلى عمل إصطفافات ودكاكين واستزلامات ثانوية وثالثيه في ظـــل أن الإســـتزلام من الحلقة الأولى (اللجنة المركزية) قد فقد وهجه أو انتهى تقريباً مع الدخول إلـــى الوطن.

كسر العظم ونظام اللا بأس !

لقد أزداد شعور الحقد وعدم التسامح-كما ألاحظ وأرجو أن أكون مخطئا- فالخطأ من أحد كوادر التنظيم ضد الآخرين يقابل بالتعنيف وربما بالقطيعة مصطلح (كسر العظم) الذي كان سائدا" بين التنظيمات المختلفة فكريا" وأيديولوجيا "أصبح سائدا" داخل تنظيم حركة (فتح) نفسه، فلا تهاون ولا حلول وسطى فالانتخابات (المسماة ديمقراطية) هي الحكم، ومن يتحكم بالصندوق يفرض النتيجة، ولا معقب عليه. لقد أزداد الشعور بالحق والضغينة فسن الجميع أسلحتهم وهي حشد الناس سواء كان من (التنظيم) أم من خارجه في حرب (كسر العظم) التي تلوح على أبواب كل مؤتمر.

التقيت مع العديد من كوادر حركة (فتح) من الشمال إلى الجنوب ومن جنين إلى الخليل إلى غزة، في جميع المستويات وما كان أكثرهم إلا مصادقاً على بعض أو كثير مما كتبت متفهماً الحرص على رفعة الحركة من نقد المظاهر السلبية فيها ، وقلة مَن هاجمت ما كتبت بأنه غير صحيح أو غير دقيق أو لأنني عائد، أو لأنني سلطة، أو لأنني مهندس، أو لأنني كاتب ويجب أن أقول شيئا". وفي كل هذه اللقاءات كان الاتفاق شبه كامل على أن المؤتمرات المعقودة هي تأسيسه وبالتالي لا بأس من الوقوع في عديد الأخطاء ولا بأس بتجاوز الأنظمة في كل موقع ومنطقة ونادي وإقليم ولا بأس من التراخي في العضوية، ولا بأس من إغماض العيون عن النتائج، ولا بأس من زيادة عدد لجنة المنطقة، ولجنة الإقليم في تنظيم حركة فتح........الخ من اللا بأسات (جمع لا بأس) وأقول معهم أيضاً لا بأس،لأن ما حصل قد حصل بحيث خرجنا حتى الآن أكثر من مائة نظام انتخابي، طوع كل منها بحسب المنطقة والمحافظة والعشيرة ولكن المفروض أن يعاد توحيد مثل هذه الأنظمة في نظام واحد وهذه حقيقة مسلمة قد لا تجد من قيادي كبير ليتبناها بل ليقول ليكن لدينا مائة نظام(؟!) فهم عجيب لحركة (فتح). ولمفهوم النظام! وبذلك تكون فعلاً فتح ضد فتح.

أن العقلية التجريبية حكمت حركة (فتح) سياسياً وتنظيمياً ولكنها كـــانت تُقاد بنظام أو قوانين (حتى وأن كانت غير مكتوبة) يتم الالتزام بها، وفـــي ظـل وضع مختلف كلياً في فلسطين، ليس من العيب أن نجرب مرات ومرات ولكـــن العيب أن لا نستفيد من ركام التجارب الفاشلة أو حتى الناجحة هذه، والعيب أن لا نلتفت إلى توحيد الأنظمة في نظام، والالتفات لوضع خطة عمل وبرامج وأهـداف تحقق البناء العقلي والجسدي والثقافي والإنساني والاجتماعي.....الخ، على غـرار ما يفعل الأخوة تنظيم حركة (فتح) في رام الله التحتا من دروس لمحـــو الأميـــة، ودورات للنساء، ومساعدات للمحتاجين، ودعم لروضة أطفال، وتجميـــع لجـــهود كوادر التنظيم في العمل الكشفي، وفي نادي إســـلامي رام الله الريـاضي.أنني اضرب بذلك مثلاً وهاجاً نرى مثله على امتداد الوطن، ولكن السمة العامـــة فـــي تنظيم (فتح) هي ما ذكرت سابقاً وما انتشرت في أذهان الكوادر و{القيادات}.

كلنا قيادات وإلا فلا

يكاد الوطن لا يخلو يومياً من دورة أو دورات في شؤون مختلفة، ويقوم بعقد الدورات مؤسسات حكومية أو شعبية أو منظمات غير حكومية أو التوجيـــه السياسي أو التنظيم وهذا أمر جيد ويُحض عليـــه، ولكـــن أن تكتشـــف أن عـــدد الدورات التي توجه لكوادر التنظيم من مختلف الشرائح وفي العديد من المواقـــع والمحافظات هي دورات أعداد قادة، يا لطيف؟! انه عنوان كبير لمضامين إداريـــة واتصالية واجتماعية وثقافية هي حقيقة هذه الدورات التي أطلعت بحكـــم عملـــي على برامج العديد منها. أن الخطر فيها لا يأتي من المضمون الذي بكثير منه جيد ومهم وان كان لا يخاطب بيئة فلسطين وبيئة تنظيم فتـــح، وإنمـــا مـــن العنـــوان (المصطلح) ذاته وهو بالخط الأسود العريض دورة أعداد قادة !! لاحظوا مـــدى الشحنة النفسية القوية التي تعطي لطالب مستجد في الجامعة أو الحركـــة ويـــأخذ دورة أعداد قادة (ده كلام كبير أوي) ولاحظوا مدى الاستخدام غير السليم لـــهكذا

دورات في العمل التنظيمي أو العمل الوظيفي أو حتى في العلاقات بين البشر في مجتمع يحبو نحو التقدم ، أن دورة أعداد القادة التي تستمر أسبوع أو شهر أو سنة تخرج قادة لا تستطيع أن تكلمهم، هكذا يتهيأ لمن يأخذ مثل هذه الدورات، ولنقل بعضهم، بحيث أن شعبنا الذي كله رؤوس وكله كان قائداً في الانتفاضة وكله كان قائدا في السجون وكله كان قائداً في لبنان وكله كان قائداً في الأردن قد ألغى كل أدوار العمل التي تنمط طبيعة العمل الجماعي مثل المفكر والمبتكر والمجدد والرئيس والفنان والمخطط والمنظم والناقد والمبادر والمنجز .. الخ من أنماط الشخصيات وقصرها على مفهوم القائد الذي يجب أن يأمر فيطاع أو الذي يجب أن تفصل له المواقع والأدوار سواء في التنظيم أو الجهاز أو الوزارة، وما هكذا أصلاً معنى القائد. أن التنظيم باعتباره المدرسة الرئيسة حالياً – برأيي على الأقل – في رسم اتجاهات الشخصية مطالب أن يتعامل مع التعبئة والتثقيف والدورات بحذر يأخذ بالاعتبار العقلية الفلسطينية السائدة، ويدقق في طرح المفاهيم والمصطلحات كي نستطيع معاً أن نبني حجراً في صرح الوطن.

التنظيم الساحر

أن تنظيم حركة (فتح) وتنظيمات الثورة الفلسطينية عموماً ، هي جزء لا يتجزأ من مجتمعها، بيئتها، قوميتها تتغير وفق معادلة التأثر والتأثير المنبثقة من مدى قوة العوامل الذاتية(للشخص أو التنظيم هنا) أو العوامل البيئية وهي قيم وسلوكيات وعادات وأفكار المجتمع والنظام السياسي، ومهمة التنظيم أو أحد مهامه الرئيسة أن يعبر عن فكر المجتمع ليس كما هو بغثه وسمينه وإنما يبرز ما تراكم فيه من إيجابيات ويصعد النضال المجتمعي لتغيير الذات (الشخوص) في التنظيم كمنطلق لتغيير محيطهم فيقع تأثيرهم عبر دوائرهم المختلفة، دائرة الأسرة، دائرة الأصدقاء، دائرة زملاء العمل ... الخ، ولكن أن ينسب لبعض (قيادات) التنظيم القدرات الخارقة على التوظيف (مدير فما فوق بالطبع) وجلب

الأموال، وحنكة إدارة صراع الفوضى وقدسية الطلعة البهية فأنـــه مـن التـأثير السلبي في المجتمع وبعض معتقداته والتي منها السحر (والسحر بحسب المعجـم البسيط كل أمر يخفى ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخـداع وهو حسب ابن خلدون: اقتدار النفوس على التأثير في عالم العناصر) وربما مـن هذه الكلمة جاء القول بان المرأة الفلانية ساحرة، تأخذ الألباب، والرجل الفلانـي مؤثر كساحر، وادعى ما نحتاجه في هكذا ظروف هو طرد السـحرة، وتحكيم العقل وبناء الفكر والاصطفاف وراء النظام الموحد.

عندما يتحول الأسلوب إلى أيدلوجية

ذكرنا أن التنظيم في حركة (فتح) اعتمد التجريبية، ومنها اسـتفاد – ولـو جزئياً – بإصلاح أخطائه، ولكنه في المرحلة الحالية استقر فكـراً وهدفـاً نحـو الاهتمام بالوسيلة باعتبارها هدف، وقد لا يكون هذا ببعيد عن طريقة تفكير كوادر الحركة عموماً الذين كان الكفاح المسلح بالنسبة لهم استراتيجية وأيدلوجية ومجـال فكر الحركة، بمعنى أن (الكفاح المسلح) كوسيلة أو شكل من أشكال النضال تحول لهدف وفكر، كما هو الحال عند الأخوان المسلمين أيضا الذين يحولـون التنظيـم بهياكله وشخوصه أحيانا إلى هدف وفكرة يجب الدفاع عنها على اعتبار أن قدسـية الفكر لديهم – أو لدى العديد منهم – مرتبطة بالأشخاص والهياكل (يراجعْ المفكـر الإسلامي عبد الله النفيسي). أحببت أن أضع مثل هذه المقارنـة لأقـول أن فتـح وغيرها من التنظيمات تعمد الخلط لتضع في برامجها ما يحرك الجمهور ولو كان مخالفاً للمفاهيم الصحيحة والتي أصبحت في (فتح) حالياً مؤتمرات ومـهرجانات وإضرابات ولا نرغب أن نحتسب المواجهات كأحد الأشكال السهل التعاطي معـها (باعتبارها موروثة من عهد الانتفاضة) ومن قيادة التنظيم والتـي تضيـف إلـى رصيدهم الشخصي، ما يخرج عن إطار فهم المواجهات في إطار الوطني العـام، المخطط له والقابل للاستثمار بقدر وميزان.

الاجتماعات والقنوات السرية

لماذا لا تسير الأطر بالشكل المقرر، دعوة، فاجتماع، فتـــداول، ونقـــاش، وتوزيع التكليفات والمهمات ضمن خطة عمل ثـــم محاســبة ومراقبـــة ومتابعـــة للتكليفات السابقة، لماذا؟ لماذا لا يّحترم الاجتماع ويأخذ طابعه القدسي بحيـــث أن أصحاب المرتبة المحددة هم فقط من يحضره، من يهتم بحضوره، يــــهتم بتنفيــذ خططه وتكليفاته؟ بكل بساطة لأن الاجتماع أما أن يتحول إلى (ديوان) أو لا يــأخذ قرار في نطاقه ومجاله، أو يصبح مجال سجالات ومبارزات، وبالتالي يتم النظـــر إليه كعبء يجب التخلص منه، لذلك لا يمكن صوغ طريقة تفكير واحدة، وجهـــة نظر واحدة أو وجهات نظر متقاربة. أن الاجتماع يفقـــد دوره كبــؤره للتثقيــف والتربية التنظيمية، ويفقد دوره كمؤثر ومحرض ومقرب ومخطط ومقرر فـــترى أفراد التنظيم – وأكاد أعمم هنا لأقول معظم التنظيمات الفلسطينية – تراهـــم دون رؤية موحدة، وإطار عمل موحد، ونسق فكري موحد، فكل (يعمل على رأســـه) ومن سيرده وكيف ولا مرجعية واضحة أو قناعة بالمرجعية، في ظل أن الخطوط باتجاه الرئيس والقيادة السياسية متاحة لمن استطال أو قزم. أن تشـــابك خطـــوط الاتصال التنظيمي وامتلاء الجسد بثغرات الاتصال السرية الخارجة عن الإطـــار (الهيكل) – غير الموجود أصلا – تجعل كلّ يختار مسئوله ويبدلـــه كمـــا يبـــدل جواربه في الصباح، وكذلك الأمر مع المسؤول الذي يعتبر أن فلان أو علان هـــو ابن التنظيم أم لا دون غيره. لقد شكلت قنوات الاتصال السرية (الجانبيـــة) كتـــلا غير مؤتلفة، بقعاً سوداء متناثرة، خيوط اتصال منفصلة، موارد تمويل خاصـــة، قوانين خاصة، أحقاد تتراكم، لا تصب إلا في مصلحـــة قـــرار شـــطب التنظيـــم (التنزيم) كجسد وفكر وهياكل وتعبئة وتأثير وقرار.

تصور صعوبة أن تلزم عضو في تنظيم (فتح) أو غير (فتح) مـــن عائلـــة (س) أو منطقة (ص)، أو ابن الثري (ع)، أو قريب العقيد (ل) أو المنتمي للجـــهاز

الأمني (ك)، أو المرتبط بالقائد السياسي الفلاني؟ هل تستطيع في ظل عدم قدرة التنظيم على فكفكه العلاقات غير الشرعية (السرية)، وفي ظل انصياعه لمفاهيم وعلاقات المجتمع السيئة الموروثة هل يستطيع أن يؤثر في عناصره أو يلزمهم بالاجتماع، أو بنتائجه أن حصل؟ بالطبع لا.

التنظيمات وعقلية المبالغة

على اثر وفاة ثلاثة من طلبة بير زيت في بحر عكا، قامت الدنيا ولم تقعد، وتم ترتيب جنازة لائقة بالثلاثة، وقطبت الوجوه، أغلقت الجامعة، وخيم الحزن على أوساط الطلاب وحزب الشعب الذي استثمر الحدث واعتصره ورسم شعلة جديدة في سماء الوطن (باستشهاد) الثلاثة، انتصر لقدرته على الاستقطاب وحاول كسر طوق التعبئة والاستقطاب المقتصر على حركة (فتح) و(حماس) و(الجبهة الشعبية) في الجامعة.

وعلى اثر استشهاد أحد الشباب المقدامين في مواجهات مايو ٢٠٠٠، مواجهات دعم الأسرى وذكرى النكبة، استثمرت الجبهة الشعبية لأقصى حد استشهاد الشاب وحاولت تحويل جنازته الطويلة إلى تظاهره جديدة، وبكل غرابة بهتافات (ضد السلطة؟)، ولوثت حوائط بنايات رام الله الجميلة بعبارات تشوه منظر المدينة وغريبة ليس اقلها اعتبار الشهيد (قائد معلم)؟

ونتيجة إغلاق محطة (وطن) المحلية عبر مباحث الشرطة بسبب الإساءة للوطن والبلد والسلطة وفي ظل ظرف المواجهات الدقيق الذي يحتاج لتضافر كل الجهود، استثمر التنظيم الذي يدير القناة الحدث ليصبح أن الرئيس ياسر عرفات هو من أمر بإغلاق هذه القناة المحلية كما أذاعت بعض المحطات العربية والعالمية.

وما أن يتشاكل عنصر من حركة (فتح) أي من (التنزيم) مع أحد كوادر الأجهزة الأمنية، حتى تبدأ الاصطفافات(تنزيم)مقابل سلطة، أو تنظيم مقابل

الجهاز الفلاني وتبدأ الإشاعات تنتشر كالنار في الهشيم، وتبدأ الأمور من نقطة صغيرة تكبر فتكبر بمبالغات تذكرنا بمرحلة البيانات التي كانت تصدرها بعض التنظيمات الفلسطينية مدعيةً قتل وجرح عشرات جنود الاحتلال في عملية عسكرية تكون في الغالب ليست من عملها وربما لا تكون قد حصلت أصلا؟!.

أن عقلية المبالغة، وخاصةً تلك المخطط لها والمقصودة، عقلية تدميرية لأنها ترغب في تحقيق مكاسب آنية على حساب رصيد الشعب والأمة من مخزون الذاكرة التي يجب أن تكون حية وثرية وحقيقية لتستطيع نقلها في إطارها الصحيح للأجيال القادمة، تلك التي ستجلس عند أقدام أجدادها لتسأل لماذا ومع اندحار الاحتلال من وسط رام الله مازال البعض يهتف ضد نفسه (ضد السلطة)؟ ولماذا مازلنا نلوث مديننا الجملية بشعارات لا تغني ولا تسمن من جوع؟ ولماذا نصنع من (الحبة قبة) فيتحول الشهداء الذين رووا الأرض بدمائهم الزكية إلى مجال تندر بإطلاق صفات عليهم لم تطلق على قادة عظام ومفكرين كبار مثل القائد المعلم أو الإشادة بمناقب الشهداء وهم لم يبلغوا الحلم (ليتمنقبوا)، وهو استقبل الرصاصة ليقابل ربه ويفدي وطنه، لا ليكون الشعار اكبر من الحقيقة والأحياء يستغلون الأموات.

ابن الأفطس في التنظيم أيضا.

إن التمسك بالكرسي أو العرش أو الموقع دون أحقية أو أفضلية أو جدارة أو بعد انتهاء المدة فن شائع ويحض عليه في عالمنا الثالث ، حيث ترى وزيرا قصير النظر لا يفقه شيئا ، أو مديرا عاما أو وكيلا أو مسؤولا تنظيميا لا يكاد يفهم متطلبات مؤسسته أو كوادره...الخ ، إلا أن كل منهم لا يفرط بمقعده الوثير مما ذكرني بقصة ابن الأفطس !

استقل عبد الله بن مسلمة الملقب بابن الأفطس بناحية بطليوس من بلاد الأندلس بعد ضياع الوحدة السياسية الأندلسية بسقوط الخلافة الأموية سنة ١٠٣١ ، وكانت ولاية كبيرة تقع شمال غربي قرطبة على ضفاف نهر جميل ، وبعد أن

جعل ابن الأفطس نفسه أميرا على تلك الناحية وصار يدفع الجزية لملوك قشتالة الأسبان ، خاطبه أحد الشيوخ في إعادة وحدة الأندلس وإنشاء جبهة تقاوم الضغط الإسباني فكان جوابه :لو أن أبا بكر وعمر جاءاني يطلبان مني التنازل عن ملكي لحاربتهما بالسيف ؟!

فكم لدينا من أمثال ابن الأفطس هذا في كل مكان ، في السياسة والاقتصاد والمجتمع ، وفي كل مكتب وزاوية وزقاق ، عموما فطس ابن الأفطس التعس وخلفه ابنه الملك المظفر (لاحظوا المظفر!) ثم حفيده المتوكل على الله ؟!الذي ما أن سمع بقدوم البطل المغربي يوسف بن تاشفين داعيا لتوحيد الصفوف حتى توكل وكيف لا يتوكل وهو المتوكل (؟!) ولكنه توكل على الملك الفونسو السادس فكان أن قتله أصحاب أبي بكر وعمر ، ورغم ذلك فان الشاعر الأندلسي ابن عبدون كان قد قال في رثاء ابن الأفطس قصيدة حمل فيها على الدهر لغدره بعظماء الملوك أمثال ابن الأفطس ؟حيث يقول :

نعم هو الدهر ، ما أبقت غوائله على جديس ولا طسم ولا عاد
وأسلمت للمنايا أل مسلمة وعبدت للرزايا آل عباد

في مثل هؤلاء من الحكام والوزراء والمدراء و(الكوادر التنظيميين) والشعراء في زماننا تضيع الكرامة والمهابة والوحدة وأخلاق الأمة.

تنزيم لو!

سُئل أحد المسؤولين الكبار هل تريد التنظيم كوادر قوية أم مطية؟ فنظر مبتسماً وقال :أنا لا أخشى إلا من التنظيم القوي! ولكل أن يفهم ما يشاء! لا للتنظيم وبالعبري (تنزيم لو)، هذا شعار ذكره الجانب الإسرائيلي في الدعوة لنزع السلاح، ولكنه شعار يتبناه خط قيادي في قمة الهرم ويتقاطع مع خطوط مصلحيه أخرى في أواسط واسفل الهرم تسعى جاهدة لبناء التنظيم نظرياً، ولكنها تعمل دون وعي منها على تحقيق إرادة خط الهرم العلوي، لا للتنظيم! لان قوة التنظيم

إرادة قرار وقوة التنظيم (الفكر والتثقيف والتربية والأعضاء والاجتماعات الدورية، والهياكل، والنشاطات المبرمجة، والأخلاق، والرقابة، والتعبئة والتوجيه، والمبادرة،-والمحاسبة) قوة بناء للوطن، وقوة التنظيم تؤدي إلى تساقط للوجوه الكالحة، والصور الكرتونية، والبالونات الإعلامية المنفوخة، والقيم التحريضية البغيضة ، و(القيادات) التي لا تصحو من سكرها، والمنغمسة في سرقة ثروات الوطن، واستجحاش الناس والدوس على كرامتهم.

أن التنظيم ليس رداء ينزع، وإنما انتماء حقيقي يهدف للخدمة، خدمة الناس، خدمة الإنسان خدمة مجردة عن أي عرض دنيوي، خدمة تبدأ من التقاط القمامة من ساحة مدرسة وعدم رمي الأنقاض أو أعقاب السجائر في المكتب أو البناية أو الشارع و لا تنتهي عند تسهيل أمور ومعاملات الجمهور، ومساعدتهم في كل شؤون دنياهم.

أن التنظيم التزام إنساني، أخلاقي، قيمي، طوعي غير قسري ، وقانوني في المجتمع المدني، يبدأ في النفس صغيراً، وينمو مع نمو عوامل الثقة وحسن التواصل، وبناء الذات، وبالعمل الجماعي، والانخراط في حلقات التثقيف وإنجاز المهمات والنشاطات، أن التنظيم التزام بقيم المجالدة واستنشاق الصبر، وتجرع الصعب، وكما هو التزام أخلاقي، عمل جماهيري، عمل يومي يبدأ في الذهن، منذ نشأة الفكرة إلى تحولها لمفردات وجمل يتم التلفظ بها أو كتابتها إلى أن تسير بأرجلها عملاً مثمراً. نعم للتنظيم لان فتح ضد فتح في ظل سقوط الفكرة، وفتح ضد فتح في ظل التأزيم للصراع إلى حد التناحر والتدمير بما يحقق شعار (أبناء العمومة المفترضين) تنزيم لو!

التنظيم والتصوف:

إن من تعاريف التصوف الإسلامي أنه (إشراق النفس بنور الله،أو العشق الإلهي) والذي قالت فيه رابعة العدوية البصرية:

أحبك حبين حب الهوى وحبك لأنك أهل لذاكا
فأما الذي حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ومن كبار المتصوفة الإسلاميين ذو النون المصري الذي قال أن المعرفة الصوفية تأتي إلى الإنسان من الله قذفا من القلب دون دراسة أو عناء! ولحقه أبو يزيد البسطامي، وعلى طريق المجاهدة الصوفية سار أبو القاسم الجنيد لكنه خلع رداء كشف الحجب وأن المعرفة فضل يؤتيه الله لمن يشاء و رأى أنه لا ينبغي للصوفي أن ينقطع عن الدرس والعلم انتظارا للعلم الديني (الذي يأتي من عند الله قذفا في القلب) لذلك كان الجنيد فقيها واسع العلم.

ما يهمنا من هذا السرد هو المنهج بين(ذو النون) والجنيد كمثال وبالتالي طريقة التفكير في التنظيم، الأولى التي تتعامل مع سائر الأحداث وتتركها تجرجرها شمالا وجنوبا، فلا تهتم بأولويات أو خطط، وتترك الأمور لتقذف في قلوبها فيحركها الهوى ولكن دون صوفية بالطبع ! وبعيدا عن ذي النون، فإن طريقة التفكير التي لا تقبل إلا بالمنهج والعلم والتثقيف والبحث والتفكير والتخطيط الدائم فيأتي إشراق النفس بنور التنظيم من وعي وتربية وعلم وكما هو حال مولانا الإمام الجنيد هي طريقة التفكير الفضلى في آلية البناء والتواصل والتقدم.

وما دمنا في مجال استفادة من الصوفية، فمن المفيد ذكره أن للصوفية كي يصل فيها المريد إلى المقام العالي درجات، وهي في التنظيم (مراتب) يجب أن تسير بشكل تصاعدي، وليس بشكل أفقي تسطيحي كما هو حاصل حاليا، فالعبد المتصوف يبدأ من المقام الأول ليصل إلى الثامن منطلقا من مقام الورع فالزهد فالفقر فالصبر فالمراقبة فالرضى فالمحبة، ودعوني أطالب نفسي وأعضاء التنظيمات عامة وعلى رأسها فتح أن تبدأ بالخدمة للناس، للإنسان لتصل محبة الناس وتحقق خفقان القلوب عند سماع كلمة (تنظيم).

كنت قد تحدثت مع الأخ العزيز المناضل أمين سر حركة فتح في رام الله والبيرة أبو علاء منصور والشهادة لله أن الرجل واسع المعرفة، لديه سلاسة في إطلاق الأفكار، ومرونة فائقة في العمل، وحركية مكتسبة من (عملانية) حركة (فتح)، وكان قد شخص بيسر سر مشاكل التنظيم في عدم القدرة على ترتيب الأولويات، وانجراف الكادر في الشان اليومي على حساب الخطة والمنهج، إضافة لضعف الإدارة والتوجيه وخلص أن للصبر والمراقبة، والتواصل والتثقيف، ومحبة الناس...الخ وكمال يقول (أوغست كونت) الذي ينصب تمثاله في ساحة السوربون بباريس (لنحيا من أجل الغير)، مما ذكرني ببعض مفاهيم تقاطعت مع قراءاتي في التاريخ الإسلامي والصوفية تدل دلالة قاطعة على وعي يحتاج لرعاية ودعم وإرادة وقرار حازم من رأس الهرم في (فتح)، قد لا نراه قريبا.

(العائدين) الموضوع المنسي

دخلت قوات الثورة الفلسطينية إلى فلسطين منذ أكثر من خمس سنوات، وابتدأت ورشة العمل على الصعيد السياسي وعلى صعيد بناء الدولة، وعلى صعيد بناء (فتح)، وكما هي عادة (فتح) لا تضع قوانين ولا ترسم حدودا أو تخلق نظاما، وإنما تدع التفاعلات تنشئ هذه القوانين أو الأنظمة، والآن وبعد هذه السنوات ما زال العائدون حائرون بين استيعابهم في أطر الحركة (غير الموجودة فعليا) وبين الاعتراف بعضويتهم ولا سيما أن جزء هام منهم أنضم للأجهزة الأمنية أو المؤسسات المدنية، ولم تفلح حتى الآن – على حد علمي- محاولات لملمتهم أو دمجهم أو عزلهم غن جسد الحركة أو الهم الوطني، فالانتماء حياة، والانتماء تواصل، والانتماء استقرار لا يمكن أن ينتزع من القلب بسهولة، وهذا ما حدث ويحدث مع هؤلاء الكوادر الذين أكاد اجزم أن خبرتهم في الأقاليم التي قدموا منها على تنوعها تمتاز بالقوة والثراء الذي إن تمت الاستفادة منه من الممكن أن نقصر المسافة الفاصلة بين (طفولة) التنظيم و(شبوبيته) ، وتضاهي

تجاربهم تجربة الحركة الأسيرة التنظيمية وتجربة لجان الشبيبة للعمل الاجتماعي، وتجربة العمل (التنظيمي) أثناء الانتفاضة المجيدة، ولكن الأماني والأحلام لا تستقيم في ظل تقاطع المصالح والنعرات (النزعات) العشائرية والجهوية والاقتصادية القابضة على تفكير عدد من رؤوس التنظيم في أطره الواسعة الفضفاضة – التي تبدأ من ١٧ شخصا وهم أعضاء لجان الأقاليم (تم توسيعهم إلى ٢١ في نابلس حاليا) إلى أكثر من ذلك في أطر اللجنة الحركية أو المرجعية أو لجنة الساحة أو لجنة الطوارئ _ ولا تستقيم في ظل قرار مستتر برفض وجود (تنظيم) أصلا يتقاطع مثل هذا القرار بين رغبة إسرائيلية وخط إسرائيلي وبين انتعاش الانتهازية والتسلطية والوظائفية (كفكر) في إطار التنظيم عامة.

إن محاولات الفصل في الوطن بين مواطن وعائد،وبين حركي من الوطن، وحركي عائد يتم تجنبه وبأشكال ذات إسفاف، تحرم الحركة عموما من تلاقي الخبرات، وتلاقح التجارب، وتعمق من علاقات النبذ والحقد، وتزيد من شعور الاغتراب ورغبة التدمير التي تجعل من الاصطفافات الحركية تتواجه وإن بشكل سري ومن وراء ستار، ولكنها تنسج شباكها في الأجهزة والمؤسسات ودوائر القيادة في صراع مرير ذو رؤوس ومصالح ودواوين وأعراف وتقاليد وأنظمة خاصة خارجة عن فكر ووحدة ونظام الحركة الموحد.

إن في التنظيم أشخاص يشكل كل منهم أمة ، ومنهم الأخ أبوماهر غنيم ، وشخص واحد، نعم من الممكن أن يحيي أمة (أمة التنظيم) في ظل قرار وإرادة العمل للتنظيم لا تفتيته أو إلهائه أو استغلاله أو الضحك عليه في متوالية (اجتماع، مهرجان، مؤتمر، لجنة وهكذا) كمن يدور حول نفسه ولا يتقدم خطوة واحدة للأمام، وبذلك مازلنا نؤكد.

مشكلة المشاكل:

ذكرنا في مقالات سابقة أن مشاكل حركة (فتح) كثيرة، وهي عامة وشاملة في حقيقة الأمر في كافة أطر أحزاب الحركة الوطنية الفلسطينية والأمة العربية والإسلامية والعالم الثالث ويمكن أن نعود لتلخيصها بالتالي:

١- مشكلة عدم الانضباط للفكرة والمسيرة.

٢- مشكلة تعدد اللوائح والأنظمة وتناقضها أحيانا.

٣- مشكلة تعدد المرجعيات والاجتهادات.

٤- مشكلة عدم الالتزام بالنظام (الدستور).

٥- مشكلة الفجوة بين الكوادر العليا والأعضاء.

٦- مشكلة ضعف الهياكل التنظيمية وتعارضها مع هياكل الشبيبة (جغرافيا/شريحة).

٧- مشكلة عدم القدرة على (أو الخوف من) دمج العائدين في أطر الوطن.

٨- مشكلة الخلل في فهم الفرق بين العصابة أو الشللية أو الزعران والتنظيم.

٩- مشكلة تدخل الأجهزة الأمنية في جسد التنظيم.

١٠- مشكلة تحديد الأولويات، وتحديد مهمات العمل، وفقدان الرقابة والمتابعة.

١١- مشكلة تعدد المسؤولين وفي الحقيقة فقدان مفهوم المسؤولية.

١٢- مشكلة فقدان الخطة وضعف وأحيانا انعدام التوجيه والمحاسبة.

١٣- مشكلة التثقيف والتربية بل انعدامها تقريبا.

١٤- مشكلة عدم الفصل بين متطلبات القبيلة أو العشيرة والتنظيم

١٥- التعجل وفقدان الصبر والتسامح والمحبة

١٦- مشكلة افتقاد إرادة بناء التنظيم.....ألخ .

وقد يتساءل متفذلك في ظل هذا التراكم من المشاكل الذي لم نعدده كله وأين (فتح) إذن في هذا الخضم؟ نقول أن المشاكل باعتبارها فجوات بين ما هو كائن وما يجب أن يكون (التعريف العلمي) هي صلب العمل اليومي، فالإنسان يصادف يوميا في كل موقف وحدث مشاكل ويتعامل معها، ولا تخلو الحياة مطلقا من الصراع كما لا تخلو من المشاكل التي تعتبر أحد عناصر ديمومة الحياة، ولكن مشكلة المشاكل هي عدم القدرة على تحديد المشكلة، تشخيص المشكلة، معرفة أسبابها، الاعتراف بها وهذه الطامة الكبرى، وهي براعة ليس مثلها براعة في العقلية الملتوية التي تظهر المشكلة وكأنها عنصر سعادة، أو سحابة عابرة، أو مظهر حيوية لا يحتاج لعلاج وهذا ما يجب علينا أن نتبينه ونتصدى لحله ونتفق فيه.

إن حركة فتح رغم كل هذه المشاكل وغيرها، وأكثر منها أحيانا في تنظيمات فلسطينية أخرى إيديولوجية، هي حركة التواصل والاستمرار وتميزت بالتجربة:

- بالاعتراف بالإخفاقات ولو على عجل أو بخجل أو متأخرا.
- القدرة على الانطلاق والنهوض بعد كل كبوة مها كثرت الكبوات.
- صنع القيادات، واحترام الشعب، وظهور الرؤية وإن كبصيص في البداية.
- الأيمان بالفكرة المرتبطة بالعمل (العملانية) دون كلل وبدأب النمل وإصرار المحترفين.
- إرادة الفعل.

وكانت حركة فتح ومازالت تخوض صراعا ومشاكل وأزمات بحيث أن فتح ضد فتح بالسياسة والتنظيم ومصادر الفكر ولكنها لا تختلف باحتضان التنوع، وضرورة التواصل والتغيير، ولا تختلف بالاكتساب من خلال التجربة، ولا تختلف على فلسطين، ولا تختلف بالحفاظ على الإطار العام للنظام أو فهم حدود اللعبة الداخلية إلا ما ندر.

لا شيء يولد شابا، وإنما يولد طفلا نتعب عليه هكذا قال الأخ هاني الحسن في محاضرته في مقر التوجيه السياسي والوطني في تاريخ (٢٠٠٠/٥/٢٤) وذلك تعليقا على التجربة الطلابية والتنظيمية في ألمانيا حيث كان يدرس ويناضل ، وقال أيضا أن فتح جعلت الشعب صانع الثورة وليس سماد الثورة ولذلك ولكل ما ذكرنا فإننا لن ننجرف؟؟؟ كحركيين لتصبح فتح ضد فتح وإنما سنتدرج في ظل ولادة التجربة التنظيمية في الوطن وأن بخلق جديد وصولا لمرحلة الشباب والفتوة.

فتح .. الآن .. غدا ، مرورا بتجربة الوطن : سقوط القلاع وفوز المجانين!

مقدمة :

تحت عنوان (فتح .. الآن .. غدا) عناوين لحوار مع الذات كتب الأخ نبيل عمرو عضو المجلس الثوري لحركة (فتح) الكثير في دلالة القليل من الكلام فشخص حركة (فتح) (كتجسيد حرفي للوضع الفلسطيني)، لذا فهي موجودة بقوة في كل الشرائح الاجتماعية،وقال أن (فتح) كانت في ريادتها راعية للمبادرات العسكرية والسياسية، وصانعة العلاقات مع العالم لذلك قادت النضال ليستطرد طارحا السؤال الكبير حول مستقبل (فتح)، وهذا موضوع خطر والحديث فيه مجال اضطراب،وعامل توتر وقضية صراع ذو أبعاد كثيرة.

تحت نفس العنوان وهو مستقبل (فتح)، كان قد تحدث الأخ هاني الحسن في دورة عقدناها لأقاليم (فتح) الخارجية في مركز الشهيد صلاح خلف بالفارعة وتحدث فأسهب ،ان الرجل رائد وله نظرة، و نظرة حكيمة، فلقد طرح رؤيا عمق المتغيرات واحتياجات الناس فماذا كانت ردود الفعل؟؟ لقد تململ البعض وعبر البعض الآخر عن رفضه الصامت، وعلا صوت آخرين الى حد الاشتباك والذي انتهى بموافقة الغالبية على طرح الأخ أبو طارق.أن الناس والكوادر يألفون ما يعايشوه حتى لو كان خطأ أو يجر إلى بوار، وكل جديد يقابل بالضرورة بالاستهجان والاستغراب وربما الرفض بالبداية،وكما حصل أيضا في محاضرة لاحقة للأخ د. مرعي عبد الرحمن، فكيف نصنع فكرا لأمة أو فكرا لتنظيم أو فكرا للجماهير، والجزئين أي أعضاء التنظيم ورجال الفكر (المتميز) منفصلين، وكلٌ في فلك يسبحون.

لا تنظيم بلا فكر، ولا فكر ينفصل عن الجماهير، ولا تواصل دون إيمــان بالفكر،ولا انتشار للفكر دون دعاة ومبشرين يقومون بالتعبئـــة الحثيثــة، لــذا لا مستقبل يرسم مستفيدا من الماضي إلا بمثل هؤلاء.

لقد سقط الزمن الذي تصنع فيه الفكـــرة الجديـــدة دون الرجـــوع للنــاس، للجماهير، للشعب، للأمة لأن الفكر هو نتاج محصلة احتياجات وأفكار هؤلاء، ولم يعد كافيا أن يفكر ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار وأكرم الحورانـــي لينشــئوا حزب البعث العربي الاشتراكي الذي آل الى ما آل إليه، ولم يعد كافيا أن يكـــون (كارل ماركس) مفكرا عظيما لسبعين عاما جمد فيها التطوير والاجتهاد و التغييـر وجمد فيها فهم المتغيرات وقوانين الصراع الجديدة فآل الاتحاد السوفييتي العظيــم الى ما آل إليه؟! وعليه فإن الفكرة إن لم تخضع لأفكار واحتياجات الناس المتغيرة المتطورة لن تعيش طويلا، وسيجنح حاملوها إلى الجمود والتحجر أو إلى زوايـــا النسيان.

إن التاريخ يتقدم ولا يعود الى الوراء مطلقا، فـــي دورة أو دورات ولكــل منها خصائصها، وأن الفكر باعتباره صنيعة الناس يبلوره الأكثر وعيا أو الأكـــثر ثقافة أو أصحاب الرسالات والرؤيا، هو فكر إذا ما كانت له أقدام يمشي عليـــها، وإذا ما كانت له أجنحة يحلق فيها في سماء الأرواح وفضـــاء القلـــوب، وحاجـــة البطون، ورغبة الانطلاق.ولذلك فإن فتح الفكرة ستستمر وســـتنجح إذا اســـتمرت ممثلة (للتجسيد الحرفي للوضع الفلسطيني) على ما فيه من حق وأبـــاطيل، تقــدم وجمود، تفهم وانكماش، نظام وانفلاش ، والقائد أو المفكر أو المبتكر والمطـــور هنا من كوادر الحركة هو الملقى على عاتقه عبء التفكير المفتـــوح أو مســـاعدة الأعضاء والكوادر الآخرين على التفكير الحر، المفتوح، دون رهبة فـــي إطـــار حركة متواصلة واسعة النطاق من ورشات العمل وبؤر أو حلقات التفكير في كــل إطار من أطر الحركة بدء من الخلية وليس انتهاء بلجنة الإقليم، ولنكـــون أكـــثر واقعية لنجعل التفكير في (حشد) أو (قبيلة) أو (جماهير) أو (أنصار) أو (التجمـــع

الشعبي) الحالي في الوطن المسمى (فتح) ومتى ما استقرت القناعة بالفكرة فلا جدال أن الدعوة لها أو التبشير بها أو التعبئة بها تصبح مهمة التنظيم.

في العام ١٩٩٤ طرح علينا الأخ أبو ماهر غنيم المفوض العام للتعبئة والتنظيم التفكير في مستقبل الحركة وبعد جلسات طوال بين عدد من الأخوة كادر المكتب طرحنا عدد من الاحتمالات (النظرية) ما بين تحول الحركة الى حزب (يعني بشؤون الناس وحاجاتهم واقتصاد البلد والتعليم..) وما بين تفككها الى عدة أحزاب بحسب المضامين الفكرية المتنوعة التي احتضنتها (فتح) أو بقائها ولكن بشكل المنابر أو التكتلات الديمقراطية في إطارها أو حلها أو بقائها حركة ثورية ..الخ، وكانت هذه البدائل النظرية بعيدة عن الالتفات للواقع القائم في الوطن ورغم جدية المحاولة فإنها لقيت الرفض من بعض من وصلتهم من الأخوة في الأطر العليا، واليوم لا بد أن نعترف أن الواقع القائم في الوطن مختلف كليا عما استقر في أذهاننا نحن الذين قدمنا للوطن والعكس بالعكس، ولا بد أن نقر أيضا بأن في الوطن كوادر كبار، وقيادات لها أفكار ولها رؤى تحترم ومهما قلنا عن وجود الخط الإسرائيلي والخط العروبي وهذا صحيح في رأيي، فإن عوامل الحيلة اليومية، ومطحنة العمل التفصيلي أذابت العديد من الاختلافات الفكرية القديمة،وخلقت في كادر حركة (فتح) تآلفا شعبيا وحشدا كبيرا يتمايز في تجاربه (الاعتقال، الشبيبه، الغربي، التنظيم ......) ولكنه في خوضه مثل هذا الصراع الناشئ عن اختلاف المفاهيم والتجارب في ظني أنه ما زال متمسكا بفتح باعتبارها الإطار الواسع الصالح لضم كل هذه المفاهيم والأفكار والكوادر بشرائحهم، بوعيهم وجهلهم، بشجاعتهم وانتهازيتهم، بفكرهم الرصين ومبادراتهم الجديدة، لذلك فإن (فتح) (التجمع والجسم الفضفاض) قد تسود على حساب طليعية قد نبتغيها في تنظيم وأمة وشعب من المفترض ـ حسب ظني ـ أن يكون مثال الوطنية ونموذج التعريب وصاحب أهداف وخطة ورؤيا للمستقبل، تنظيم طليعي جماهيري قائد كما قالت فتح وكما يجب أن تستمر بحس الرسالة.

وللخوض في الحاضر والمستقبل لا بد من عودة جريئة الى الماضي لأن اليوم نتاج الأمس والمستقبل يصنع اليوم، لا سيما وأن الأخ نبيل عمرو يريد فتح حوار داخلي حول مستقبل فتح ومن خلال إطاراتها ومؤسساتها وفي بحث جدي عن (صيغة ومحتوى قيادة الوطن في أدق مراحل وجوده).

كنا قد تحدثنا في دراسات ومقالات عديدة ننتقد التجربة الفلسطينية التنظيمية الحديثة في الوطن، وحللنا كثيرا طبيعة الواقع وظروف الاحتلال وحال الوعي، ومدى الابتعاد عن النظام أي نظام ..الخ، وفي مجمل ما ذكرنا كان ينتصب أمام أعيننا هدف الدفع بالتجربة الى الأمام نحو المستقبل كما هو حال الأخ نبيل عمرو في مقاله في الحياة الجديدة لأن قناعتنا كانت وما زالت أن حركة (فتح) تظل إطارا صالحا لاحتواء مختلف تيارات الوعي الوطني وهذا نثبته من التجربة كما سيلي، وإطارا صالحا للتعبير عن احتياجات الشعب، وإطارا صالحا لوضع هذه الاحتياجات في إطار الأهداف الممكن برمجتها ضمن خطة أو خطط طويلة الأمد وقصيرة الأمد.

لقد حكم الوعي والفكر الوطني والتجربة الفتحوية عديد العوامل الإقليمية، وفي الوطن تأثرت التجربة بشكل كبير بالتذبذبات التي كانت تميز مسيرة (فتح) في الخارج وتنعكس على تجربة الوطن إضافة بالطبع للعامل الذاتي الداخلي ووجود الاحتلال، ولكنه في جميع الأحوال وصلت الصورة لكوادر وقيادات وعناصر الداخل كليلة ، مبتورة، مجزوءة وأحيانا مشوهة وكانت مثل هذه الصورة هي ما تعاملوا معها، وربما كان للاحتكاكات الفردية والقليلة التي جاءت متأخرة بين هذه الكوادر والقيادات ذات القدسية ــ سابقا ــ أن أعطتهم ردة فعل سلبية عندما اكتشفوا أنهم يتعاملون مع بشر مثلهم يرسمون فيخطئون، ويقولون فيتراجعون، ويعملون لملء مساحة من الوقت ويستغلون كثير من أوقاتهم في اللهو والمتعة وفي امتهان الآخرين وتدبير الخوازيق ودق الأسافين وكتابة التقارير والتنازع على المغانم والسرقات وصواني الكنافة، فلماذا لا يكون

انتهازيي الوطن بنفس طبيعة النسيج الذي اكتشفوه متأخرا وعايشوا جزء منه قبل العودة للوطن وهذا ما كان وفق رؤيا هؤلاء.

إن التنظيم ائتلاف طوعي، التزام طوعي، خدمة طوعيه، عمل طوعي، إيمان بالفكر وبشكل طوعي والتنظيم كجماعة تلتقي بالضرورة حول فكر وأهداف وخطط وضمن هيكل تنظيمي وقانون يحكمها وتصنع تجربة وتراث يصبح الرجوع لها من مؤشرات شكل المستقبل الذي يطرح الأخ نبيل عمرو مناقشته، ولأننا لا نحتفظ (بإجابات جاهزة) كما يريد أخونا نبيل فليعذرنا في أن نتحاور عبر هذه الورقة تحت عنوان تجربة حركة فتح: سقوط القلاع وفوز المجانين ونأمل أن نتعمق أكثر في نقد تجربة الماضي في الوطن والخارج لنستمد من مفاصل التجربة (التجارب) وتنوعها وصراعها وثرائها وزخمها وفشلها ونجاحاتها نستمد المدد والمعين في الصمود حاضرا في وسط (فتح المشاع) فتح غير مغلقة الأبواب حتى على أبناء التنظيمات الأخرى والمرتبطين بالدول الأخرى لنستطيع أن نرسم شكل المستقبل.

الفوز للمجانين:

خاضت حركة (فتح) صراعا شديدا بين تيارين عرفا بتاريخ الحركة بتيار العقلانيين وكان رموزه من مؤسسي الحركة د. عادل عبد الكريم ود. عبد الله الدنان وآخرين، وتيار المجانين (أو العمليين) وكان من رموزه الأخوة ياسر عرفات وأبو يوسف النجار وأبو جهاد، وكان الخلاف الكبير الأول الذي طفا على السطح في الحركة آنذاك هو هل نحن مستعدون للعمل؟ هل أكملنا تجهيزاتنا للبدء بالعمل العسكري؟ وهل التوقيت المحدد للانطلاق بعد سنوات ثمان من نشأة الحركة هو توقيت مناسب أم لا؟ وهل الواقع يفرض علينا التريث أم الانبعاث بقوة؟ وكيف يجب أن نتميز عما سوانا من التنظيمات التي كانت تعج بها الساحة وتقدر بالعشرات ان لم نبدأ بالعمل؟ هل سنجمد ونركن إلى أدبيات فكرية ونشرة

(فلسطيننا) بانتظار توفر ميزانية كبيرة ودعم عربي وتحالف مع قوى عظمى؟ كل هذه الأسئلة وربما الكثير غيرها قد تكون جالت في رؤوس التيارين وخاصة تيار الأخ القائد العام ياسر عرفات، وكان لعملية الاستقصاء لآراء الكادر الحركي في أماكن التواجد الفتحوي دورا هاما في بلورة فكرة تجسيد المبادئ على الأرض، إضافة لحيوية ونشاط الشخوص الذين سموا بالمجانين فكل من الأخوين ياسر عرفات وخليل الوزير لهم تجربة عسكرية في القنال وفي غزة أعطتهم قوة الركون للعمل المسلح، والثقة بالبندقية ، والإيمان بإمكانية تحقيق الانتشار والاستقطاب للشارع الفلسطيني والمحيط العربي من خلال التقدم في حقل الألغام، فالقائد من يقرر وقت المعركة، ويتواجد في أرض المعركة، ويخوض المعركة ويستشهد أو ينتصر، وفي كلا الحالين يسطر الأمثولة ويبعث الحياة في شعب مل البكاء واللجوء والتشرد.

في المقابل كان (العقلانيون) من مؤسسي الحركة رجال صناديد يحسبون الخطوة، ويقيسون المسافات، يضعون الفكرة ويعبئون حولها، يرسمون بدقة، ويتقنون بناء الشخصيات، يحللون بشكل جيد، ويفهمون الواقع ويتعرفون على نقاط القوة ونقاط الضعف، لقد رأوا في الواقع الفلسطيني تشتتا وتشرذما، وفي الواقع العربي تراجعا وانكفاء، رغبة في التقدم وحقيقة التوجه نحو بناء الذات، فخافوا من الفشل، وقلصوا من حجم المبادرة وركنوا للراحة في قلاع التنظير والأفكار فرفضوا الانطلاقة، التي قامت بقوة وجنون وحركية (المجانين) فكان بداية الانفصال بين تيارين سرعان ما تقدم الأول واعتزل الثاني.

وفي الوطن عاشت كوادر وقيادات الوطن عنفوان الانتفاضة ومجد الأشخاص في ظل نهضة شعبية متواصلة، خلفت وراءها سنوات من الركود، وسنوات من المهانة، وسنوات من إذلال الاحتلال، لقد استطاعت كوادر (فتح) بالانتفاضة أن تتفوق على مشاعر الخوف والرعب والتراجع وسلبية التعامل مع الحالة الفلسطينية في الخارج التي كانت بمثابة الأمل المعقود لواءه، تماما كما كانت قيادات الوطن في العشرينات والثلاثينات والأربعينات تنظر للخارج كقلعة

حصينة ممثلة بالقيادات العربية الأمل المنتظر، لقد أسقطت الانتفاضة معادلة الخارج الداخل وكرست قيادات وجدت نفسها تقود شعب دون إذن من أحد، وأن بتنسيق مع الخارج، لقد استطاعت أن تظهر سيطرة وتحقق نفوذ، وتأمر وتنهي وتقرر وتقود وتجد من يشد على أيديها ويدعمها حتى وإن أخطأت، فصحت على معادلة الحركة القائلة أن من يعمل يكسب ولو أخطأ، وظلت متمسكة بهذه المعادلة حتى بعد العودة للوطن، التي كان للانتفاضة المجيدة ــ إضافة لعوامل محلية وإقليمية وعالمية أخرى بالطبع ــ دورا في مثل هذه العودة، والتي حاول الكثيرون جعلها السبب الوحيد لهذه العودة فثأرت قيادات الوطن لسنوات (التبعية) للخارج، وأثبتت للجميع قدرتها على الفعل والعطاء والقيادة، فلماذا لا تقتسم (السلطة)في الحركة؟!

وهذا ما حققته بإضافات المجلس الثوري، وتقسيم الوطن إلى أقاليم وعبر المرجعيات في الضفة وغزة، وعبر انخراط قيادات الوطن في أعلى المراتب التنظيمية، وفي الوظائف السامية في السلطة الوطنية.

لقد فهمت ووعت كوادر وقيادات الوطن، قيادات الانتفاضة، قيادات السجون معادلة المبادرة والعمل في فكر حركة (فتح) مستفيدة من تجربة الانطلاقة فحققت الفوز، و أسقطت قلعة وخطت ملمحا واضحا في المستقبل القادم، مستقبلها.

سقوط الغربي !

كانت تجربة القطاع الغربي (جهاز الأرض المحتلة) تجربة ثرية تجربة ذات زخم، لها ما لها من الإيجابيات التي قد يتفوق بالحديث عنها قياداتها الذين يتسلم كثير منهم حاليا مواقع المحافظين في السلطة الفلسطينية، وغيرها، وكان لها عدد من السلبيات .وفي خضم العنفوان ونشوة النصر، ومسيرة الفعل، لا يلتفت أحد للسلبيات مهما كبرت فالجو الناشئ عن التقدم والتفوق والانطلاق والشعور

بالنصر يجعل من الإيجابيات على صغرها هي الصـــورة التـــي تعلـــق بأذهـــان الجماهير، وهكذا هو الحال مع عمل جهاز الغربي الذي كانت فيـــه كـــل عمليـــة ناجحة، أو منجزة وإن لم تتحقق كامل أهدافها، تقابل بالفرحة والتصفيق رغم كـــل ما كان يحصل أحيانا خلفها من أخطاء وانتهازية.

لقد كونت العمليات التي كانت تحصل من الخارج في الوطـــن جـــزءا لا يتجزأ من الوعي الوطني الملتهب دوما، المستعد دوما لدعم العمـــل العســكري، والتعبير عن النشوة والفرح في مقابل الواقع اليائس وغير المتحرك الى الأمام.

وعاش الفلسطينيون أحلامهم من خلال تواصل عمليات القطـــاع الغربـــي وفي مرحلة أخرى عمليات قوات ال ١٧ بقيادة الأخ محمود الناطور(أبو الطيـــب)، وعاش الفلسطينيون مستقبلهم من خلال الدفء المنتشر حول هـــذه العمليـــات والذي كانت تقابل به قيادات جهاز الغربي، أو الأطر الفلسطينية الأخرى من غـــير فتح التي كانت تعلن مسئوليتها عن هذه العملية أو تلك، وبشـــكل صـــراع غـــير حصيف أحيانا يعبر عنه بصواني الكنافة التي توزع فرحة بنجاح العملية التـــي لا يعرف منفذها الحقيقي.

كلنا تحمسنا وابتهجنا لهذه العملية أو تلك الى أن خفت صوت البندقيـــة، أو كان يخفت في أكثر مرحلة، وحينها كانت تطفو السلبيات على السطح، لقد كـــانت موجودة أصلا، ولكن ركود الحال، وانتشار الإحباط والتوترات وخيبات الأمل من التحركات السياسية بغية الحصاد كانت تظهر سلبيات العمل في القطـــاع الغربـــي من صراع نفوذ مناطقي بين نابلس وغزة وجنين والريف وبيـــت لحـــم .. الـــخ، وصراع ادعاء القيام بالعملية هذه أو تلك، وصراع على العناصر والكـــوادر فـــي الوطن، وصراع على تهريب السلاح، وصراع على الموازنات وفي هذه المرحلـــة الراكدة عرف معظم كوادر وقيادات الانتفاضة لاحقا جهاز الغربـــي، فانعكســـت كثير من أخلاق مرحلة الإحباط والتوتر والركود على الشخوص، وتم تشرب القيم على أنها تمثل أخلاقيات العمل المباحة، وفي مثل هذه الحال هل يجـــوز لنـــا أن نحاكم أو ننتقد المتشبهين أو المقتبسين ونترك الأصلاء والرموز بعيدا عن النقـــد

والتخطيء؟! بالطبع لا فلولا هذا ما كان ذاك، ومن عاشر قوما أربعين يوما كان منهم، ومن شابه (قائده) فما ظلم! لقد برزت ونمت أخطاء القطاع الغربي وتم نبش القديم منها في ظل صراع القوى والمحاور، وفي ظل بروز آثار نعمة مفاجئة على عدد من أركان الفساد في الجهاز الذي أدمن التعامل السري الفردي والمنفصل فلم يصنع تجربة جماعية، ولم يشكل حالة متآلفة، ولم يخلق تنظيما فاعلا كما فعلت الانتفاضة أو التجربة الاعتقالية العظيمة.

آثام لبنان

عاشت الثورة في لبنان أكثر من سنوات عشر ذهبية (١٩٧١ ـ ١٩٨٢) وبالقطع هي استفادت من تجربة العمل في الأردن، فهي خرجت من هناك محملة بالخطايا، ليس أقلها إهمال الدور الوطني الأردني فكان للبنانيين الحركة الوطنية اللبنانية التي قادت التيارات الوطنية والتقدمية ضد تيارات الانعزال والتغريب، لقد كان في هذا الفهم الجديد من التحالف مع هذه القوى نقدا لتجربة الثورة في الأردن التي لم تلتفت كثيرا للقوى الوطنية الأردنية إلا من خلالها وعبر اندماجها فيها وفي ذلك ما فيه من إنكار لمثل هذه الوطنية في ظل علو الصوت القومي، وتمثيل الثورة الفلسطينية آنذاك لحقيقة النشاط التحرري، والفكر التقدمي والنهج النضالي الذي لا يعترف إلا بصب كل الجهود في بوتقة الفعل الثوري.

لقد قام الفكر الفلسطيني في لبنان على تحقيق استقلالية القرار الوطني الفلسطيني في ظل الجغرافيا السياسية العربية الضاغطة، وتحالفت الثورة مع الوطنية اللبنانية بكافة طوائفها فحققت تلاحما بدا قويا وخاصة إبان الحصار الغاشم لبيروت، وعبرت القوى الوطنية والشعب اللبناني عن ثقته ومحبته وعزيز عواطفه تجاه الفدائيين بنثر الأرز فوق رؤوسهم وهم يخرجون مرفوعي الهامات إلى السفن مغادرين بيروت التي ما زالوا يتغنون بها الى اليوم.

في لبنان عاشت الثورة أيام عز، ومجد ، وإشراق فكانت القلعـــة والقـوة العربية الفاعلة الأولى في الوطن العربي والعالم، مارست الحوار بالكلمة والقنبلـة، فتصد ت للعمليات العسكرية المتواصلة للعدو الصهيوني في الجنوب، وتصـــدت للقصف شبه اليومي للطيران الإسرائيلي، ووضعت فلسطين على طاولة كــل دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة عبر عمليات (أيلول الأسود) الفاقعة، وخدمــت الشعب اللبناني، والحركة الوطنية، وقامت بدور تقريبي فــي كافــة الصراعــات الحدودية العربية، لقد كانت النظرة لها نظرة محبة واحترام وتقدير شديد، وقــامت الثورة بإذكاء روح التمرد والثورة في لبنان والعالم، فلم تخرج المقاومة اللبنانيــة لاحقا إلا من عباءة الثورة الفلسطينية،ومارست حربا إعلامية فذة وأشياء أخــرى كثيرة ولكن للعملة وجهين ولهذه الصورة المشرقة، مواضع عتمة ونقاط ســوداء تمثلت بالحريق الكبير الذي شب بين اللبنـــانيين والســوريين وبيــن الســوريين والفلسطينيين وبين المنشقين وقوات الثورة الفلسطينية، وأن حملــت مثــل هــذه المعارك في الجبل والمخيمات وبيروت مضامين سياسية وفكرية، فما كان لبعـض الخطايا والمفاسد أن تحمل مثل هذه المضامين من ما وصل عن بيروت خـــارج نطاق الجغرافيا وفي مرحلة الركود وانطفاء شعلة النضال المسلح مثــل القضايــا الأخلاقية والسرقات للبنوك والمحلات والإتاوات واستغلال دماء الشهداء والنزوع للشهوات، حتى طغت مثل هذه السلبيات على مرحلة عظيمة من تـــاريخ الثــورة وجعلت من لبنان الثورة مرادفة للغواية والآثام، وساهم العديد من ركـــاب هــذه المرحلة في تكريس مثل هذه الصورة التي نقلت للوطن عبر (المبعديـــن) الذيــن عايشوا الثورة في مرحلة الركود والاحتضار الوطني في الخارج، فكان لهم الحـق أن يروا أنفسهم مناضلين مقابل أمثال هؤلاء التوافه الذين احترفوا الرذيلة والسرقة والآثام في لبنان ولاحقا في مرحلة المتعة والسياحة للغالبية في تونس، هكذا كـانت الصورة أو هكذا ركبت الصورة فانخرط فيها وأصبح جزء منها عدد من قيــادات الوطن المبعدين أو غيرهم ونقلوها لاحقا للوطن، وبقي البعض الآخر مع الثوريين والتطهريين القلة المستمرين منذ عهد الثورة الأول وانتقلوا أيضا للوطـــن، وفــي

مرحلة البناء التي تختلط فيها الأسس وتتعدد المقاييس وتتصارع النظم قد تسوء الفوضى فلمن تكون الغلبة في هذه المرحلة؟ إنها للمتشبهه وأزلامهم، للرموز الملوثة وأتباعها، لأمراء الحرب أمراء السلام للذين عاصروا الواقع فاسدا فشخصوه كحقيقة، وعكسوه في أطرهم، إن هذا الشيء من جنس ذاك، وما للتداخلات وضياع المقاييس وتعدد الرؤى وصراع النظم بالشيء الجديد، وإنما هو فكر (متوارث) وواقع متواصل متى ما سادت مرحلة الركود والإحباط ومتى ما ازدادت حدة الصراعات والتوترات ومتى ما انطفأت جذوة الفكر الجامع، الفكر المحرك، الفكر المبدع، ومتى ما نشطت النفوس ساعية لمصالحها الذاتية، وللاستزادة من نصيبها في الثروة والنفوذ والسطوة، هكذا أصبح الأمر في الوطن ، فما الجديد؟ لا جديد ! لقد تناسخت التجارب وإن بأشكال متعددة إلا أن الفكرة واحدة والفهم متشابه والوعي هنا لا يتجدد بل يثبت ويتكرر، وما هكذا يجب أن تكون (فتح) المستقبل يا أخي نبيل عمرو.

الانشقاق وحرمة الدم

حق يراد به باطل، هكذا صور البعض مطالب المنشقين على حركة (فتح) ، فلقد رفع المنشقون لافتات وشعارات حملت مضامين إصلاحية، ومضامين فكرية تقدمية، ومضامين ثورية، ومضامين جماهيرية فأصابت قلوب الجماهير وتسللت لنفوس العديد من الكوادر لكنها كانت عملية انقلابية معد لها مسبقا ومدعومة خارجيا كما بدا لاحقا فكانت حقا في مطالب طرأت بعد بيروت، أو إثر التجربة اللبنانية إلا أنها سقطت في بحر الدم الذي سفحته، دم الأشقاء الذي سال رخيصا لمصلحة الآخرين، دم الأخوة الذي أهدر خارج نطاق التكتيل باتجاه العدو الرئيسي، لقد كان الانشقاق عملية جريئة خبيثة أسقطت حرمة الدم الفلسطيني باسم الفكرة وباسم المنهج وباسم البرنامج وباسم الإصلاح وباسم التقدمية وباسم الثورية ولصالح الغير وليس لصالح أي مما سبق، فأين قيادات الوطن من كل ذلك، أنهم

وإن مارسوا القليل من القتل الخاطئ على خلفية العمالة فهم لم يستحلوا دماء إخوانهم ولم ينخرطوا في (لعبة) الانشقاق بل بقوا بغالبهم موحدين وراء القيادة التي اكتشفوا مفاسدها في مرحلة ما قبل الوطن.

إن صلابة الموقف الوطني الفلسطيني الموحد في الوطن كان أن مثل حقيقة الفعل الموحد اللاحق في إطار الانتفاضة المجيدة، وصلابة الموقف التنظيمي الموحد في الأقاليم.أن مثل ديمومة الثورة ،وصلابة الموقف الموحد للأجهزة المركزية لفتح (الغربي، الأمن ، الإعلام، المنظمات الشعبية..) أن مثل تواصل المؤسسات، رغم التراجع الخطير في أسهم الثورة الفلسطينية في المحيط العربي والذي وصل أقصى مدى تراجع له في الخارج مع انطلاقة الانتفاضة المجيدة، حيث بدأ التراخي العربي والتخلي العربي والتراجع الشرقي والبروز الأمريكي الذي أصبح القوة الوحيدة المسيطرة لاحقا أثر حرب الخليج الثانية.

إن تغير المعادلات الدولية انعكس إقليميا، وتردي الوضع الداخلي انقلب على الذات فكان منذ ذلك الوقت يرتسم شكل جديد لمستقبل حركة (فتح) إذا ما استمرت إطارا صالحا يضم شرائح المجتمع الفلسطيني.

ماذا رأوا في تونس؟

باستثناء النشاط الذي ارتبط بالوطن من خلال أمير الشهداء أبو جهاد ولاحقا ذاك النشاط الذي ارتبط بالانتفاضة بعد استشهاده، فإن عمل أطر ومؤسسات (م،ت،ف) وحركة (فتح) في تونس توزع بين العمل السياسي والتعبوي والاقتصادي والإعلامي والأمني...، ومع ما يخالط مثل هذه الأعمال من ظواهر تدل على (جدية) أو (عدم جدية)، العمل بحس الرسالة أو العمل استثمارا للوقت بالمال، العمل لتحقيق أهداف وطنية أو العمل لتحقيق المنفعة الخاصة أو المتعة الشخصية، العمل لصرف الموازنات، أم العمل بالموازنات لتحقيق أغراض تخدم مصلحة الثورة، ولأن مجتمع الثورة في تونس كان مجتمعا

صغيرا، فلقد كان مجتمعا منفتحا على نفسه، وكما قلنا سابقا تدفن الخطايا في بحيرة العنفوان وفي مجاري القلاع، وتطفو على السطح في البرك الراكدة أو في مراحل التقهقر والاحتضار وهذا ما كان منذ عام دفن القومية وطغيان الانعزالية والإقليمية العربية مع التعملق الأمريكي منذ هزيمة الأمة في العراق، وهزيمة العراق في الكويت، وقتل العروبة بغزو الكويت، ودفن آمال عريضة عاشت خيالا ولكنها عاشت ردحا من الزمن جاءت حرب الخليج الثانية لتدفن حتى هذه الخيالات والأحلام بالوحدة والقومية والحرية والاشتراكية والديمقراطية، إنها مرحلة التقهقر والانحطاط العربي، ومرحلة الركود والتراجع الفلسطيني فظهر ما كان موجودا ولكن مختبئا تحت عباءة الثورة وهالتها وفعلها المتواصل.

لقد تجرأ الغالبية وتساووا مع الأقلية التي أتقنت تكبير السلبيات منذ عهد الانطلاقة وإبان آثام لبنان وحتى مرحلة السياحة في تونس على المجاهرة بالمفاسق والآثام، وتكبير الأخطاء والمبالغة في الخطايا،ولا جماعة معصومة عن الخطأ، ولا مجتمع مثالي، ولا ثورة مقدسة، فبدت تونس الفلسطينيين بعد العام ١٩٩١ كمبغى كبير، وساحة حرب على أجساد النساء من طالبات وموظفات وخدامات، وبرز رجالات الثورة كمرتادي (بار) كبير يعبون من خموره ومسكراته عبا، وصورت الحركة والثورة كبنك كبير لا ينضب، يمتلك المليارات ويبعثرها شمالا ويمينا دون حسيب ولا رقيب، وان كان في كل ذلك قليل من الصحة التي استغلتها الدعاية الصهيونية والعربية والفلسطينية (المعارضة) ضد الثورة فإن عملية التضخيم والمبالغة استطاعت أن تحطم الصورة الناصعة للثورة المدافعة عن الحق العربي، تلك التي آمنت بالفكر القومي الوطني ورفعت السلاح ثلاثين عاما لتكريس الكيانية وبناء الشخصية وتحقيق هدف الدولة في إطار الكرامة والحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان،وهي الشعارات ذاتها التي يجب أن تصبح واقعا في مستقبل (فتح).

لقد بدت تونس بعد أن تحطمت الهالة وأزيح القناع وتغيرت المفاهيم،واختلفت الأهداف بدت باهتة غير واضحة خسيسة وضيعة، وبدا كوادر

الثورة قطاع طرق، ومجموعة من المحنطين يقودون مؤسسات خاوية يمارسون شم الهواء، ويحشون جيوبهم وحساباتهم بالأموال، و ظهروا كمجموعة من الفسقة والحرامية والأنذال والمتلاعبين بمصائر الشعب وإن كان هذا يصدق على قلة قليلة ما زالت موجودة بين ظهرانينا للآن فإنها للأسف ذات سطوة وذات هيلمان جعل من قيادات الوطن تتحرز من التعامل معها، وتتعامل معها بقدر ما يحقق المصالح، وتتجنبها في كل موقع تستطيع أن تبعدها عنه، وفي هذا المقام وقع الجميع في مشكلة التعميم، فكل مفسدة عمت ولم تخص صاحبها، ووقع الجميع في مشكلة التجريد فما اهتموا بالتفاصيل وإنما أخذت القضايا بإجمالها وأصبح (العائدين) خاصة من تونس يوسمون بما هو سمة القلة القليلة التي شوهت صورة الثورة والحركة ثم السلطة وما زالت، فهل نلوم الكوادر أم نلوم السكوت على هذا الإرث الفاسد بين ظهرانينا؟ فهل يصح أن يبقى كل ذلك في المستقبل ؟؟

تنظيم الوطن وكلمة حق

لقد عاش التنظيم في الوطن حياة غير تنظيمية بعيدة كل البعد عن أن تسمى (حياة) أصلا، فالحياة تعني التفاعل بين الأعضاء، ولم يكن في فلسطين فترة الستينات والسبعينات أن تعارف أو تواصل ولو عدد محدود من الكوادر نظرا لطبيعة العمل السري الذي كان يحكمه قيادات الخارج عبر الرسل ولاحقا الفاكس ومن خلال التنظيم الخيطي هذا من جهة، ومن جهة ثانية لأن الانتماء لحركة (فتح) كان يعني لدى الاحتلال الانتماء لمنظمة عسكرية (تخريبية) تؤدي بالمنتمي لها أن يحاكم في محاكم (التفتيش) الإسرائيلية ويحكم بعدد سنوات عمره وربما أكثر.

إذن لم تعش فتح حياة تنظيمية أو جماهيرية، تعني وجود الهياكل والأطر والتعبئة والنقاشات على قاعدة الالتزام بينما كان الحزب الشيوعي ذا خط جماهيري ما قبل فتح وتواصل لأنه لم يكن حزب كفاح مسلح فلم يلق المطاردة

من الاحتلال، ورغم كل ذلك فقد تشكل لحركة (فتح) في تلك الفترة ـــ وكما يقـول النائب جمال الشوبكي من قيادات الوطن ـــ قاعدة جماهيرية عريضـــة اسـتندت إلى:

١ ـــ رمزية القيادة.

٢ ـــ العمل العسكري.

٣ ـــ صوت فلسطين.

في الفترة من العام ٦٨ ـــ ١٩٨٠ كانت فتح تدخل على العمـــل الشـعبي والجماهيري بشكل خجول وبدأ العمل من خلال الحركة الطلابيـــة خاصـة فـي جامعة بير زيت وجامعة النجاح، وفي المقابل كانت الحياة التنظيمية الحقيقية هـي حياة السجون والمعتقلات التي نظمت بشكل متقدم وضبطـــت فكريـا وسياسـيا وهيكليا فخرجت سجون التثقيف والكراسات عددا مـــن القيـادات التـي قـادت الجامعات لاحقا والانتفاضة المباركة ثم أطر (فتح) والسلطة الوطنية.

لقد كانت الجامعات بؤر استقطاب وقلاع مناضلين كما كـانت السـجون، وكان كلا الإطارين في تفاعل فالذي يخرج من السجن يتم تلقفه للعمل في إطـــار الاستقطاب السياسي في الجامعة، والذي يعتقل من الجامعات ينتقل الـــى جامعـة جديدة ويتواصل. بدأ العمل الطلابي النقابي (الجماهيري) تحـت عنـوان العمـل الاجتماعي برعاية ودعم خليل الوزير (أبو جهاد) وجـهد عشـرات بـل مئـات الكوادر المتقدمة، فكانوا يقومون بعمليات النظافة وقطف الزيتون وذلك منذ العـام ١٩٨١ حيث تشكلت اللجنة اللوائية للشبيبة، أنها تجربـة جديـدة منفصلـة عـن الأشكال التنظيمية في الخارج، فرضتها طبيعة الاحتلال، وطبيعة الوطن، وإبـداع كوادر الوطن وكوادر الغربي أيضا، وارتبط بهذه الأطر تنظيم جماهيري شـعبي محسوب على حركة (فتح) وإن لم ينتمي وإن لم يتثقف وإن لم يدرس الكراسـات أو الجلسات الحركية ال ١٢ أو أدبيات الحركة، وجماهير فتح هذه كانت خـارج الجامعات ، وفي الجامعات التي بدأت فتح تكتسح مقاعد مجـالس الطلبـة فيـها بسطوه العمل العسكري لا البناء النظـري بدايـة مـن الأعـوام ١٩٨١-١٩٨٢

وانتقلت من داخل أسوار الجامعات إلى أطر النقابات التي بدأت تتحول إلى (فتح) أيضا.

الجامعة والمعتقل:

لقد شكلت- كما أسلفنا- كل من الجامعات والمعتقلات مراكز الاستقطاب الفتحوية، فكان من يخرج من السجن يدرس في الجامعة ليصبح بؤرة استقطاب، فتخوض الحركة (الشبيبة) الانتخابات في الجامعة ويؤدي فوزها الى عرس وطني في كل الوطن، وعلى نفس الأساس كان إضراب المعتقلين يتحول الى اعتصام وطني في الشارع الفلسطيني، وكانت مثل هذه النشاطات والفعاليات النضالية أن مثلت مقدمة أو بداية جذور العمل الوطني المتواصل (الانتفاضة) وخاصة منذ إضراب سجن نفحة عام ١٩٨٠.

لقد رسم الاحتلال سياساته على أساس منع بروز قيادات فلسطينية في الداخل لاعتقاده أن قوة مثل هذه القيادات ان نمت وتطورت تؤثر عليهم وفي أذهانهم ما زالت عالقة تجربة انتخابات البلديات عام ١٩٧٦ التي أقلقتهم وأرعبتهم،فكان قرارهم بألا تتكرر، وثانيا كان الاحتلال يرفض الإبعاد للمناضلين لاعتقاده أنه بذلك يعطي شرعية ل(م،ت،ف) ودار جدل طويل في (إسرائيل) حول الأبعاد أم لا لتكون النتيجة إقرارهم بالإبعاد وألا يبقى الكوادر المناضلين في الوطن.

وعليه أدت عمليات تبادل الأسرى إلى إطلاق سراح عدد من المناضلين في السجون وإبعادهم إلى الخارج، إلا أنه في العام ١٩٨٥ تم الإفراج عن ٥٠٠٠ معتقل، وبقوا في الوطن ومنهم من دخل الجامعات فبرزت رمزية هؤلاء، وبدأت هالة القداسة التي أحاطت بقيادة الخارج تنتقل لبعض كوادر وقيادات الوطن من المعتقلين والمفرج عنهم الذين أثروا العمل الوطني وأثروا فيه وقادوه الى أن

جاءت الانتفاضة، لقد حطم هؤلاء الأصنام وصنعوا دينا جديدا واختطـــوا طريقــا سيؤثر على مسيرة فتح ومستقبلها.

انتقال مركز الثقل

من جباليا لكل قطاع غزة، ومن بلاطة والدهيشة إلى كـــل الوطـــن هكـــذا انتشرت الانتفاضة المباركة التي ابتدأت عام ١٩٨٧ والتي ظن الكثـــيرون أنـــها ستستمر أسبوع أو أسبوعين وتنتهي ولكنها تواصلت سنوات مشتعلة، وأيام نـــور، ومساحات أمل ولم تنطفئ خلال أيام لماذا؟ يقول النائب جمال الشوبكي أن نضوج تجربة الجامعات وتبلور الفكر والتجربة الفتحوية فيها كان من أسباب التواصـــل، ولأن اليأس السياسي الذي خيم على المنطقة العربية وخاصة بعد الخـــروج مـــن بيروت والانشقاق ومحاولات جمع شتات (م،ت،ف) في ظـــل تيـــارات الرفـــض الجديدة، ومؤتمر المجلس الوطني فـــي عمـــان ومحـــاولات تجـــاوز (م،ت،ف) ومحاولات إسرائيل خلق قوى سياسية موالية لها، وتواصل الاســـتيطان ونـــهب الأراضي وتدمير المنازل وقتل الفلسطينيين إضافة للوضع الاقتصادي المـــتراجع في فلسطين منذ العام ١٩٨٦ كلها كانت عوامل أشعلت أو ساهمت فـــي انتشـــار جذوة الانتفاضة والتي قويت بكوادر متمرسة ومبنية ونشيطة هي تلـــك الكـــوادر التي خرجت من السجون إلى فضاء الوطن عام ١٩٨٥.

لقد خلقت السجون علاقات اجتماعية وسياسية وفكرية بين أعضاء الوطـــن من جنين إلى رفح، في الوقت الذي زرعت فيه أساليب عمل قطاع الغربي عقليـــة التشكك والخوف والسرية المطبقة والفردية والحذر، لقد كان الأجدر الممازجة بين أشكال العمل الجماعي والسرية وإن كان يظن شيء مـــن التنـــاقض فـــي هـــذا الأسلوب،إلا أنه مدخل التفاعل والترابط وبناء الحياة التنظيمية والتفكير المســـتقبلي وخاصة في الأطر النقابية والجماهيرية التي تصبح الأرضية الخصبـــة تحـــت أي مسميات للاستقطاب الفكري والعسكري .

إن كنا لم نستطع فهم المرحلة تلك بشكل جيد فإن روح الفريق وبناء الثقة بالنفس والآخرين عبر الغرس العقائدي والثوري كان من الممكن أن يشكل الدرع الحامي لمثل هذه المجموعات، وعموما هي تجربة لم تجد لها حظا من القبول ولكل عذره، والنتيجة أن تجربة القطاع الغربي على أهمية منجزاتها العسكرية لم تبنِ تنظيم متفاعل في الوطن، وقامت الجامعات والمعتقلات بهذا الدور الكبير.

كتب البيان الأول للانتفاضة بالتنسيق مع أول الرصاص أول الحجارة الشهيد خليل الوزير (أبو جهاد) وتواصلت بيانات القيادة الموحدة التي كانت تشكل اليوم لتعتقل غدا ولكنها استمرت رغم سجن كل قيادات الانتفاضة، قيادات الشبيبة وازداد احترام وثقة الجماهير لحركة (فتح) بالعمل العسكري المتواصل ثم بفعاليات المد الوطني عبر الانتفاضة حيث كان المواطن العادي يرتب برنامجه اليومي وفق بيان القيادة الموحدة للانتفاضة.

لكل شيء إذا ما تم نقصان

يقول النائب جمال الشوبكي أحد قيادات العمل الوطني في فلسطين أنه بعد السنة الثانية من الانتفاضة اقتصر العمل على كادر محدد بعد أن كانت قبل ذلك يشارك فيها كل شرائح المجتمع من نساء ورجال، وفي ذلك نقول أن الشعوب تحتاج لفترات توقف تلتقط فيها الأنفاس وتستعيد نشاطاتها وتنطلق مجددا بعد أن تعيد ترتيب أولوياتها، وإعادة لملمة صفوفها، وشحذ أسلحتها، وتعديل خططها، ورسم أهدافها الجديدة.

وعلى قدر ما كانت الانتفاضة شحنة عالية من الغضب، وشحنة عالية في المستقبل، وشحنة عالية من المعنويات، وشحنة عالية من الفعل النضالي، وشحنة عالية من إمكانية تحقيق الأهداف والآمال حتى أنها دخلت كلفظة كل لغات العالم، وعبر العالم بأجمعه عن تأييدها ودعمها بأشكال مختلفة، على قدر ما أحدثت تفاعلا عريضا بين كافة قطاعات الشعب، ودمجت كافة كوادر وقيادات الحركة

في الوطن في الفعل اليومي بكافة تشعباته النضالية إلا أن التعارض والصراع بدأ يبرز منذ السنة الثالثة بين مصالح الناس وبعض آراء قيادات العمل الوطني التي كانت تدمر الاقتصاد الوطني بالإغلاقات المتكررة للمحلات والمصالح التجارية والتي يظن أن لبعض العملاء دور ويد طولى فيها أو في تغذيتها، بالإضافة إلى أن تعدد الاعتقالات و الافراجات أدى إلى تعدد لجان القيادة وما صاحب ذلك من (صراع) شديد داخل فتح بين المسؤولين، بين القيادات أثر على تدني مستوى الفعل اليومي، ومع ما خالط ذلك من خطوط بدأت تقوى وتتمحور وتتكتل بشكل متضاد ومع بعض خطوط التمويل في الخارج، فبدأت القلعة تتهاوى وتفتح أبوابها لمن هب ودب، ولكنها حافظت على رموزها في مسار الغد.

لقد تحولت بعض القيادات الميدانية المخترق عدد منها إلى مجموعة من العصابات والمافيات التي تقتل وتسرق وتنهب وتثير الذعر بين الناس وتغلق المحلات وتلوث الجدران بالشعارات وتتشدق بشعارات الثورية والانتقام والمواجهة والكفاح بأسلوب عصي على فهم المواطن العادي، الذي أصبح يربط بين ثورية الشعارات ورذائل الأفعال فيستقر في ذهنه كراهية ورفض لمثل هذا المنطق فتدهورت الانتفاضة، وتحولت قراراتها وبياناتها من دستور وقرآن إلى أوراق لا يلقى لها بالا، وفي ذلك أيضا دور كبير للاحتلال الذي استطاع النفاذ لضعفاء النفوس وتجنيدهم وبثهم في جسد الانتفاضة أو المجتمع، ومن هؤلاء هل نقول أنه بقي قلة وعلى قلتها عكست نفسها على شكل الأداء المنفلش للتنظيم الحالي من تدخل غير مبرر في شؤون الناس والتحقيق معهم ومعاقبتهم أو تهديدهم وضربهم وممارسة فرض الإتاوات والسرقات والانفتاح على عالم المخدرات والسلاح؟!لقد ظل هذا النموذج حيا حتى الآن منذ أواخر عهد الانتفاضة وتحالف مع النموذج الآثم القادم من أطر ثورة بساط الريح، وشكلوا معا قلعة الفضيحة التي آن أوان إسقاطها، ونحن نفكر مع الأخ نبيل عمرو في المستقبل، ان البيئة الصالحة تنجب نبتا صالحا والبيئة الفاسدة ترسم مستقبلا غير زاهر.

اللجان السياسية في الوطن:

في مرحلة جديدة من العمل في الوطن الذي ابتدأ خيطيا سريا ثم انتقل جماهيريا شعبيا عبر الجامعات، وكمدارس للتثقيف والبناء من خلال السجون ثم كفعل نضالي يومي عبر انتفاضة السنوات الستة (١٩٨٧ ــ ١٩٩٢) تم في العام ١٩٩٢ تشكيل اللجان السياسية في الوطن بقيادة من ١٤ أخا، ورئس الأخ جبريل الرجوب ود. سري هذه اللجان التي سرعان ما تحولت إلى اللجنة العليا برئاسة الأخ فيصل الحسيني الذي أصبح عضوا في اللجنة المركزية لحركة (فتح)، ومع عودة الأخ مروان البرغوثي لأرض الوطن أصبح أمين سر هذه اللجنة التي توسعت لاحقا وخاصة مع دخول كوادر (م،ت،ف) وخلق هذا التوسع ميوعة في الأطر والقرار والتنظيم وذلك إشكالية ما زالت معاناتها قائمة حتى الآن، فهل تظل حركة (فتح) المستقبل مرتبطة بفتح الحاضر؟

يقول النائب جمال الشوبكي أن حركة (فتح) دفعت بالمئات مع الانتفاضة حتى وإن لم يعلم عنها شيء فكريا، لكن كل منهم ناضل وسجن وشارك ..الخ، ومع قلة الخبرة النظرية الفتحوية لهؤلاء ومفهوم أوسلو الذي جاء كالصاعقة كان أن أثر ذلك فيهم، فمنهم من نظر لها كمرحلة سلام مع غصن زيتون، ومنهم من أصر على التنظير للكفاح المسلح، فدخلنا مرحلة بناء الدولة في تشتت تنظيمي وعدم وضوح فكري، وفوضى نظم،وتعدد تجارب وجاءت السلطة في وضع ارتباك وكأنها في وضع الفوضى التي تصاحب الجيش المسرح، لقد جاءت السلطة (مرتبكة) وعلى عجل فبدأت كفجر جديد وإن قليل الإشراق.

بناء التنظيم والمستقبل

كان (الارتباك) و (العجلة) سمة البدايات التي رافقت دخول الفدائيين الى أرض الوطن، وكانت (قلة الخبرة) و (ضعف الوعي) سمة الكثير من كوادر الثورة في الوطن والقادمين من خارجه، لقد كان الوضع أشبه ما يكون بوضع

جيش مسرح أقصد هنا وضع التنظيم في الوطن فالكل نـاضل وقـاتل ومـارس العمل الوطني بأشكال متعددة ونماذج مختلفة وعبر أطر ولجان متعددة، ولا نظـام أو قانون أو لائحة جامعة للآلاف من المناضلين فكانت الأصوات تعلـو مطالبـة (بالتصنيف) الذي قمنا نحن في مكتب التعبئة والتنظيم بتونس بإنجازه وفق أحـدث وأفضل الأساليب المعتمدة على الشرائح والنقاط، والذي سلم من الأخ أبو مـاهر غنيم إلى قيادات الوطن فأحدثوا فيه التغيير ولم يكن في ذلك بأس، ولكن التطبيـق كان المأساة الكبرى، فتحول جيش التنظيم بغالبه إلى (مراتب) (عليا) وكيف تقـود شعبا من القيادات ؟! أو كيف ترسم مستقبلا في ظل افتقاد فكر جامع وإيمان ثـابت والتزام مطلوب وتعبئة لا بد منها واحتياجات يجب تغطيتها.

يقول الأخ النائب جمال الشوبكي في رؤيته لـهذه المرحلـة(أن اللجنـة الحركية عزلت عن الناس، وبدأ صـراع الأجـهزة، وغـاب برنـامج الحركـة ومهماتها، وأخذ العديد من الكوادر والأعضاء الذين مارسوا أدوارا في الانتفاضـة وافتقدوها مرحلة السلطة أخذوا يبحثون عن دور فبرزت الشلل والعصابات، ولـم يتم السيطرة على بعض المحررين والمطاردين إلا عبر الأجهزة) ألم أقل لكم أنـه وضع جيش مسرح أخذ يسعى لإعادة ترتيب وضعه في الوظيفة وفـي التنظيـم فبرزت التعارضات واستعر الصراع وكانت المؤتمرات الحاشدة غـير التمثيليـة التي تنتهي بل وتبدأ بالانتخابات،وتبدأ الاصطفافات من جديد، بعد أن يتم هضـم محتويات طناجر القدرة التي تقدم في غداءات الفوز، لقد انتهى عصر الكنافة الذي ارتبط بالعمليات العسكرية من الخارج وبدأ عصر طناجر القدرة، ومع كـل مـا سبق، لقد فازت عقلية التجريب والمبادرة، وسقطت عديد القلاع منـها الصـالح ومنها السيء وفاز المجانين.

إن تجربة الوطن تجربة تستحق التوقف والتأمل، تستحق الدرس والقراءة، تستحق التوثيق والتسجيل، تستحق معالجتها بأمانة ورويـة، تسـتحق الاحـترام والتبجيل، تستحق أن يتم الاستناد اليها ــ رغم كل ما قلناه في دراسات سـابقة ــ في إعادة رسم (فتح) المستقبل وبناء الوعي الوطني الجديد وإرساء قواعد عمـل

جديدة وفكر جديد ينفض عن كتفيه عتق مرحلة وجمود أطر وقوالب لعدد من المحنطين فكرا وعملا وهياكل وأنظمة ومؤسسات سجلت بأسمائهم وكأنها (ماركات) مسجلة، لقد أبدع الداخل تجربته أصاب كثيرا وأخطأ كثيرا ولكنه لم يجمد ولم يدفن نفسه في قلاع الجمود والثبات والتراجع بل انفتح على التجارب وقبل بغالبه أن يغامر في بناء التنظيم بالديمقراطية وان عبناه بنقص المهام والتثقيف والتطور والتخطيط والمتابعة فما كان الأسبقون بأفضل منهم، وربما يكونون هم مجانين التقدم نحو الأفضل في عالم أصبح بلا حدود وفي نظام مفتوح يؤثر ويتأثر لا يستطيع أن يرسم مستقبلا بالانغلاق أو الانكفاء أو اللجوء للوصفات والقوالب الجامدة.

دعوة مفتوحة:

هكذا كانت تجربة الوطن، وهكذا كانت العلاقة مع الخارج، وفي الحالتين سقطت قلاع كثيرة منها ما توجب استمرارها، ومنها ما أفرحنا سقوطها، وفاز في فتح ــ حتى الآن ــ أصحاب المبادرات، أصحاب الارتباط بالشارع والأرض، بالناس وهمومهم وآلامهم أنهم مجانين الانطلاقة الذين تمردوا على فكر هيكل البناء الثوري، لقد اكتشفوا الحقيقة في حركة (فتح) فحطموا فيها الأصنام، ونبذوا عبادة المحنطين والأوثان، كسروا محرمات النظام وهمشوا الأطر العليا، وانطلقوا بعملية تغيير حقيقية في بنية حركة (فتح) التي ستكون في المؤتمر القادم مختلفة تماما، على ما في هذه التجربة من أخطاء وربما خطايا فإنها وسعت من هامش الحرية وأسقطت المركزية وأبقت على الديمقراطية وان بمعناها الفوضوي أحيانا وأطلقت للإرادة إمكانيات التبلور،فرسمت أحد أعمدة مستقبل حركة (فتح)، قوة جماهيرية ديمقراطية هادرة لا تلين. بعد كل ذلك وإن كنا نتفق مع الداعين لتحول حركة (فتح) إلى حزب وطني عروبي يهتم بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والتنمية والاتجاه شرقا، فإننا نضع يدنا بيد الأخ نبيل عمرو وندعو لعقد

ورشة عمل ضخمة، نحن على استعداد لتنظيمـــها لمحاكمـــة تجربـــة المـــاضي والاستفادة منها ورسم شكل الغد الآتي والدعوة مفتوحة.

نختم كما ختم الأخ نبيل عمرو مقاله ودعوته بالقول (لأن فتح لا يصـــح أن تكون مجرد جسم يعالج لحظته فقط، حتى لو كانت المعالجة صحيحة ودقيقة مـــع أنها ليست دائما كذلك، بل لا بد أن تنضج رؤيتـــها للمســتقبل، خصوصـــا وان مؤشرات المستقبل تبدو واضحة في ثنايا واقعنا الحالي، الذي يتعين على فتـــح أن تعترف بأنه ليس على ما يرام!)

غزة- رام الله في٢٠٠٠/٩/٥ .

اخفاقات حركه (فتح) والقدرة على النهوض

في الساعة الثامنة وخمس دقائق بتوقيت القدس الشـــريف مـــن مســـاء الثلاثاء ١٤ مارس ٢٠٠٠، دار الحوار ولمدة ســـاعتين فـــي برنـــامج الاتجـــاه المعاكس بين الأخ هاني الحسن المفكر العروبي و السياسي المعروف وبين الســـيد عثمان العثمان الكاتب والباحث كما عُرف في البرنامج ، ورغم أنني اتفقـــت مـــع إدارة البرنامج وقبل بثه بساعتين على الأقل لأقدم مداخلتي ، ورغـــم محـــاولاتي اللاحقة أثناء البث المباشر للبرنامج للحديث إلا أن كل ذلك لم يثمر لأسباب أرجـــو ألا تكون مقصودة .

لعلي في ظل فحوى ما دار من حديث أجد من الضروري القول أن الأخ هـــاني الحسن صاحب الشفافية والطلاقة الفكرية كان حليما واسع الصدر الى حد التـــهاون أحيانا ، مقابل السيد العثمان الذي تكلم باندفاع وطوباوية يحسد عليها ولكنه تـــهجم على حركة (فتح) ، تهجم بشكل ثأري وبطابع استرجاعي لحقد قديم _لم أفـــهم دوافعه الحقيقية _لقد كان الرجل يشن هجوما مستندا لقراءات مجتزأة من تـــاريخ تنظيم ، كان وما يزال أحد أكبر التنظيمات السياسية التي قادت الشـــارع العربـــي في مرحلة من المراحل وأثرت في المحيط التحرري العالمي ، ومـــا زال يقـــود الشارع الفلسطيني في الوطن .

لقد جانبه الصواب في الطعن بالكليات دون الالتفات للتمايزات فوضـــع ٤٣ عاما منذ تأسيس (فتح)و٣٥ عاما منذ انطلاقتها بشكل مضلل في توصيـــف غـــير علمي وثأري حينما قال بأن (فتح)ورقة (مستهلكة ،غير قادرة ،عـــاجزة) ؟!ومـــن كان القادر أذن!في الأعوام ١٩٦٥و ١٩٦٨ و١٩٨٠ و١٩٨٢ و١٩٨٧ هذا علـــى الأقل !!وكنا سنقول له أن إطلاق الأحكام في ظل عجز سبر أغوار الوقائع يفضي إلى الأحكام غير الصائبة كما بدا واضحا منه، لأننا في مقابل ما ذكر وضعنـــا أن (فتح)كانت _وأظن ما تزال_متجددة متواصلة متغيرة.

لم افهم كيف لأكاديمي أن يستخدم لغة المستحيل !وهو يعلم أن الفكر والتخطيط والتنظيم والإدارة ...الخ كله مبني على الاحتمالات وعوامل التغيير فليس (بمستخيل لفتح أن تحقق إنجازات ...) كما قال لا فض فوه لان الحوادث والمواقف مرهونة بعوامل التأثير والزمن و إرادة الرجال والوضع الذاتي والموضوعي الذي يشطب المستحيل ويقرر الإمكانية لحدوث الشيء من عدمه في ضوء ما سبق .لقد طغت اللغة الثأرية على لغة الأكاديمي فتاه العثمان حيث عاد مرة ثانية لينفي ما لم يثبت ، عاد لينفي تمثيل (فتح) للشارع الفلسطيني مغفلا المراحل ومسقطا الفترات ومتناسيا ان (فتح) لم تدعي ذلك فهي ليست تنظيم دكتاتوري يحتكر الساحة والناس والأشياء كما هو شأن تنظيمات نعرفها ويعرفها الباحث والكاتب تحكم وتتحكم وتكمم وتدعي التقدمية . ان حركة (فتح) كانت وما زالت أكبر التنظيمات الفلسطينية المؤثرة في الحدث الصانعة للفعل بحلوه ومره بصوابه ودلائل خطئه.

ان محاكمة الحاضر بمفاهيم الماضي نقص بالتجدد ،ومحاكمة الماضي بمفاهيم الحاضر إخراج للحدث من السياق ونزع للعوامل عن بيئتها الحقيقية ، وهذا ما فعله السيد العثمان فأجمل الهجوم على مواقف (فتح) السياسية في المرحلة الأخيرة وأسقطها على جميع المراحل ، كما أسقطها على كل ما يمثله التنظيم من فكر وعناصر وكوادر وقيادات وجماهير _وليس فقط سياسة-لقد أخطأ الأكاديمي متعمدا.

ان السلطة الوطنية الفلسطينية مشروع (فتح) وغيرها وليست السلطة (فتح) والطرفان جزء من (م.ت.ف) دار كل الفلسطينيين باتجاه الدولة المستقلة ، وفتح وغالب التنظيمات تشارك في قيادة المرحلة . وفتح ليست (مهترئة وعاجزة) كما يقول السيد العثمان لأن التنظيم الذي يخوض صراعات التواجد في خريطة المصالح الإقليمية والعالمية ، ويسجل الفخر للفعل الفلسطيني ويتسم على الدوام بحيوية العمل اليومي والسعي المتواصل للتغيير في عمق أزمته الذاتية هو تنظيم متجدد وليس غير ذلك.

أن (فتح) تخوض صراعا داخليا _وهذا في ظني ليس بخاف على أي مطلع وقد يكون خاف على السيد العثمان _ وفي الصراع إيجابية التوليد للفكر وإيجابية التجديد للمفاهيم والهياكل وإيجابية التخلص من القديم الفاشل واستبداله بالجديد المتواصل متى ما أحسن إدارة الصراع . ان (فتح) لا تتهيب الإعلان عن أزمتها الداخلية_ وهي أزمة التنظيم أو الحزب عموما في العالم الثالث حاليا _ لذلك فهي تعاني من خلل العلاقة بين القيادة التاريخية ومنها تلك المنتخبة في المؤتمر الخامس للحركة عام ١٩٨٩ أي منذ ١١ عاما وبين القيادة المتحفزة للتقدم ، وبشكل آخر بين القيادة الحالية المزيج من التاريخية والواثبة في الصدارة وبين قيادة الفكر وقيادة الشارع وليس في ذلك ما يعيب ، وليس في ذكره الا ما يثبت ان (فتح) تختلف في السياسة وتختلف في التنظيم وفي الاجتهاد و حتى في منابع الفكر أو العقيدة ولكنها لا تختلف على أولوية فلسطين وفي احتضان التنوع ولا تختلف بضرورة التواصل ولا بضرورة الاكتساب من خلال التجربة ولا تختلف بالحفاظ على الإطار العام للعبة أو النظام ولا تختلف على التخلص من الدم الفاسد وان طال المرض ، وقد تختلف (فتح) حول فهم شخصية الرئيس ياسر عرفات ولكنها والشعب الفلسطيني لا تختلف على ضرورة وأهمية ودهاء أبو عمار محليا وعربيا ودوليا ، انه الجامع المشترك الأعظم لتناقضات الساحة الفلسطينية والعربية ، والمدرك لعظم المسؤولية وتقاطعات الساحة الدولية .

في معرض الحديث عن أوسلو والسياسة والتنظيم والنتائج ، وهل أثر كل ذلك كما يقول العثمان على قيادة (فتح) ؟! نقول بلى ، ففي فتح حاليا قيادة قادرة ولكن مستنكفة كما هو شأن الأخوة أبو ماهر وأبو اللطف ومحمد جهاد وموقعها ما زال شاغرا ، وقيادة قادرة ولكن غير منخرطة بشكل كامل في العملية السلمية أو التنظيمية كما هو الحال مع الأخوة هاني الحسن وعثمان أبو غربية وصخر حبش ...وهناك قيادة ممارسة للفعل التنظيمي أو السياسي ولكن بعضها منقطع جزئيا عن الإرث التنظيمي والتواصل الفكري والغنى النظامي والتراكم السياسي ، ان هذه فتح القيادة في مواجهة أزمة الكوادر والجماهير التي يطول شرحها والتي

تنبع في معظمها من الهلهلة الإدارية والضعف التثقيفي ونقـــص الإرادة الفاعلـــة .إنها في صراع كما ذكرنا والصراع لا تتهيب منه(فتح) فـــهو الرحـــم المنجـــاب للفعل والتغيير والتقدم كما يقول الأخ هاني الحسن، وفي ظل كل ذلـــك يحصـــل التكتيل باتجاه الحق الذي يزهق الباطل وان طال الزمن أو غابت العلائم!

دعونا نترك السيد العثمان وخيالاته التي صورت له كل مآسي الأمـــة بسـبب حركة (فتح) بكلام أقل ما يمكن توصيفه أنه تبسيطي ومضحك ، ودعونا نرفـض اغراقاته في رؤية الحاضر المتجدد بقوالب تفكير الماضي التي عفى عليها الزمـــن ، ودعونا نرفض القوالب الجامدة التي أسقطها بشكل مطلق في لغة غـــير علميـــة نلتمس له فيها عذر الطوباوية أو الرغبة في جعل الأهداف حقائق كما هو شـــــأن الفكرة والورقة. ما هكذا يفكر الثوار ولا السياسيون وربما نكرر القول للرجل بمـا ذكرناه ان (فتح) صنعت ثورة وهي أخطأت كثيرا ، وتمادت كثيرا ربما وعاشـت أزمات وكبتَ ونبت ،ولكنها كانت لا تستكين بل تتواصل وتقود الأحــــداث مـــن عمقها العروبي الإسلامي ، وفي ظل الممكن والبناء والاستمرار بفكـــر الإبـــداع والتطور والذي هو الفكر الذي لا يموت.

لقد تميزت (فتح)_ وهذا وكل ما سبق ليس دفاعا ولكن قراءة فـــي الواقـــع _ بالقدرة على الاعتراف بالأخطاء والأزمات و الاخفاقات وربمـــا صعـــب عليـــها معالجتها جذريا وتعاملت معها بالمرونة أو بأسلوب التغاضي أو بمنطق التصـــالح والعفو ، ولكنها حققت القدرة على الانطلاق والنهوض بعد كل كبوة . لقد صنعت الجماهير تنظيماتها وقادت التنظيمات الجماهير وصنع الفكر روح التنظيم فأسـكنها في أجساد قادة عظام كانوا يسلمون الراية من شهيد إلى شهيد ، وهكذا كان الحـــال في تنظيمات التحرر والتغيير والتجدد ومنها كانت (فتح) ، ومنها كان أبو ايـــاد و ابو جهاد وخالد الحسن وكمال عدوان ...الخ رحمهم الله جميعا ، ومثلـــهم مـــن الأحياء. ان الإيمان بالهدف المرتبط بالفعل دون كلل ولا ملـــل ، وبـــدأب النمـــل وإصرار المحترفين لا يطفئ جذوة فكر كفكر خالد الحسن ومحمد غنيم وصخـــر حبش وأبو علي مصطفي وصالح رأفت ...وغيرهم.

قد لا أكون مسرورا لعدم قدرتي على محاورة الأخ هـــاني الحســـن أو الســـيد عثمان العثمان أثناء البرنامج ولكنني قد أجد في مساحة الكتابة هذه ، ما يجعل من إمكانية التعبير دلالة على رحابة الديمقراطية وسلاسة التواصل .

غزة في ١٥/٣/٢٠٠٠ .

الإرهاب الروحي والانتفاضة المنتصرة .

كثيرا ما يعتريني شعور بالسخط والغضب الداخلي عندما أقــرأ أو أســمع دعوات حماسية صاخبة ، أو شعارات مدوية تدعو بشكل تبسيطي غريــب إلــى تصعيد الانتفاضة ؟! وأغضب أكثر عندما يتلعثم الكاتب أو المحلل السياسي عندما يُسأل عن كيفية التصعيد ؟ حيث يرد قائلا أن هناك طرقا كثــيرة ، أو يقــول أن الشعب الفلسطيني يعرف طريقه أو يقول غير ذلك مما هو بسيط وعــام وغــير محدد ، ولا يأخذ بالاعتبار العمق المطلوب في النظرة للحدث (الانتفاضــة) ، ولا يجهد نفسه في التحليل لعوامل القوة والضعف وتشابك المصالح والطبيعة المعقــدة جدا للصراع العربي الفلسطيني – الإسرائيلي ، وبالتالي المعادلة الجديــدة التــي بلورت الانتفاضة مخرجا إلزاميا من مسار التسوية العبثي الذي دخل منــذ عــهد نتنياهو في مرحلة الشطط والانحراف المتعمد والمماطلــة إلــى حــد الخــروج الإسرائيلي في عهد شارون وبشكل فاضح ومتعمد عن مسار التسوية والسلام .

الشعارات والحقائق

أن الشعارات الصارخة والدعوات الحماسية والرؤى الميتافيزيقية لا تلغــي الحقائق ، كما أن التعبئة المفرطة في حماسيتها ، والتحريض المبــالغ فيــه قــد يضعف المقاومة ولا يصعدها ، لأن الأهداف من مواصفاتها – حتى لو صيغــت كشعارات – قابليتها للتحقيق ، و إلا تحولت إلى أمانٍ وأحلام وأحيانا إلى خرافــات تجر الأساطير .

ان الشعارات التي تعبر عن نبض الشارع ،هي الشــعارات التــي تجســد حقيقة الأهداف أي قابلية التحقيق ، ولا تتأتى هذه القابلية من حلــم رومانســي أو

إيمان خارج نطاق الطبيعة غير مسنود بفعل ميداني ولا تأتي من دعوات وصلوات وأصوات عالية إلى حد البح والكح .

الانتفاضة المنتصرة

الانتفاضة المنتصرة هي الانتفاضة التي تتساوق فيها الفعاليات الشعبية والميدانية والمؤسسية والسياسية ، وكلها في الإطار الفلسطيني الداخلي ذي المرجعية الواضحة ، تتساوق مع الموقف السياسي والمادي العربي ، ولا تتعارض مع الأرضية المشتركة والغطاء السياسي الأوروبي، ان الانتفاضة المنتصرة هي التي تعلي من شأن الإرادة البشرية نعم ، ولكن في حدود الفهم لمستوى القوة المتوفر ، ولمساحة الحركة المتاحة ، ولقدرة المناورة بجسم الانتفاضة ضمن القوة المتوفرة في مساحة الحركة المتاحة .

ان قوة الانتفاضة في شعبيتها وتواصلها دون حد الإنهاك الجماهيري الذي قد يجعلها سكينا في النحر ، فترتد إلى صدر الوطن عصابات و أزلام وفوضى وعبث ! وقوة الانتفاضة في لجم التشتت ومحاولة رأب الصدوع وتوحيد المنهج والمرجعية المفتقدة حتى الآن ! وقوة الانتفاضة في اتزان الخطاب السياسي والشعارات دون إسفاف أو مزايدات حزبية فارغة ستدمر المسيرة وتحرف أسس النضال ... وقوة الانتفاضة في عدم الانحراف عن رؤية السلام في نهاية النفق ، والتمسك الواضح بهدف الدولة المستقلة في إطار الجوار الإقليمي أي في ظل وجود العدو الذي نفاوضه وسنتحرر منه . وقوة الانتفاضة في عدم استفزاز مشاعر الناس وتصعيدها إلى الحد الأقصى الذي لن نتمكن فيه حكومة وتنظيمات ومؤسسات وكوادر أن نحقق لها ما نرفع من شعارات براقة هي أحلام لا تتفق مع موازين القوى وطبيعة الصراع ورؤية المتغيرات.

الإرهاب الروحي وقوة الانتفاضة

وقوة الانتفاضة في عدم التلاعب بالنفسية الفلسطينية أو ممارسة (الإرهاب الروحي) بحق الجماهير التي تتغذى من بعض مزاودي اليسار واليمين بشعارات نارية تصبح من مشمولات أفكارهم ، ولا يمكن لهم في نفس الوقت – لا لليسار ولا لليمين – أن يبلغوا تحقيقها ... وعليه فان حدود القوة المتوفرة للإرادة الفلسطينية ليست مطلقة أو غير مقيدة ، بل هي محدودة بفهم الواقع الفلسطيني وقدرة الشعب العالية ولكن ضمن حدود الفعل والمناورة الممكنة وفي إطار المساحة المتاحة .

القوة ومساحة الحركة

تتحرك القوة بإرادة الفعل لتحقيق الأهداف في إطار المساحة المتاحة، وهذه المساحة المقصودة هي مجال الحركة الممكن وطنيا ، والمدعوم إقليميا ، أو القابل للتأييد عربيا والمقبول نسبيا عالميا وخاصة أوروبا ، و المسكوت عنه أو المدان نسبيا أمريكيا ... وعليه لا فائدة من دعوات تدمير إسرائيل أو (أحصهم عددا وفرقهم بددا ولا تبق منهم أحدا) وإلا تحول النضال إلى دعوة صوفية تتأمل وتسعى لتمرين الروح وتهذيب الجسد بانتظار الكرامات والمدد ؟! أو إلى دعوات سلفية تقارن السحيق بالجديد، وتضرب المثل متجاوزة آلاف السنين والزمن ملغية العقل والمتغير ومتوقعة عند حد الضرورة في انتصار البروليتاريا أو عودة الخليفة ، في أحلام غيبية تهمل السعي بانتظار أن تمطر السماء ذهبا أو فضة !

الغضب والنصر

ان هدف الانتفاضة الرئيس هو السلام ، وهدف الثورة الفلسطينية منذ انطلاقتها هو الحرية والكرامة والعدالة في إطار أهدافنا الوطنية التي تقدس السلام كقيمة عادلة ، والمنحرفون عن السلام هم حكومة شارون وسدنة الحلم الصهيوني

المتهاوي من أباطرة اليمين وصوتهم الخارجي بيريس ••• وعلى مثــل هــؤلاء كان يجب أن نسخط ونغضب ولسياساتهم نقاوم ، وما السخط على المتلعثمين مـن أصحاب الدعوات والشعارات إلا لأنهم أصحاب النظرات الضيقة أو غير المكتملة أو التي لا ترى الألوان في العمل السياسي والتي تقود الشــعب الــى الإحبــاط واليأس ، وحينما يأتي النصر لا يجدونه هكذا ، و إنما قد ينظرون له استســلاما وهزيمة ، ويستمر الغضب •

الانتفاضة تُدخِل (فتح) عامها الثاني.

الانخراط الميداني وإشعال المبادرة والفكرة الملهمة والحشد الشعبي تمثل القواعد الأربعة الذهبية – برأيي– للانتفاضة المباركة انتفاضة الأقصى، انتفاضة القدس، انتفاضة الاستقلال... فلقد شكلت الفكرة الملهمة وقود الفعل وبطارية الشحن لكوادر الانطلاق، حيث صيغت (الفكرة) المرتبطة بالعمق الإيماني المتجدد أيديولوجيا وحضارياً ووطنياً الدافع وعود الثقاب للكوادر الميدانيين لإشعال نيران مبادراتهم المتواصلة.

المبادرات والانخراط الميداني

وشكلت المبادرات الفردية والجماعية في مناخ من الحرية، ومساحة مفتوحة للعمل تجدداً وتغيراً ظهر في كل مرحلة ومع كل تطور للحدث السياسي والميداني... لقد ارتبطت المبادرات بالحدث وبالفكرة الغنية والأهداف الواضحة: التحرير والدولة والمستقبل الأفضل، كما ارتبطت بإرادة النهوض وقدرة الفعل التي تجلت بأصغر طفل وفي شيوخ عقل الفلسطينيين وحكمائهم.

وكان لقدرة الكوادر المبادرين – القادة الحقيقيين– أن ادمجوا قطاعات شعبية واسعة في نشاطات وفعاليات الانتفاضة، بحيث إن الانخراط الميداني الكادري الجماهيري كان يتحدد أفقيا دون العودة للهياكل والأطر التي همشت أو سقطت رأسياً وكذلك الحال بالنسبة لظهور الأجيال القيادية الجديدة... فتراجعت أطر كثيرة وصعدت أطر بديلة وظهرت تنظيمات كان منها (فتح) لأنها أفسحت المجال ووفرت المناخ وتمتعت بالمرونة أحيانا الفوضى التي أثمرت نمواً للقيادات الأفقية التي رسمت قواعد تواصل فعل الانتفاضة ممثلاً بالانخراط الميداني والمبادرة والفكرة الملهمة والحشد الشعبي.

بين انتفاضتين

لربما كانت الانتفاضة الحالية اختلفت الشيء الكثير من حيــث الصعوبــة والمخاطر والشدة وعدد الشهداء والجرحــى كمــا اختلفــت بوســائل الإرهــاب الصهيونية المستخدمة، واختلفت بطبيعة التقاطعات الداخلية بين القــوى الوطنيــة والإسلامية والأجهزة الأمنية، واختلفت عن الانتفاضات الســابقة وخاصــة عــن الانتفاضة الأولى (١٩٨٧ - ١٩٩٣) بكل ما سبق وبدخول عامل الإعلام - إلــى جانب العمل الميداني- كسلاح حاد وبتار ومتاح استخدمه الطرفان، كما اختلفــت بتصاعد وتيرة الدعم الشعبي العربي، وتنــاقص وتنــاقض وتذبــذب المواقــف العربية الرسمية، وبالجهد الكبير الذي وقع على عاتق الدبلوماسية الفلسطينية فــي المجالات: العربية والأوروبية والإسرائيلية والأميركية.

فتح في إطار الانتفاضة

ورغم مجمل الاختلافات تلك فان تجدد وتطور وإبداع حركة (فتح) بقــي متأصلاً، واستمرت قدرتها على فهم الواقع والتعامل مع الحدث مربوطاً بالإقليمي والعالمي ثرية وقوية وان كنا لا نغفل دور تنظيمات أخــرى، ودور المؤسســات غير الحكومية، ودور الجماهير غير المنظمة فإننا سنقصر حديثنا هنا عن بعــض النقاط التي ميزت حركة (فتح) في إطار الانتفاضة الحالية (٢٠٠٠-٢٠٠١) حتــى الآن :

١. الإمساك بالحدث: استطاعت حركة (فتح) أن تمسك بالحدث الذي بــدأت فيه الانتفاضة، أعادت ترتيب صفوفها بسرعة دامغــة حــافظت علــى الزخــم الجماهيري والتواصل النضالي الذي اذهل القريب قبل البعيد، وعكس نفسه عــاملاً محرضاً للتنظيمات الأخرى التي دخلت المعترك بعد فترة ليست قصيرة.

٢. مرونة الأطر: ظهرت فتح مرنة، متفتحة، معطاءة، راعية للفعل، حاضنة للحركة وان كانت المرونة من مميزات فتح منذ الانطلاقة ارتباطاً بالمبادرة وحس التاريخ والثقة بالفوز والتضحية، إلا أن مفهوم المرونة قد تداخل في مراحل عدة ومنها في الانتفاضة مع الفوضى في الأطر والمراتب والمسؤوليات والأوامر وتعددها وتقاطعها مما حدا بالبعض لان يعتبر مثل هذه الفوضى أو العشوائية ميزة وما هي بالقطع كذلك!

٣. تعدد المرجعيات: في الفهم التنظيمي والإداري السليم لا يجوز وجود اكثر من مرجعية لشخص واحد، أو إطار واحد، ولكن حركة (فتح) -وللأسف التنظيمات النظيرة الأخرى التي طالتها العدوى - عانت من تعددية المرجعيات منذ زمن، ولكن هذه المثلبة في ظل انقطاع التواصل الجغرافي، وضعف التواصل الإنساني، وطبيعة الإرهاب الإسرائيلي، وأهمية السرية في كثير من الأمور أعطت دفعاً للمرونة، وعمقت من أحاسيس الكوادر بضرورة الإنجاز بعيداً عن الارتباطات الرأسية بالقيادة أو المرجعيات التقليدية.

٤. فتح الحوار الثري: لم يتوقف - مع تواصل الانتفاضة- الحوار الفتحوي الداخلي حول مفهوم الانتفاضة وآلياتها وتطويرها سواء عبر الجلسات التنظيمية المغلقة أو المحدودة أو العلنية أو الجماهيرية أو المتلفزة مما شكل زخماً ومناخاً متآلفاً وداعماً للفكرة والأهداف، وادمج قطاعات واسعة من المجتمع المدني في النشاطات... ورغم ظهور تيارين أحدهما يدعم تواصل الانتفاضة والآخر يترقب أي فرصة ولو ضئيلة لإنهائها واستثمارها سريعاً.

٥. تعدد وسائل المواجهة: حيث أفرزت الحركة كوادر وقيادات وجماعات متعددة ومتنوعة مارست أشكالا عدة من المواجهات مع الإرهاب الإسرائيلي من مثل الكفاح الميداني، والمظاهرات، والإضرابات ومقاطعة المنتجات أو التطبيع، والندوات...الخ، وظهرت كتائب شهداء الأقصى وكتائب العودة، وكتائب الشهيد ثابت ثابت وجماعات المقاومة الشعبية كتعددية مثلت انعكاسات للطبيعة المرنة

(والفوضوية أحيانا) وانعكاساً لرغبات القيادات الطامحة من الكوادر الصغيرة في مقارعة العدو من جهة واثبات الذات من جهة أخرى.

٦. التنسيق الميداني: لم تغلق حركة (فتح) سواء بأطرها الرسمية السياسية أو الإعلامية المرتبطة بالسلطة الوطنية وأي من أجهزتها أو غير المرتبطة.. لم تغلق خطأ، ولم تغلق صلة فتحتها أو كانت مفتوحة من الأصل، وفي مقابل استمرار هذه الصلات قائمة أي بين فتح الإطار السياسي وفتح القيادة الميدانية -القيادة الحقيقية- وفتح الإطار الإعلامي وفتح الأجهزة ومؤسسات السلطة، فان العلاقات مع التنظيمات السياسية الأخرى أصبحت اكثر قوة و طالها شيء من التنسيق رغم ما شاب التظاهرات من مساوئ رفع الإعلام المتعددة وإطلاق النار بالهواء وظاهرة المقنعين وتناقض الشعارات...الخ .

٧. إدامة الحياة: استطاعت الحركة الوطنية عامة أن تتغلب على مفاهيم ارتبطت بالانتفاضة الأولى من مثل الاغلاقات والإضرابات والتي كانت موجهة للاقتصاد الإسرائيلي، بان أدامت الحياة وابتعدت بفعلها ونشاطها عن الإساءة بأي شكل لمظاهر الحياة الزراعية والصناعية والتجارية... وتولت مؤسسات وأجهزة السلطة مهمة الحفاظ على معيشة الناس واستتباب الأمن والنظام دون منازعة من أحد، إلا ما بدر في بعض الحالات الشاذة والاستثنائية.

٨. الحرب الإعلامية: خاضت الحركة الوطنية الفلسطينية (والوطنية تشمل بالضرورة التنظيمات السياسية الإسلامية) معركة الإعلام بشكل ابرز الحدث (الفلسطيني) وأسبابه وانتشاره وتداعياته عبر عدد من المقاتلين من المراسلين والكتاب والمصورين والصحفيين الذين فرضوا الصورة الفلسطينية والحدث الفلسطيني والمقال الفلسطيني في كل بيت في فلسطين والعالم.... وعلى الصعيد المحلي كان للصحف اليومية الثلاث (الحياة الجديدة والأيام والقدس) وأسبوعية فلسطين اليوم والانتفاضة والكرامة والمنار دورا تعبوياً هاماً إلى جانب الإذاعة الفلسطينية ذات الزخم والامتداد الواسع، وبعض الدوريات الأخرى.

٩. الأجهزة الأمنية و(فتح) : قاتلت الأجهزة الأمنيـــة إلـــى جـــانب شـــعبها وشاركت في صد هجمات الإرهابيين الإسرائيليين على كافة مناطق نفوذ الســـلطة الوطنية، ودافعت مختلف الأجهزة دفاعاً مستميتاً ضد توغلات الجيش الإســـرائيلي في كافة المدن، ودفعت مقابل ذلك استحقاق النضال والتضحية ممثلاً بعشـــرات الشهداء الذين تقاطع انتماؤهم بين الجهاز وبين حركة (فتح) تحديداً... فلم يشـــعر ابن حركة (فتح) وكذلك أبناء التنظيمات الأخرى بأي تناقض بان ينتمـــي لجـــهاز أمني مهمته صيانة أمن ومعاش الناس والنظام وبين أن ينتمي لتنظيمه السياســـي في مواجهة الإرهاب الإسرائيلي المنظم ...رغم التناقض النظري الواضـــح بيـــن الأمن والاستقرار وبين الثورة والعنف والنضال.

١٠. في سجل الخالدين: سجلت حركة (فتح) عشرات الشـــهداء فـــي ســـجل الخالدين مع الصديقين والنبيين وان كنا لا نحبذ ذكر إحصائيات هنا رغم معرفتنـــا بالأرقام فلأن الشهادة في الدفاع عن الوطنية لا علاقة لها بالانتماء التنظيمـــي أو السياسي، وإنما تصبح ذات دلالة وطنية أو حضارية أو روحية عامة... وقدمـــت الحركة آلاف الجرحى والمعاقين في سفر المسيرة الطويل، وسفر هذه الانتفاضـــة، وكانت حرب الاغتيالات والقتل ضد كوادر (فتح) والحركة الوطنية حرباً جبانـــة لأنها حرب مداورة والتفاف، حرب القوة الغاشمة ضد الأيدي العارية فراح ضحية الاغتيالات المدبرة خيرة القيادات الميدانية والسياسية والتي لم تمر بســـهولة بـــل تبعتها أو سبقتها عدد من العمليات البطولية ضد قوات العدو وآلاتـــه العســـكرية والإرهابية.

١١. فتح حركة العدل والسلام: رغم عنف الإرهاب الإسرائيلي وعنف القـــوة الغاشمة العسكرية المستخدمة، وعنف القتل والتصعيد والاقتلاع والترويع والـــهدم، وتعقيد معاش الناس وعزلهم وحصدهم وإهانتهم وتحقيرهم في كل آن وحدث عنـــد كل حاجز رغم كل ذلك واكثر لم تفقد فتح، ولم يفقد الرئيس ياسر عرفـــات، ولـــم تفقد الحركة الوطنية إيمانها بالسلام، لأنها آمنت بالوسيلة طريقاً للهدف، ولم تضع الوسيلة هدفاً كما هو الإرهاب الإســـرائيلي... فكـــانت الدبلوماســـية الفلســـطينية

والتحرك الفلسطيني مرتبطاً بالشرعية الدولية والقيم الحضارية وحق الشعوب في تقرير المصير وإقامة الدولة، فتواصلت العلاقات مع المجتمع الدولي ومع قوى السلام الإسرائيلية في بحث دءوب عن تحقيق الحقوق الفلسطينية المشروعة والعادلة.

١٢. القيادة الحقيقية في (فتح) : قالت الحركة دع ألف زهرة تتفتح في بستان فتح، فرعت المبادرات وحققت الحشد الشعبي وارتبطت بالفكرة والأهداف وانخرطت في الفعل بعيداً عن التنظيرات الفارغة و(العلك الفكري) غير المفيد... فأظهرت على مدى المسيرة قيادات عديدة، قيادات حقيقية، قيادات إبداع، قيادات ميدانية في شتى المجالات الفكرية والسياسية والإعلامية والكفاحية والشعبية...لم تكن القيادة يوماً منصب ولا مهمة ولا موقعاً، وإنما قدرة قد تتصاعد وقد تتهاوى، قدرة قد تكبر وقد تصغر تنتصر أو تنهزم ميدانياً ونفسياً... لذلك ارتبطت القيادة بالقدرة فمتي ما تواصلت استثماراً واستغلالاً وزرعاً وإبداء للاهتمام وتعبئة وتوجيه للآخرين تأصلت وتواصلت وحققت الجذب والالتفاف... ولأنه في انتفاضة الأقصى ضعفت قدرات الكثيرين ممن هم في مناصب أو مواقع مسماة قيادية، فلقد برزت قيادات حقيقية ميدانية، وجدت من عباءة تقصير تلك الرسمية فملأت الفراغ أغلقت المساحات المفتوحة وتمددت. لقد انبعثت كثير من القيادات من تحت الرماد أو جاءت من الظل وتصرفت وفق الإمكانات المتاحة لها، وبحسب املاءات الجغرافيا والتقدير والضرورة والمكان.. قيادات لم تأبه بالأطر والمستويات الهيكلية وتغلبت على صغر سنها بتموضعها وحسن علاقاتها ونظافة سجلها الوطني، لقد انتزعت قيادات الانتفاضة في مجالات الفكر وبين الجماهير وفي الإعلام والميدان انتزعت مكانها انتزاعاً بقدرتها وإمكانياتها وانتشارها دون قرار من أحد، فخلقت في فتح والانتفاضة حركية وحيوية وإبداع وثراء عز نظيره في مكان آخر.

خاتمة:

مع دخول الانتفاضة عامها الثـــاني بمميزاتـــها الإيجابيـــة أو السلبية مما ذكرنا أو لم نذكر يدخل العالم في معترك عالمي جديد اثـــــر حادثتي نيويورك وواشنطن، ويدخل في معادلات دولية جديـــدة، وفـــي علاقات ناشئة ستفرض مفاهيم وأفكارا وتحليـــلات وأحـــداث وقضايـــا ومصالح وعلاقات ستنعكس على وضعنا الفلسطيني وعلى الانتفاضة بما يؤثر على فتح والسلطة والقضية الفلسطينية وعلى طبيعـــة الانتفاضـــة ومهماتها الراهنة ووسائلها، نحن مقبلون على عـــالم آخـــر وانتفاضـــة أخرى، والذي لن يضر مهما كان بأهدافها الشرعية والعادلة والواضحـــة ولا بإيماننا بالتضحية وحتمية النصر، وما النصر إلا من عند الله.

التنظيم والخبز والفكر السياسي

مقدمة

عندما نتحدث عن التنظيم (المنظمة)نجد أنفسنا أحيانا وكأننا في الوطن نتحــدث عن المجهول أو الخيال ، لان التنظيم (السياسي)بتعريــف المؤسســة الصانعــة للقرار ، وبتعريف الأعضاء المؤتلفين حول (فكر) التنظيم ، والمنتميــن لأهدافــه العامة قد لا نراه إلا افتراضا كما هو شأن (دون كيخوت) مع معاركه وأمجاده في مواجهة طواحين الهواء ، ولكنه إجمالا موجود كمادة بشرية وان هلامية تجتمــع بالحد الأدنى من الفكرة والروابط والقوانين والنشاطات ، وبكثير من الاتصــالات غير المهيكلة وبذلك فهو يحتاج لإعادة انتزاع الفكرة من أحضان المصالح الذاتيــة ، وإعلائها والعمل بمقتضاها بما يوحد القبائل (السياسية) ويفرض أولوية الانتمــاء للوطن . إن التنظيم مدخل المطالبة بخبز الجماهير التي تضحــك علــى فذلكــة المفكرين متى ما جاعت وتنصت مليا لتسمو متى ما اطمأنت .

يقول (ديكارت) أنا أفكر إذن أنا موجود لذلك كــان الفكــر وحريــة الفكــر والاختلاف ضمن رحابة الحرية هو مما يوحــد النــاس ولا يفرقــهم ! والفكــر السياسي _فكر هام جدا _مر في المنطقة بتطورات وقفزات عديدة لكنه ظل فــي محيط القومي والاشتراكي والإسلامي (أو الاســلاموي) ،وزاوج بيــن الوطنــي كانتماء والديني كهوية ، أو بين الوطني والقومي أو الوطني والاشتراكي ، وأثــر على مسيرة أجيال أجج فيها مشاعر العداء والمواجهة والثورة علــى الاحتــلال ، وصعد من قيم النضال القومي والطبقي ، وأعلى من الفكرة على حســاب الــذات ...وفي عصر الثورة الاتصالية والتدفق المعلوماتي والعولمة يبقى الفكر (والفكــر السياسي)حصنا للمجتمعات التي ترغب بالحفاظ على انتمائها وهويتها وتميزهــا ، وبشكل أمتن وأقوى في إطار بناء التنظيم وتدعيم عمليــة الحــوار والمشــاركة

السياسية المستتبعة لقاعدة (أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف). وفي هذه الورقة سنتعرض بشكل إجمالي لهذه المفاهيم الهامة في التغيير والتطور.

قطيع أم تنظيم (١)

التنظيم (المنظمة) كلمة كثيرا ما تتردد على ألسن الناس في الوطن هذه الأيام ، ويشار إليها حين حصول الاشكالات أو التعارضات أو حالات الشغب ، وكأنها أصبحت مقصورة في الوعي الشعبي حاليا على هذا الفهم ، ولكن التنظيم في الحقيقة ومن زاوية علمية عبارة عن مجموعة من البشر متضامنة لتحقيق أهداف معينة وفق مسؤوليات وأدوار محددة ، وهو مؤسسة أو تشكيل له مهمات عمل محددة . يعرف المفكر (ليترر) المنظمة بأنها وجود اجتماعي طور من قبل الأفراد لتحقيق أشياء لا يمكن تحقيقها بغير ذلك ، وهي تأخذ أفرادا متنوعين ومعرفة (فكر) ومواد أولية وتضعهم في هيكل ونظام ليعبر عن وحدة متكاملة ، لذلك لا يمكن أن يطلق على الحالات الهلامية من الجموع الساذجة والمحرضة ،الغاضبة والمندفعة والمعارضة أو المؤتلفة لمصلحة مؤقتة صفة (التنظيم) حتى لو كان مجموع أفراد هذا القطيع أو التجمع ممن ينسبون أنفسهم بشكل أو آخر لتنظيم ما .

المنظمات في المجتمع حجر الأساس في المدنية الحديثة كونها عنصر التطوير وبناء مكونات الحضارة ، وكونها أيضا قاعدة التغيير المجتمعي ومراكز صنع القرارات أو اتخاذ القرارات ،إن المؤسسات والأحزاب والمنظمات غير الحكومية والأهلية وجماعات الضغط والمصالح الأخرى هي حاضنة التحضر والاتصالات والأدوار الاجتماعية ، وتكوين المفاهيم والعادات والأفكار ، وتمارس هذه المنظمات (التأثير) في المجتمعات كجماهير وكسلطة ،وهي وسيلة (وسائل) ضمان عدالة توزيع الخبز و ممارسة الأفراد لأعمالهم ، وتكوين أفكارهم وتحديد سلوكياتهم ، بحيث أن التنظيم يترك بصمته على الأعضاء فنميز بين أعضاء

التنظيم الثوري ،والمحافظ والتقدمي والمتطرف ، أو ذاك الوطني أو المتمظهر برداء الوطنية.، وبما يجعلنا نميز بين المنتمي لحركة (فتح) أو الجبهة الشعبية أو (فدا) ...الخ ، من طرق التفكير والتعبير والسلوك السياسي ، وكذلك الأمر مع الرواسخ من التنظيمات المجتمعية الأخرى . إن الفكر يصنع التنظيم والتنظيم يصنع الأشخاص .

ولأن التنظيم (المنظمة) بكافة أنواعه ، وبمجمل تفصيلاته يمثل قيادة المجتمع في حقيقة الأمر -في النظام الديمقراطي-فانه يتحمل مسؤولية كبيرة في توفير الخبز و الضغط والرقابة والتوجيه والتحريض والتعبئة وصنع الأفكار والرأي العام ورسم المستقبل أمامه ، وبذلك يمكننا القول أن التنظيم (جماعة موحدة بشروط محددة وأهداف وأفكار مشتركة وتحكمهم قواعد متفق عليها ، وتجمعهم اتصالات تنظيمية وهيكل ويقومون بعمل مشترك) وبهذا التعريف نستطيع أن نميز بوضوح الفرق بينه وبين القطيع أو القبيلة أو العصابة أو شلل الزعران أو الجماعات الأخرى .

التنظيم السياسي الفقير (٢)

لا يكون التنظيم السياسي تنظيما فقيرا لقلة في الموارد ، وانما لقلة في الفاعلية وعليه فان مطلب الثراء يتحقق بامتلاك التنظيم للصفات التالية :

-خط سياسي وفكر واضح

-بنيان تنظيمي وعلاقات ديمقراطية(وفي الحالة الفلسطينية مركزية ديمقراطية) ، وتعاون وأنماط التزام .

-قدرة على التعبئة والتأثير في الآخرين .

-قدرة على صنع وقيادة الحدث ، وملاحقته.

-بناء وتكوين الأعضاء.

ولكل منظمة (تنظيم) سياسي نظرية سياسية وبرنامج سياســـي ينطلــق مــن الأهداف والمبادئ والأساليب والمراحل وتحيد جبهة الأعداء وجبهة الأصدقـــاء ، وطبيعة العلاقات الداخلية في التنظيم ومع المحيط،وكلها الأساس أو المادة الثريــة الحية التي تشكل (فكر) التنظيم ذاك الذي تحكمه القواعد والقوانيــن فــي إطــار الاتصالات والهياكل والنشاطات التي ترعى الممارســات (تنفيــذ الأعمــال) .إن التنظيم الثري هو التنظيم الفاعل ،والتنظيم الفقير ليس الفقير بأعضائــه أو الفقــير بزرعه بل الفقير بعدم الوضوح الفكري المفتقد للبنيان التنظيمي والفقــير بعــدم القدرة على الحصاد، وضعفه في عملية البناء والتأثير.

التفكير والفكر

قلنا أن أحد أركان بناء المنظمة (التنظيم) أي تنظيــم هــو توفــر الأفكــار والأهداف ، لأن الأهداف ما هي بالأصل إلا أفكار تتحول إلـــى برنـامج عمــل ومرامي يجتهد واضعها لبلوغها فالأصل فيها التفكير الذي ما هو إلا عملية ذهنيــة ترسم خريطة أو خطة العمل المؤدي لتحقيق هدف ما أو كما يقول د. لؤي صافي عن التفكير والعقل بأنه يستخدم (للدلالة على العمليات الذهنية من تحليل وتركيب واستقراء واستنباط للانتقال من تصورات وتصديقات أولية إلى تصورات مركبة) (٣)وبشكل عام فان عملية التفكير تسفر على الدوام عن فكرة .والفكرة في التنظيـم السياسي هي الفكرة السياسية (تصور عقلي لظاهرة سياسية أو موضوع سياســـي) تصبح في التنظيم عبر تنسيق التصورات العقلية هذه وربطها بالنتـــائج تصبــح (نظرية) لذلك يقال أن للتنظيم السياسي فكر ونظرية سياسية قد تتحول إلى مذهـب أو أيدلوجية سياسية متى ما رفع من شأن فكر التنظيم أو نظريتـــه إلـــى مرتبــة العقيدة التي يؤمن بها ويستعصي عليه أو يرفض القبول بنقاشها عقلانيا أو طبقـــا لمنهج علمي .

وفي ذلك يقول الفيلسوف (كلود برنار) :إن النظرية هي الفرض الاختباري الذي خضع لرقابة العقل وللنقد التجريبي ، ولا تظــل النظريــة صحيحــة إلا إذا تعدلت على ضوء التقدم ، ونقدت نقدا اختباريا على هدي ما يظهر مــن وقــائع جديدة . أما إذا اعتبرت النصوص كاملة ، ووضعت فوق الاختبار العلمي فإنــها حينئذ تصبح مذهبا (٤)والمذهب والأيدلوجية متشابهان لنزوعهما نحــو (الكليــة النظرية والعملية) والتي لا تتوفر ضرورة بالفكرة أو النظريــة أو الفلســفة . إن التنظيم وعاء ، فلو تصورنا الحياة لا تستقيم بدون ماء أو هواء ، فان الفكر هــو الماء والروح هي الهواء والتنظيم وعاء الفكر أي السبيل الذي فيه يتم الاحتضــان والتغذية والإيمان والتعبئة والتدريب والتثقيف .

الفكر مضمون حي لذا فهو متطور وغير جامد ، والنظرية كائن خاضع للنقــد لذا فهي تتعايش مع ما سواها على عكس الأدلجة والتمذهب الذي قد يفضي إلــى امتلاك الحقيقة ونزعها عما سواه . إن الجمود العقلاني من مواصفات أولئك الذين يعتقدون أنهم يمتلكون دون سواهم مطلق الحقيقة ن ولا حقيقة كاملة فــي العقــل الإنساني لأنه يظل قاصرا .

وفي المجتمع الفلسطيني تطور الفكر السياسي الفلسطيني تطورا فرضته طبيعــة الأحداث ومراحل النضال وتغير عوامل القوى وموازيــن الصــراع ، فالجبهــة الشعبية لتحرير فلسطين كانت رائد الفكر القومي في حلة حركة القوميين العــرب في الخمسينات إلا أن طبيعة التطورات التي طرأت على العالم ، وأشكال الكفــاح جعلتها وبكافة فروعها- التي انبثقت من أصل اللقاء كجبهة- تتبنــى الاشــتراكية العلمية (الماركسية اللينينية) منذ العام ١٩٦٨ لتعود و تنتقد التجربة بشكل خــلاق فتتخفف منها تدريجيا منذ العام ١٩٩١ .

أما حركة (فتح) رائدة الفكر الاستقلالي والتي سعت لتكون بوتقة صهر كافــة الأيدلوجيات والأفكار باتجاه هدف التحرير فلقد غيرت عمليا مــن أســس وفكــر الصراع الذي ارتبط لديها بالكفاح المسلح وحرب الشعب ليصبح نضــالا سياســيا وديمقراطيا يدل دلالة واضحة على مدى تطور الفكر وقابليته للتغيير ، لأنه صنــع

إنساني فلا حدود ولا ثوابت و إنما فضاء ومرونة تسقط مفاهيم الامتلاك للمطلق ، وللصواب ، وللحقيقة التي يراها الجامدون عقليا ذات وجه وحيد واحد . إن الفكر قوة إبداعية لأنه يبرز في مواقف تتطلب حل مشكلة أو التصدي لمعوق مما يفترض اكتساب معرفة جديدة ، ومناهج لتغيير البيئة وبما يلبي الاحتياجات ، والتنظيم الذي يحمل خبز ونضال و فكر الجماهير هو التنظيم المتطور ، والتنظيم الذي يدرس نفسية الجماهير ويحترم معتقداتها الدينية هو التنظيم المؤثر ، والتنظيم الذي يحرك الجماهير لدعم قضاياه هو التنظيم المبدع والفاعل.

يقول د.محمد محمود ربيع (٥) أن الأيدلوجية كمصطلح تطلق على أية مجموعة من المعتقدات تدور حول ما يجب أن يكون بشرط أن تكون تلك المعتقدات متماسكة ومترابطة منطقيا ويراها البعض ببساطة منظومة من الأفكار تعنى بالظواهر وأسلوب التفكير . وبشكل عام يمكن القول أن الفكرة هي أكثر بساطة وشمولية والفلسفة هي فكرة منهجية والنظرية فكرة تحولت إلى فرض علمي ، بينما المذهب فكرة أصبحت عقيدة . وعود على بدء فان الفكر شأن إنساني ، وهو كائن حي يمر بالمخاض فيولد وينمو ويتطور وينقلب ويتغير ويموت، ولا غنى عنه فمن لا يفكر لا وجود له إلا في المقابر ، ومن لا يعتنق فكرا لا يسمو والفكر قوة إبداعية لأنها لا تستسلم بل تتصدى للحل .

الفكر السياسي

إن الفكرة التي أصبحت عقيدة هي أيدلوجية كما عرفها البعض فيما سبق وذكرنا ، إلا أن د.محمد علي محمد يضيف ان أن الأيدلوجية هي مجموعة قيم أساسية ونماذج للمعرفة والإدراك ترتبط ببعضها وتنشأ صلات بينها وبين القوى الاجتماعية والاقتصادية ويقول(٦) نقلا عن (رو برت لين) أن الأيدلوجية السياسية (ودعونا نستخدم مصطلح الفكر السياسي المتماسك لضعف استخدام الأيدلوجية حديثا) تتميز بالخصائص التالية :

-أنها تعالج تساؤلات حول الحكم في الدولة وممارسته.

-تعبر عن جدل وحوار بين وجهات نظر متعارضة .

-وتؤثر في مجموعها بقيم الحياة الأساسية .

-وفي جانب منها تمثل تبريرات لصالح الجماعة دون أن يعني ذلك كل الجماعات ، وتتضمن برنامج للدفاع عن النظم الاجتماعية الأساسية أو إصلاحها أو هدمها .

-وهي ذات طابع معياري أخلاقي شكلا ومحتوى .

-وهي بالضرورة جزء من سياق أشمل يتضمن نسق الاعتقاد بأكمله

لقد اكتسب مصطلح الأيدلوجية أهمية خاصة _أخذت تتضاءل حديثا إلى حد التلاشي _منذ السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية (حينما بدأ الصراع بين المذاهب السياسية يفرض نفسه بقوة على العالم الحديث ، وشهد العالم صراعا بين النازية الألمانية والشيوعية السوفييتية ، والديمقراطية الاشتراكية ، وأيديولوجية الديمقراطية ويؤكد الكثيرون أن مصطلح الأيدلوجية قد شغل مكانة حقيقية في مطلع القرن التاسع عشر بعد أن أسهمت الماركسية في بلورته)(٧)

في المشرق العربي ظهر صراع الأفكار (التيارات الفكرية) والأيدلوجيات بحدة منذ دفن الإمبراطورية العثمانية أو قبل ذلك بسنوات عبر تنامي الأفكار القومية العربية مقابل القومية الطورانية التركية والتي تبلورت لاحقا بمدرسة الجامعة الإسلامية أو الجامعة العربية ، لتفرز منذ بداية القرن العشرين الفكر (الأيدلوجية) الاشتراكية والفكر القومي والفكر الإسلامي أو الاسلاموي ، وهذه المدارس أو التيارات الفكرية أو الأيدلوجيات ما زالت بارزة في القرن ٢١ وان بتفاوت في الظهور الصاخب في ظل عولمة استهلاكية تطحن الأفكار وتعلي من شأن البراغماتية والليبرالية .

إن حرية الفكر حق ضروري وليس حق طبيعي وذلك لان حرية الفكر –في إطار التعددية والديمقراطية –لا تعني التشهير بالآخرين والطعن بهم، كما لا تعني الكذب على الآخرين في أمور معلومة ، ومفهومة ومقررة(لأن إزالة الرواسي

أيسر من تأليف القلوب)كما يقول أبو حيان التوحيدي .ومع ذلك يبقـــي الحــوار المفتوح سند الفكر والحرية ومنطلق (اختلاف أمتي رحمة) كمدخل للتآلف .

السياسة والجماهير الجائعة

إن علم السياسة والذي تعتبر الأفكار وعمليات التثقيف السياسي من مكوناته هو علم تعلم الحقائق وإدراكها للوصول لأحكام ، انه (علـــم الدولـــة وعلـــم الســلطة وصناعة القرار، فهو يبحث ضمن ما يبحث في فصل السلطات وطــرق التعبــير عن السلطة والسيادة ويتناول أفكارا سياسية وأيدلوجيات ...)(٨) السياســـة فــي اللغة العربية كما يرد في لسان العرب أتت من السوس بمعنى الرياسة حيث يقـــال ساسوهم سوسا والسياسة أيضا بمعنى القيام على الشيء بما يصلحه ويقول ابــــن خلدون أن (الملك هو السياسة) والسياسة كما يقول المفكر العروبي خالد الحســن هي فن الصدق مع الجماهير والمناورة مع العدو وتحقيق العدالة في إطار الممكــن .لذلك فان للسياسة والتنظيم والفكر ترابطا بحبل مجدول يأتي من أن الســـلطة أو الجماهير تحتاج لتلبية مصالحها واحتياجاتها وتبني متطلباتها إلى وعاء أو إطـــار أو مؤسسات وهي مجمل المنظمات (التنظيمات)وفيها ومنها تتحول هذه الحاجــات إلى أفكار تؤثر بالضرورة في المجتمع والدولة والسلطة والقرار.

إن الجماهير الجائعة لا تفكر ، والجماهير الجائعـــة لا تـــهتم لا بالساســـة ولا بالسياسة وتظل قنبلة موقوتة في ظل البطالة أو الخوف أو الاثنين معـــا ، تتحفـــز لأول بصيص ضوء للانقضاض على رقبة النظـــام .إن الجمـــاهير تحتـــاج أولا لتغطية متطلباتها الأساسية (الأولية) من مأكل ومشرب ودفء ونوم وسكن ثم ثانيا لتحقيق أمنها وطمأنينتها وشعورها بالاستقرار وعدم الخوف على النفس والمـــال والنسل والرأي والعقل ، وعليه فان السياسة من حيث هـــي فـــن الصـــدق مـــع الجماهير يجب أن تصاغ لتحقيق هذه الاحتياجات (الأهداف)الأولية ، وبلا فكـــرة أو فكر وطني يتعاطى سياسيا مع هذه الاحتياجات تفتقد السياسة مـــبرر وجودهـــا

وتنتزع حكمة وجودها ، ويفتقد الفكر ووعائه _التنظيم _فعاليته وتأثيره في النـاس والمجتمع. لا سياسة صالحة في ظل الاحتلال ولا تنظيم يلقي بلـواء ثوريتـه أو خبز الجماهير أو وطنيته في أتون كابوس الاحتلال ، فالتنظيم فـي هـذه الحالـة سيف إرادة ومعول بناء.

التنظيم في قيادة السلطة

أن التنظيم(المنظمة) السياسي أو التنظيمات التي تتداول على السـلطة يجب أن تكون أداة القضاء على الفساد والتخلف، وأداة بناء أسس النظام السياسـي الجديد، والتنظيم السياسي في المجتمع الديمقراطي في هرم سلطة الدولـة يـهتم بمصلحة المواطن واحتياجاته المادية والمعنوية فيقوم بتوفير الحاجات الفسيولوجية له (مأكل ، مشرب، دفء، سكن، ..) وحاجات الأمن والأمان كما سبق وأشـرنا وهو أيضاً يوفر الحماية للنظام السياسي الجديد، كما يقوم في إطار الشفافية بضبط ومحاسبة ومراقبة حسن التنفيذ أو التوافق لتطبيقات (المنظمة) لما طرحتـه مـن أفكار وأهداف وبرامج قبل تسلم السلطة. وأيضاً يلعب التنظيم دوراً أساسـياً فـي تطوير الأعضاء عبر تدريبهم وإدماجهم في نشاطات السلطة كما هو أداة تطـور الأفكار وتغييرها بما يتفق مع التغيرات البيئية. (٩) أن التنظيم اشتقاق من النظـم والتنظيم والترتيب لذا لا تنظيم ذو فكر سياسي يسقط حكمته وينصـاع لموجـات الحقد أو الثأر أو التشفي أو الفوضى إلا إذا كان هذا التنظيم خرب الفكر، هلامـي العضوية، لا تحكمه قوانين أو دساتير مما يسهل تسييره بحسـب قـوة الجمـوع الثائرة غير المنضبطة . أن الفكر يقود التنظيم والتنظيم يقود الجماهير، والجماهير تصنع التنظيم .

أن التنظيم (المنظمة) تحمل الفكر وتصنع السياسات وتضع الأهداف _نؤكد_ وفقاً لمتطلبات وحاجات المجتمع، وتحقيقها يظهر جلياً بمدى تحقـق الاسـتقرار السياسي، والرخاء الاقتصادي، والتآلف المجتمعي وعبر تطور ثقافـة المجتمـع

وقدراته الإنتاجية التي جميعها تحقق مفهوم المساهمة والعائد بين المواطن والدولة أو العضو والتنظيم حيث تتناسب مشاركة أو مساهمة العضو في التنظيم بمقدار ما يحقق من عائدات نفسية أو معنوية أو روحية أ, مادية أو فكرية.

المشاركة السياسية

أن التنظيم يفترض في الأعضاء مواصفات يحددها في لوائحه أو قوانينه أو يسعى لتحقيقها عبر التثقيف السياسي والتدريب السياسي والفكري والإداري. لذلك فان عملية إعداد العضو للاندماج في العمل (النشاط) السياسي للتنظيم والمجتمع تفترض إعداده فكرياً ونفسياً وسلوكياً وروحياً للمشاركة وذلك من أبرز مهمات التنظيم .

في هذا السياق قد نجد تفسيراً منطقياً للفشل التنظيمي الفلسطيني في الوطن،ربما لأن العضوية انحصرت بالإعداد، وتغاضت عن مواصفات كثيرة، وتركت الأعضاء يحولون التنظيم إلى جسم متضخم منتفخ قد يعطي إشارات خاطئة بالصحة والقوة، ولكنه متضخم مرضياً وغير قابل للاستمرار في ظل انحسار قدرات التثقيف السياسي والإعداد الفكري والتعبئة الوطنية والالتزام الهيكلي والدورات.

أن المشاركة السياسية وكما يعرفها هنتنجتون ونلسن (هي النشاط الذي يقوم به مواطنون معينون بقصد التأثير على عملية صنع القرار الحكومي، ويعرفها مالك كلوسكي بأنها تشير إلى الأنشطة التي عن طريقها يساهم أعضاء المجتمع في اختيار الحكام وفي تكوين السياسة العمومية بشكل مباشر أو غير مباشر .). أن كل عمل سياسي لا يمثل مشاركة سياسية فحتى يكون العمل السياسي مشاركة سياسية أو يؤدي إليها يجب أن يؤثر هذا العمل على السياسة العامة للدولة وعلى عملية اتخاذ القرار السياسي فيها، فشخص يطالع كتاباً سياسياً لا يعني أنه يمارس مشاركة سياسية وشخص ليس له موقف سياسي أو يتخذ موقفاً سلبياً تجاه المجتمع

وأحداثه ويرفض أن يندمج في المؤسسات السياسية القائمة _ شرعية وغير شرعية _ لا يمكننا القول انه يشاركه سياسياً، حتى لو كان عاطفياً ووجدانياً لـه ميول سياسية، فالسلوك الفردي لا يتحول إلى سلوك سياسي فعلي إلا إذا كان متجهاً نحو التأثير على النسق السياسي أو على المجتمع بشكل عام .... وفي نفس السياق نرى بأن الشخص الذي يمارس سلوكاً سياسياً وهو قاصراً أو جاهلاً عن فهم الأبعاد السياسية لسلوكه، كالسير في مظاهرة بشكل عفوي وهو لا يعلم أسباب المظاهرة وأهدافها، أو يذهب إلى اجتماع سياسي حزبي أو غير حزبي دون أن ينتمي إلى حزب ما دون أن يعرف موضوع المحاضرة، وأهداف المتناظرين، لا يعتبر انه مشارك سياسي) (١٠)

أن الفكر باعتباره التصور العقلي للظواهر، والأساس لظهور الأهداف وقيام الاتصالات، ورسم السياسات وبناء الخلفيات الثقافية للأفراد، وسبب قيام التنظيمات يقصد هذا الفكر السياسي منه (وغير السياسي) إلى تحقيق إدماج الفرد في المجتمع(الديمقراطي) بما يتيحه من حرية التعبير والحديث وبما يؤدي لإفراغ الأفراد لشحناتهم النفسية والعاطفية والسلوكية تجاه الأمور السياسية بممارسة حقيقية تشعرهم بالانتماء للمجتمع والتنظيم (المنظمة) وبالطمأنينة واحترام الذات والقدرة على التأثير وفي هذا السياق يورد (بدلسون) عدة خصائص للمشارك السياسي الذي نقصد بنائه عبر التنظيم السياسي، ومن خلال الفكر المنعكس على السلوك والروح كالتالي :(١١)

١. الاهتمام، المناقشة، الدافع: فحتى يكون المواطن (وبالأحرى عضو التنظيم) مشاركاً يجب أن يهتم بالأمور السياسية العامة ويساهم في النقاش الدائر حوله، ويكون لديه حافز أو دافع حتى يشارك في الحياة السياسية (بفعالية).
٢. المعرفة: فكما سبق الذكر يشترط في المواطن (وأيضاً الأحرى في عضو التنظيم السياسي) المعرفة والإلمام بالمسائل السياسية، وان تكون مشاركته على هدى هذه المعرفة ونابعة من قناعة بخط سياسي ما، أو المعارضة لخط سياسي ما.

٣. المبدأ: أن المشاركة السياسية لا تكون بدافع المصلحة الشخصية لتحقيق منافع خاصة _ ودرء مضار _ بل تكون انصياعاً وإيماناً بمبدأ يرتبط بالمصلحة العامة.

٤. الرشد: بمعنى أن يكون المواطن عاقلاً ناضجاً، يعرف كيف يتصرف، ومن المعلوم أن بعض الدول لا تعطى حق المشاركة في الانتخابات إلا بعد سن البلوغ لكون الشباب يميلون إلى الأفكار الثورية والمتطرفة وكلما زادوا نضجا زادوا اعتدالاً أو محافظة .

أن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم كان قد رسم شكلاً رئيسياً من أشكال المشاركة السياسية في الحديث الشريف ما معناه: (من سار في حاجة أخيه حتى أتمها كان له خير من اعتكاف عشر سنين) وفي مقولة الإمام الحسين (ما خرجت أشرا ولا بطراً ولكن للإصلاح في أمة جدي) وهي من المفاهيم التي ترسم للفكر دور التأثير في المجتمع عبر تحقيق مصالح وخبز وحاجات الناس، وبما ينعكس على حجم مشاركتهم التي تقننها التنظيمات وترشدها.

بين طلب المنصب والواجب الوطني

إن التنظيم السياسي يهدف أو يجب أن يهدف لتغيير الواقع أو إصلاحه أو تطويره ويهدف لخدمة قضية سياسية ، ويهدف لتطوير المجتمع ، ويهدف لاستلام السلطة أو المشاركة السياسية ، وبذلك يدفع أعضاءه والمواطنين للقيام بواجبهم الوطني في المشاركة . ولكن للمواطن أسبابا ودوافع قد تتفق أو تخرج عما يرسمه الفكر السياسي التنظيمي من المناسب الإطلال عليها كمدخل للتعاطي مع هذه الدوافع بما يعالج السلبيات ويبعث الإيجابيات ويكتل أو يطور الإضاءات ، ولأنها تنبثق أساسا من أصول نفسية أو فكرية يجب على السياسي وعلى التنظيم أن يأخذها في حسابات الاستقطاب كالتالي :

١-الدوافع النفسية : للتعبير عن الذات كإنسان حر الإرادة قادر على اتخاذ المواقف مما يدعم شعوره بالطمأنينة والثقة بالنفس وتحقيق الأمان الذاتي

٢-الدوافع الفكرية :وهي ذات الامتدادات الوطنية أو العرقية أو الدينية ، كتعبير عن التنظيم أو الجماعة (الدينية) أو (العرق) أو التنظيم (الوطني).

٣-الواجب الوطني : وهذه المشاركة تمثل الوعي السياسي الحقيقي المنبثق عن التعبئة السياسية والتثقيف السياسي التي تجعل المواطن _وبالأحرى ابن التنظيم _لا يتقاعس عن أداء دوره في المشاركة معتبرا إياها واجبه الوطني الذي يقدسه تقديسا خالصا

٤-المشاركة المصلحية :وهي التي تعبر عن مطالب النقابات والجمعيات الأهلية الشرعية مثل اتحاد المعلمين واتحاد العمال واتحاد المرأة ...الخ.

٥-وفي العالم الثالث خاصة تظهر أسباب ودوافع للمشاركة السياسية إما كمظهر من مظاهر التعصب القبلي أو التضامن العائلي أو خوفا من سيف السلطة وإرهاب الدولة التي تعاقبهم لعدم المشاركة على اعتبار أن كل مستنكف فهو معاد للنظام ! وفي المقابل قد تدفع ظواهر سلبية ما في المجتمع إلى مشاركة المواطن في العملية السياسية كتنامي الأحقاد أو طغيان فكر التطرف والانحراف والتعصب المقيت .

٦-طلب المنصب والجاه أو المال والمكانة في المجتمع ،أو لتحسين صورة عميل أو متلاعب في مقدرات الشعب أو فاسد وتلميع الشخصية لأولئك النفر الذين يتحسسون رؤوسهم يوميا باعتبار تاريخهم الأسود.

إن التصويت في الانتخابات ، والانتماء للتنظيمات السياسية (الأحزاب،والحركات ...) واعتناق الأفكار السياسية ، ودعم أو معارضة الحكومة بالاستفتاء أو العرائض أو التظاهر أو الإضراب ، والانتماء للمؤسسات الأهلية والنقابية وغير الحكومية كلها من أشكال المشاركة والتعبير السياسي في المجتمعات المنفتحة والديمقراطية تلك التي تؤمن بالحرية والتعددية والانفتاح الفكري والمشاركة الشعبية.(١٢) وتختلف صور التعبير السياسي والمشاركة في

ظل الاحتلال التي يباح حينها اللجوء لانتزاع الحقوق الوطنية بالعنف والثـورة أو أشكال المقاومة السلبية و العصيان المدني والانتفاضة.

إن صراع الفرد بين الأنا والمجموع بين الخبز والفكر ، هو صراع المشـاركة السياسية ، وقد يجتمع في الفرد سعيان أو دافعان أو أكثر ، يتشـارك فيـه حـب الظهور والسعي لتقدم الصفوف ، مع رغبة دفينة في التعبير عن الطائفة أو القبيلة .وقد تتشارك العوامل بما يظهر بالملموس في الانتخابات النيابية خاصـة.وفـي التنظيم يُعلي الفرد من الأهداف العامة المنبثقة من فكر التنظيم ويضعها في دائـرة أهدافه ، أي تتحول الأهداف العامة كأهداف شخصية ترسخ انتمائه وتدفعه دفعـا نحو المشاركة السياسية ونحو العطاء الذي لا ينضب .

الفكر السياسي في المنطقة العربية:

لقد تصارع على مدى أجيال خلال القرن العشرين الفكـر السياسـي مرتبطـا بفكرة إنقاذ الروح جنبا إلى جنب مع السعي لبناء المجتمع العصري ، ومع فكـرة الوحدة العربية وتحقيق الحرية والاستقلال التي ارتبطت لـدى عديـد التيـارات الفكرية العربية بقضية فلسطين من قريب أو بعيد فنشأت أو تنامت على هـامش النكبة العام ١٩٤٨عدد من التنظيمات السياسية العربية .

-الاشتراكية : ومنها الأحزاب الشيوعية التي كانت نشأتها منـذ العـام ١٩١٩مستلهمة الفكر الماركسي اللينيني بانتصـار ثـورة أكتوبـر ١٩١٧ فـي روسيا.ثم التجربة الصينية الماوية.

-القومية:والتي تفاعلت فكرا منذ بدء احتضار الإمبراطورية العثمانيـة ، وانفعلت بالتقدم العلمي الأوربي منذ الحملة الفرنسية على مصـر ، ثـم بجثـوم الاستعمار على صدر الأمة عبر (سايكس بيكو) ، لتظهر من خلال عدد من كبار المفكرين القوميين أمثال صلاح الدين البيطار وشبلي العيسمي والأسـتاذ ميشـيل عفلق (أبو محمد) وساطع الحصري وزكي الارسوزي وغيرهم ، وبالأخص عـبر

حزب البعث العربي الاشتراكي الذي عقد مؤتمره القومي الأول عام ١٩٤٧. وبالفكر القومي الذي تجلى عبر حركة القوميين العرب في الخمسينات التي سرعان ما تفككت لصالح التنظيمات الماركسية (الجذرية والثورية!)الفلسطينية والعربية . وفي ظل طغيان المد الناصري المنطلق بقوة فكر وتنظيم وعطاء وسياسة الرئيس جمال عبد الناصر نشأت بعض التنظيمات القومية الناصرية ، والتي لم يعد لمعظمها حظ من الوجود حاليا.

-الاسلاموية: ولا يعترف المفكر محمد أركون بمفهوم (الإسلامية)المقصور على رافعيه كما هو حال اعتبار المرتديلا (الإسلامية) أو البطاطا (الإسلامية) هي فقط المصرح باستهلاكها ، ويقول أن الاسلاموي تعني الاستخدام المتطرف لعقيدة أو موقف فكري ما. أما كلمة إسلامي فتعني بكل بساطة الموقف الذي يظل مرنا ومنفتحا من الناحيتين الفكرية والعقلية ويضيف الأستاذ هاشم صالح (١٣) أن هذا التمييز يفرضه علينا الفكر التحليلي الجاد ، حيث أن أتباع الحركات الأيدلوجية التي تحتل جانبا كبيرا من الساحة الآن لا يحبون هذا التمييز فهم يريدون أن يحتكروا كل الرأسمال الديني للإسلام لانفسهم عن طريق إطلاق صفة إسلامي عليهم دون غيرهم . ولا يشذ عن ذلك التنظيمات الفلسطينية المرتبطة بجماعة الإخوان المسلمين في مقرها الرئيس بمصر.

دخلنا في هذه المقدمة عن الإسلامي و الاسلاموي للسبب الذي ذكره الأستاذ هاشم صالح ، ولنقول إن الفكر النهضوي الإسلامي في العصر الحديث كان قد بدأ مع المفكرين محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ، وتكرس بشكل رئيس بإطار تنظيمي يحتضن الفكر من خلال جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها الشيخ حسن البنا –ذو العمق العربي والإسلامي معا–في مصر عام ١٩٢٨. وتطورت الجماعة واشتق من أفكار زعيمها المؤسس ،والمفكر سيد قطب المنظمات الاسلاموية (المتطرفة)الحالية ، وخاصة ضمن فهم محدود بكل جماعة أو منظمة لآراء المفكر سيد قطب وآخرون . ولم يكن للإخوان المسلمين –أو غيرهم–أن يحتكروا صفة الإسلام في ظل انتشار التعددية الفكرية (الإسلامية) المعبر عنها

بعديد المفكرين المستقلين و التنظيمات المنتشرة على مساحة العالم العربي والإسلامي .

ما يهمنا من كل ذلك ارتباطا بموضوع الدراسة هو القول أن الفكر لا ينمو ويكبر ويتجذّر ويتجدد ويتعدد إلا مع توفر الخبز أو بالسعي نحوه باعتباره قضية ، وحين توفر الحرية والحوار والاتصال والتعددية من جهة ، ومن خلال الاحتضان عبر وعاء التنظيم وفي متن مسيرة النضال .لذا فالفكر والسياسي مرتبطان بالتنظيم ارتباطا شديدا لما للتنظيم عبر الأعضاء من قدرات دعوة(تبشير-استقطاب) و إعلام وتعبئة ونهوض بفكر المجتمع والأمة ومن ثم ممارسة للنضال .إن التنظيم وعاء الفكر والفكر يقود التنظيم ، والتنظيم يخدم الأمة ويعبر عن خبز و نضالات الشعب ويقوده.

الفكر السياسي في حركة (فتح) (١٤)

وفي هذا المجال نقتبس ما يسطره الأخ عثمان ابو غربية في كتابه القيم مفاهيم و آليات في العمل التنظيمي حيث يقول:

إن طبيعة الهدف وطبيعة العدو لدى فتح هي أساس استلهام (المفهوم الوطني) وفقا لهذا الاستلهام حددت فتح خصائص نضالها الأساسية للمرحلة الوطنية بمختلف محطاتها وخطواتها، ومن أهم هذه الخصائص:

أولا: تحديد القوى المحركة للنضال الوطني بما لا يقتصر على فئة أو طبقة اجتماعية، و إنما باتساع الشعب والأمة وبمختلف الفئات والقوى اجتماعيا أو سياسيا أو فكريا، فما دام العدو هو العدو المشترك الخارجي، وما دام خطر التناقض بحجم الإلغاء الوطني ونفي الكينونة الوطنية فان النضال يتخذ طابعين،
(أ) هو أولوية هذا النضال من بين كافة النضالات الأخرى مهما كانت طبيعتها.
(ب) انه النضال المشترك لكل فئات الشعب بالقفز عن الانتماءات والتمايزات.

من هنا جاءت فكرة فتح حيال تشكيلها بتجميد الخلفيات الحزبية والتناقضات الفكرية لمصلحة التناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني، ولمصلحة المسيرة المشتركة الكفيلة بإفراز الوعي المشترك والتوصل إلى القضايا التي تتطلب الحلول على أساس هذا الوعي المشترك والتوصل إلى القضايا التي تتطلب الحلول على أساس هذا الوعي وفي مرحلتها الضرورية وضمن ترتيبها المنطقي والطبيعي.

وعلى هذا الأساس كذلك فان مسألة الوحدة الوطنية الفاعلة ضمن بوتقة هذا النضال تحظى بالأهمية الرئيسية، هذه الوحدة التي منطلقها هو وحدة الإرادة المرتبطة بوحدة الهدف، والتي تؤدي إلى وحدة المفاهيم التي يستلزمها الارتباط بالهدف.

ويجب على الإرادة أن تجسد نفسها في برنامج مشترك وممارسة فعلية على أساس هذا البرنامج لكي تكون إرادة فاعلة.

إن الإرادة التي لا تجسد نفسها في برنامج من البرامج وفي ممارسة فعلية على أساسه، هي إرادة قاصرة أو عاجزة في احسن الأحوال ، ولا يمكن أن تحرز النصر أو النجاح.

وقد جسدت فتح كل هذه المعاني في شعارها (اللقاء فوق ارض المعركة).

ثانيا: الارتباط بين الوطني والقومي، فمما لا شك فيه أن فتح وضعت خطا للتوازن الدقيق بين ما هو وطني أو قطري وبين ما هو قومي، فطغيان النزعة القومية بأحادية النظرة أدى في مرحلة من المراحل إلى إلغاء تعسفي للوطنية الفلسطينية، بما يعنيه ذلك من نتائج سلبية في الحالة الفلسطينية، بينما نمت في واقع الأمر الوطنيات أو القطريات الأخرى.

كذلك فان طغيان النزعة الوطنية القطرية بنظرة أحادية، يؤدي إلى الانكفاء وترك قضية فلسطين والشعب الفلسطيني معزولين عن مصادر قوتهما.

إذن لا بد من التوازن والتكامل في كل الاعتبارات بين ما هو وطني وما هو قومي. إن الوطنية الفلسطينية لدى فتح ليست نهاية المطاف القومي، وانما هي بدايته، إنها طابع لمرحلة نضال، وإذا أردنا أن نعرف فتح من هذا المنظار، يمكننا أن نقول أنها التجسيد للنضال القومي لتحرير فلسطين ضمن المعطيات الموضوعية للواقع القومي وعلى أساس ظروف ومقتضيات قضية فلسطين. أما الهدف من اتخاذ السمة الوطنية لدى فتح فهو:

- تحريك الشعب الفلسطيني وتوحيده ليتحمل مسؤولية طليعية في النضال من اجل تحرير فلسطين، لتجاوز روح التواكل أو انتظار الأنظمة والمناهج الأخرى لتأتي وتحرر فلسطين، وهو الأمر الذي ساعد على أن يأخذ النضال من اجل التحرير اتجاهه المباشر ومكانته في سلم الأولويات والترتيب الزمني والتاريخي.
- الوطنية الفلسطينية هي النقيض الذي يمكن أن يؤدي الاعتراف به واتخاذه لموقعه إلى تقويض الفكرة الصهيونية أخلاقيا ودوليا، إنها الشعار السياسي الإنساني الصحيح لمواجهة ادعاءات الحق التاريخي والأفكار الصهيونية ونظرية ارض بلا شعب لشعب بلا ارض. وهي كذلك الشعار السياسي والإنساني الصحيح لترتدي قضية فلسطين طابعها كقضية وجود، وليست قضية حدود.
- تحرير قضية فلسطين من إخضاعها لاعتبارات أولوية الأمن القطري أو حتى أمن الأنظمة، واتخاذها مكانها الصحيح في دائرة المركز من اعتبارات الأمن القومي.
- الوطنية الفلسطينية هي النطاق الذي يمكن في إطاره ضمن ظروف محددة تجميد التناقض مع الأنظمة العربية الأخرى، بحيث تتحقق نقاط التقاء وقواسم مشتركة ولا يبرز الاختلاف أو التناقض.

إن اقتصار أهداف النضال الفلسطيني المباشرة على الدائرة الوطنية الفلسطينية، وكذلك اقتصار الامتداد المباشر والطليعي في نطاق الشعب الفلسطيني هو الذي يمكن من البداية من اتخاذ شعار عدم التدخل في الشؤون المحلية للدولة

العربية كشعار وقائي، إذ انه الشعار الذي من الممكن أن يسدّ أبوابـــا للتصـــارع حتى قبل البداية.

أي انه الشعار الذي من الممكن – وحتى بالكاد – أن يؤدي إلى حمايـــة ظهر نضال التحرر الوطني الفلسطيني وسد أبواب الذرائع.

لقد أثبتت الممارسة صحة هذا الاتجاه بالرغم من كل الصعوبات التـــي تعرض لها التطبيق بفعل العوامل المضـــادة الكثـــيرة والمتنوعـــة وذات الأبعـــاد الإقليمية والدولية.

والى جانب ذلك فان فتح تدرك إدراكا تاما أن مهمة تحرير فلســطين لا يمكن ان تقتصر على إمكانيات الشعب الفلسطيني، وان بعد الرسالة فيها كبر مـــن ان يكون بعدا فلسطينيا يقف في الحدود الفلسطينية.

إن إمكانيات الشعب الفلسطيني هي إمكانيات الطليعـــة للزخـــم العربـــي والإسلامي والإنساني، الذي يمكن أن تستلزمه معركة بحجـــم معركـــة تحريـــر فلسطين بأبعادها ، والذي يمكن أن يتخذ عدة دوائر من حيث الدور وطبيعته فـــي تتال زماني ومكاني وإنساني، وذلك على أساس ترابـــط المنطلقـــات والأهـــداف القومية.

إن مرامي الوجود الصهيوني تتعدى أبعاد فلسطين وحدودها، انه ركـــن أساس لمنع انبثاق نظام موحد لحضارة المنطقة، أي الأداء الحضـــاري الإنســـاني لهذه الأمة ومنع مقومات حريتها وسيطرتها على مقدراته عن طريق الحيلولة دون امتلاكها لمقومات الدور الحضاري والتحرر من حيث الوحدة والقوة والتقدم.

من هنا فان هدف تحرير فلسطين يرتبط جدليا بأهداف الأمة العربية فـــي التحرر والوحدة والقوة والتقدم، وعلى هذا الأساس فقد طرحـــت فتـــح شـــعارها (طريق العودة طريق الوحدة) لتعبر به عن هذه الجدلية، واعتبرت أن تحقيـــق أي هدف من هذه الأهداف هو إنجاز على طريق تحقيقها المتكامل، مدركة مفصليـــة هدف تحرير فلسطين من كون الوجود الصهيوني أداة منع و إعاقة لتحقيق أي من هذه الأهداف.

لذلك فان النضال الوطني الفلسطيني هو جزء عضوي من النضال القومي وهذا هو أساس شعار (الثورة فلسطينية الوجه عربية العمق) والمقصود من كلمة العمق أن تعطي معنى وانطباع الامتداد العضوي، ذلك لان الشعب الفلسطيني في الأساس تاريخيا وعضويا هو جزء من الأمة العربية.

ثالثا: ارتباط النضال الوطني بالنضال الإنساني، وهنا نأتي إلى الجزء المكمل لشعار أن الثورة فلسطينية الوجه عربية العمق لنقول (إنسانية الآفاق)، وكلمة الآفاق هنا لكي تعطي معنى الارتباط بالأهداف. وهي الأهداف الإنسانية التي تتأسس على قاعدة الأهداف الشمولية، الحرية والعدالة والسلام والتقدم ضمن مبدأ الترابط والتكامل.

إن أية أهداف إنسانية استجدت أو تستجد، ظهرت إن تظهر على قاعدة هذا المبدأ وهذه الأهداف الشمولية، هي أهداف تتفق مع غايات نضال فتح ومسيرتها. بهذا المنطق تمكنت فتح من المواءمة بين الوطني والقومي والإنساني.

رابعا: ارتباط الوطني بالاجتماعي من حيث:

١. استخدام كافة الحوافز الاجتماعية والإنسانية والدينية في نطاق النضال من اجل تحقيق الأهداف.
٢. الارتباط بالقيم الاجتماعية المبنية على مبادئ العدالة والمساواة الإنسانية وحقوق الناس إنسانيا واجتماعيا وقيمهم الأخلاقية، ودور المرأة وحقوق الإنسان والكرامة الإنسانية.

خامسا: ارتباط النضال الوطني بقوانين الصراع الخاصة لمرحلة التحرر الوطني، وهي القوانين المستمدة من طبيعة المراحل أو المحطات لمرحلة التحرر الوطني ومن الظروف الموضوعية. وتشتمل على القواعد المجربة في أساليب وتكتيكات النضال ومنهج الكفاح الوطني، كترتيب التناقضات والأولويات ووضع سياسة المراحل والتحالفات واختيار الأساليب.

فتح فكر الوسطية في المحيط العربي الإسلامي (١٥)

إن الفكر باعتباره إبداع إنساني، ويعبر عن واقع مرتبط بـــالمثل والقيــم والمعتقدات، إدراك يمنح الشيء ألوانه، يفترض التعدد ويفترض التطور، كمـــا أن التفكير المستقيم يفترض المرونة بحيث يتضمن الثبات في جوانب والحركية فـــي جوانب، يفترض الجدة المنبثقة عن الأصالة، ولا يعترف بحداثة منقطعة عن سلف ولا بالإغراق في التاريخ أو القوالب الجامدة. إن التفكير ونتاجه الفكر بهذه الفلسفة أو النظرة الشمولية هو ما طبقته حركة (فتح)، ولان الفكر مرتبط بالواقع والواقــع الاجتماعي الفلسطيني مرتبط بواقع المجتمع العربي وفكر حركة (فتح) هو فكـــــر الجماهير لذا ففكرها بالضرورة قومي عربي حضاري.

إن المجتمع الفلسطيني على تعدد شرائحه وفئاته محافظ إجمالا بمســيحية ومسلميه لذا فهو فكر الحضارة العربية الإسلامية الذي لا يسقط القديم إسقاطا تامـــا ولا يتعلق بالحديث ذو الجذور الثابتة في تربة غير عربية أو فلسطينية، لذلك فقـــد كان فكر (فتح)، في واقع الأمر، الفكر الجامع لكل أصحاب الديانـــات الســماوية، ولكل أصحاب الأيديولوجيات غير المتحزبين، ما دام فكرهم ينطلق من الإيمــــان الروحاني والإيمان بفلسطين وبقيم الحرية والعدالة والتقدم والثورة.

إن الحضارة العربية الإسلامية هي حضارة امتنا العظيمـــة، وحضـــارة شعبنا الفلسطيني البطل بمسلميه ومسيحييه، وهي الحضارة التي تركت آثـــارا لا تنمحي، فنشأت عشرات التيارات والأحزاب القومية و (الإسلامية) وكانت (فتـــح) في هذا الخضم ممثلة لفكر فرسان العقل في متن الحضارة العربيـــة الإســـلامية، وحاملة لواء الوسطية فلا تطرف ولا تهاون ولا تشدد ولا غلو، فعبرت بذلك عــن فكر وواقع وممارسة غالبية الجماهير. قال تعالى "وكذلك جعلناكم أمـــة وســـطاء لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا". سورة البقرة (١٤٣).

(وفيما يلي المراجع لورقة التنظيم والخبز والفكر السياسي) .

١. لمزيد من الإضاءة يراجع كتاب د. عمر عقيلي ود. قيس المؤمن، المنظمة ونظرية التنظيم، دار زهران للنشر، عمان ١٩٩٣.
٢. للاستزادة حول السياسة يراجع كتاب د. حسن صعب، علم السياسة، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٧٦.
٣. بكر ابو بكر ، دراسة التفكير في حركة (حماس)، فلسطين – رام الله ١٩٩٩
٤. د. محمد محمود ربيع، الأيدلوجيات السياسية المعاصرة، كاظمة للنشر الكويت ١٩٧٩.
٥. د. محمد علي محمد، المصدر السابق ص٣٣٣.
٦. د. مناويل حساسيان، محاضرة مقدمة في السياسة ألقاها في ٢٦/٢/٢٠٠٠ بقوات الأمن الوطني، بيت لحم، مدرسة الكوادر.
٧. مدرسة الكوادر، مفهوم التنظيم (المنظمة)، رام الله، فلسطين ١٩٩٨.
٨. د. إبراهيم ابراش، علم الاجتماع السياسي، دار الشروق، عمان ١٩٩٨. ص٢٣٩-٢٤٠.
٩. د. إبراهيم ابراش، المصدر السابق ص ٢٤٢.
١٠. يراجع د. إبراهيم ابراش في المصدر السابق.
١١. هاشم صالح، محمد أركون من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٥ ص١٩.
١٢. عثمان أبو غربية، مفاهيم وآليات في العمل التنظيمي، دار خليل الوزير، فلسطين ١٩٩٩ ص٤٥١ – ٤٥٥.
١٢. بكر ابو بكر، دراسة لماذا ننتمي لحركة (فتح)، رام الله – فلسطين ٢٠٠٠.

حركة فتح بين التغيير المفروض والواقع المرفوض .

مقدمة

تعتمد الزرافة للدفاع عن نفسها ضد عدو مثل نمر أو أسد على الرفس بقدمها ، وهذه الرفسة قوية بما يكفي لتحطيم الجمجمة كالوعاء الفخار ، ولهذا السبب لا ترفس زرافة زرافة أخرى مطلقا بل تتناطحان أو تدفعان بعضهما البعض بقوة برقبتيهما الطويلتين عندما تتصارعان ، لأن رقبة الزرافة مرنة تمتص الضربات مثل العصا الكاوتشوك ، ويصعب استخدامها لغير ذلك نظرا لثقلها وضخامتها .

أحببت أن أورد منذ البدء هذا المثل من الطبيعة لأقول أن الصراع والتغيير من سنن الخليقة والحياة ، ولكن للصراع والتغيير أدواته وحدوده وتوقيتاته : تناطح أم رفس ، ولان الصراع لا يوجد إلا في متن العلاقات الاجتماعية (أو التنظيمية) فإنه يظهر حين يدرك الفاعلون التضارب بين مصالحهم وتصرفاتهم ، بين أهدافهم وقيمهم بين سلوكياتهم ومواقفهم ، وهذه الصراعات داخل المجتمع أو التنظيم أو حتى داخل الفرد نفسه من الممكن ان تستمر حالة حاثّة ومحفزة للتقدم حتى مستوى معين ، أي ما بقيت في نطاق (التناطح) ولم تصل إلى حد (الرفس) في عالم الزرافات ، فالإرباك الذي يسببه الصراع في العمل ووسائل اتخاذ القرار قد يقتصر على الاختلاف في الرأي وتعدد البدائل وهو أمر مرغوب ويقود إلى التفكير الناقد والى الإبداع والابتكار والتغيير بدل التقوقع والجمود .

وقد تصل التناقضات والصراعات المجتمعية أو التنظيمية (أو النفسية) إلى حد الشقاق والانفصال متى ما عجزت إدارة الصراع عن حفظ التوازن التنظيمي أو متى ارتبطت هذه النزاعات بأبعاد خارجية أو أجنبية أو نوايا مبيتة .

وهذه الأيام صدرت صيحات عدة تطالب بالإصلاح كما تطالب بالتغيير ، ومنها صيحات طالبت التماهي مع الضغوط الخارجية أو رفضها ، أو اعتبار أن مفهوم الإصلاح والتغيير مطلب فلسطيني الأصل ، ومنها من رأى المطالب حق يراد به باطل أي إضعاف السلطة الوطنية وقواها الفاعلة ، كما هو شأن الطرف الخارجي وأبواقه في المجتمع الفلسطيني . ولكن على كل الأحوال فإن التغيير من "ثوابت" الحياة لذلك لا يستطيع أي سدّ أن يصمد إلى ما لا نهاية أمام جريان ماء النهر المتجدد وأمام قوة تغييره الجبارة ، ورغبته في الانسياح ما يوجب على حركة(فتح) فتح الطرق له وتنظيمه وتقنينه .

إن التغيير في الحياة وفي حركة فتح محور حديثنا الرئيسي أحداث دوما تسبق القرارات ، وحقائق تتكرس دوما متجاوزة القيادات في المستوى الأول ، ووقائع ترسم على الأرض ضاربة عرض الحائط بالأطر الجامدة ، ومسيرة مسرعة و أحيانا داهمة تتفوق على إشارات المرور المثبتة في متن النظام ، وعلامات فارقة في ظل تكلس أو تحجر المؤسسة وارتدادها الديمقراطي .

الرّدة الديمقراطية

إن في حركة فتح ردة ديمقراطية ، ففي الوقت الذي طرحت فيه الحركة مفهوم "المركزية الديمقراطية" أو بعكس ترتيب الكلمتين كانت في الواقع تفرض مركزية مفرطة أحيانا لاقت في مرحلة من المراحل تقبلا ارتبط بطبيعة الأحداث والشخوص و أدوات النضال . ولكن هذه المركزية المفرطة في متن المركزية الديمقراطية فهمتها جماهير فتح جيدا فقامت بتجاوزها على الأرض من خلال تجليات أو أثواب عدة لبستها حققت من خلالها الحراك الديمقراطي الفتحوي ، وتغيير مياه الأنهر في نقطة الثبات ، وحققت فيها تجاوزا فعليا لأطر جامدة غير فاعلة مر عليها من الزمن غير الديمقراطي ١٢ عاما أي منذ المؤتمر العام الخامس لحركة فتح عام ١٩٨٩ الذي انعقد في تونس قبل ٥ سنوات من دخول الوطن .

إن الردة الديمقراطية مظنة رؤية صحة المنهج من عيون أطر بلت مـــع الزمن لعدم تجدد الهواء فيها بالانتخابات الديمقراطية التي كان من المفــترض أن يكون التوقيت المحترم والمنتظم لإجرائها أساس ديمومــــة الحيــاة الديمقراطيــة والاتصالات الفاعلة داخل التنظيم ، وأصل الابتعاد عن بــــلاء التكلــس الفكــري والتسطيح التنظيمي وعقم الاطر لنسخ صلاحياتها والفوضى .

إن الردة الديمقراطية مركزية حيث تطول اليد أو حيث الإقطاعية أو حيث الموقع لا يسمح فيه بالمنافسة وما غيره ليذهب إلى الخراب ، و تخبط وميوعـــة وفوضي حيث لا سيطرة أو خارج الاقطاعيات التنظيمية ، أو حيث أدرك الكوادر سر الحركة .

إن الردة الديمقراطية تخلي فعلي عن الاتصالات التنظيميــة و الممارســة في ظل ارتفاع الصوت يوميا بالمطالبـــة بالانتخابـــات أو التغيـــير أو الإصـــلاح بحدوده القصوى دون قنوات معتمدة أو دون إرادة حقيقية للتغيير ، ولماذا تحصــل والامتيازات والمواقع والمكانـــة محفوظـــة ؟؟ أو دون قـــرار ، أو دون وســـائل محترمة ومنتظمة يتم عبرها إجراء التناطح والتغيير الدوري دون حاجة للوصـــول بكافة الاطر الفلسطينية المفترض تغيرها بالانتخاب (أو على الأصح أغلبــــها لأن الجبهة الشعبية وفدا عقدت مؤتمراتها مؤخرا مثلا) وقبلها أطر حركة فتـــح إلـــى مرحلة اصبح فيها جميع الاطر في حكم المعلبات منتهية الصلاحية .

وما ينتج عن ذلك من عجز وتشكل أو تجذر مراكز القـــوى وانتشــــار الفساد والمحاور وبالتالي عدم الرغبة الحقيقية بالتغيير لدى الجماعة المستفيدة فـــي المواقع المتقدمة ، التي أصبح التغيير لها بقوة الجهاد .

على طريق الإصلاح والتفعيل

تحت عنوان على طريق الإصلاح والتفعيل والتغيير عبرت نشـــرة فتـــح "المركزية" عن ثقتها بالحركة لأن اللجنة المركزيـــة "اجتمعـــت"؟؟! بعـــد كارثـــة

الاجتياح الصهيوني ، (وكشفت مكامن البطولات والـــهزائم وتـــألق الإرادات و ثبوط العزائم) ؟؟! شيء عجيب وكأن الشعب عامة لا يدرك ذلك ومـــن ورائـــه العالم لتأتي "اللجنة المركزية" لتكشفه ؟؟! وتضيف النشرة في رأينا أنه كان لا بـــد من ملامسة الجرح والتأكيد على الدور الطليعي للحركة - أي دور طليعـــي هـــذا والجماهير عامة انتفضت ؟؟!- على المستوى السياسي وعلى المســـتوى الأمنـــي والقيادي والتفاوضي ولا نريد الخوض طويلا في المستويات المذكـــورة إلا فـــي المجال الحركي حيث يجب تفعيل (دور الحركة في مجالات الإصلاح والتطويـــر والتعبير) وحيث قررت اللجنة المركزية ما يلي : مما لن نورده وســـنعلق عليـــه لأنه نفس ما قررته اللجنة المذكورة عام ١٩٦٩ أو عام ١٩٧٤ أو عـــام ١٩٨٤ أو عام ١٩٩٤ أو عام ٢٠٠٢ من جُمَلٍ بديعة لطيفة تؤكد توزيع مهامها - بدلا مـــن أن تستقيل لتتيح المجال للتغيير الديمقراطي والحراك التنظيمـــي ولتجـــدد المـــاء والهواء- وكذلك الأمر بالنسبة للقرارات المتعلقة بالمجلس الثوري العتيد والعنيـــد بالتأكيد على ضرورة الاجتماعات (؟؟!) وتفعيل الرقابة الحركية التي لم تفعَّل منـــذ ٣٥ عاما ، والرقابة المالية ... الخ من اللجان . كلام عام وجميل ومكـــرر علـــى مدى عشرات السنين لم يتغير، وكانت الإضاءة الوحيدة حصول التغيير في تشكيل مكتب التعبئة والتنظيم وإسناد المهمة للجنة من أخوة كرام نتمنى لهم نجاح المهمـــة على رأسهم الأخ المفكر العروبي هاني الحسن بما قد يجعلنا حســـب مـــا ســـنراه لاحقا نعتبر تاريخ ٢٠٠٢/٥/١٥ وهو تاريخ اجتماع اللجنـــة "المركزيـــة" بدايـــة التغيير وملامسة صدر وقلب التنظيم .

الظروف لا تسمح

في حركة فتح لا يرفس أحد متى ما وصل إلى موقعه في الحركة أو فـــي المؤسسات الأخرى على ظهر الحركة إلا متى ما شاء الله ، ويستمر التناطح فـــي الصراعات الداخلية التي تحل كما يعلم الجميع بآليات أو استراتيجيات المراضـــاة

والترقيع أو التعامل مع الوضع القائم ، والتصدي للإشكاليات عبر نفـــخ الاطـــر وتكبيرها وزيادة عدد اللجان وتسمين التنظيم بأعداد تُخرج التنظيـم مــن طابعــة "الطليعي" ولا تدخله في طابعه الجماهيري الذي يستلزم الانتخابــات والتغيــيرات الدورية بعيدا عن كل المبررات التي قد تطرح هنا وهناك والمتلخصة – وكثـــيرا ما تكون صادقة – بأن الظروف لا تسمح ، وعموما هي نفس الظروف التي لـــم تكن لتسمح لا بالانطلاقة ولا بالانتفاضة .

إشارات الخطر

يستخدم النمل حمض الفورميك لإعطاء إشارة الخطر ، فبالإضافـــة إلـــى الهدف الرئيسي للحمض بالإرشاد والتوجيه وبرسم الطرق والممرات فإنـــه يبلـــغ صيحة الخطر ، وأكاد أرى أن الكثير في فتح ومنـــــهم الاخـــوة صخـــر حبـــش وأبوماهر غنيم وعثمان أبوغربية وروحي فتوح وجمال محيسن وجمال الشـــوبكي وامين الهندي وحافظ البرغوثي وتيسير نصر الله ومازن سمارة وحازم أبوشـــنب وعلي أبوربدة على سبيل المثال – والكثير أمثال عبدالله محمود والأخير اســـم افتراضي لكثير من كوادر التنظيم – يمتلكون مثل هذا الحمض ، يمتلكون الرؤية ويستشعرون الخطر ، وعندما يعطي النمل هذه الإشارة تدور النملة (المنزعجـــة) فوق نقطة واحدة وفكاها مفتوحان على سعتها وبطنها مرفوعة قليلا ومن آن لآخر ينطلق الحمض من البطن .

لقد انزعج الكثيرون في حركة فتح و رفعوا بطونهم وأطلقـــوا إشـــارات الخطر عبر مؤتمراتها الحركية في الوطن التي تحسب بإيجابياتها وسلبياتها لـــلأخ صخر حبش والكادر المتميز الذي عمل معه ، وكتبنا في هذا الموضوع مطـولا ، وعادت لتطلق هذه الإشارات بعد انتهاء المدد القانونية للأقاليم مطالبـــة تكريـــس المنهج الديمقراطي كأسلوب فرز للقيادات رغبة منها _ أي رغبة من نمل فتـــح_ في التغيير الدائم وتكريس الديمقراطية ، إلا إن حمض الفورميك لم يكـــن بالشـــدة

التي تقنع دعاة القفز إلى الأمام أن يتخلوا عن طروحاتهم التعجيزية ، ولم تكن الرغبة أو الإرادة واضحة في التغيير لدى الكثيرين فكانت المطالبات بالمؤتمر السادس والعوامل باتجاه عقده آنذاك – أي قبل انتفاضة الأقصى المباركة – كانت أكثر هدوءا والإمكانيات كانت تسمح بعقده ، ولكنه بالطبع لم ينعقد لأنه لم تكن تتوفر الإرادة الحقيقية لعقده أو بديلة (المجلس العام =الكونفرنس) لدى الأطر المتكلسة ولدى بعض الأعضاء فيها ، لنعود اليوم في ظروف أشد إظلاما وقسوة إلى نفس المطالبة شبه المستحيلة بالمؤتمر السادس دون وضع بديل ديمقراطي آخر في أمد زمني محدد مثل (المجلس العام =الكونفرنس) أو سواه . إن الافتراق كبير وتفتت التفكير وتشتت الرؤى وتعدد المواقف وفي ظل عوامل بيئية صعبة يفرض التغيير والانطلاق حقا وحقيقة نحوه لا أن تكون المطالبات عبارة عن صيحات إعلامية ورغبات بالتلميع دونّ إرادة تنفيذ .

إن التجدد في حركة فتح يفرض نفسه والتغيير في القاعدة حدث يومي يتفاعل مع المستجدات فكما نشأت حركة الشبيبة الطلابية وكما نشأت منظمة الشبيبة الفتحاوية وقبلها لجان العمل الاجتماعي نشأت كتائب شهداء الأقصى استجابة للواقع وضمن رؤية لم تكن مرتبطة لا بالأطر الثابتة ولا بشخوصها ، لأن مثل هذه التشكيلات ومؤسسيها فهموا إشارات الخطر التي تحيق بحركة فتح وفهموا معنى استمرار جمود الاطر وعدم حراكها الديمقراطي أو العملي ، وفهموا تجذّر التيارات المحافظة التي أصبحت تسيطر على رقبة الحركة فأبدعوا أطرا ولبسوا أثوابا تعيد لحركة فتح تألقها الحقيقي ومعدنها الأصيل المتمثل في قاعدتها المرتبطة بالشعب والمعبرة عنه لأنها منه ، والقادمة مع ألفين عام من العمق الحضاري العربي والإسلامي .

إن استراتيجية الرد المتزن والتفوق الأخلاقي التي اتبعتها كتائب شهداء الأقصى كانت استراتيجية لا تقبل قتل المدنيين الإسرائيليين مهما كان الجرح بليغ والعدوان الإسرائيلي شرس وفاشي ، ولم تقبل لأهداف سياسية ولوعي عميق الضرب في العمق بعيدا عن الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ إلا ما ندر تساوقا

وفهما واستيعابا للمتغيرات الدولية والإقليمية وتفهما لإشارات الخطر الصادرة من بطن العالم هذه المرة ومن الحركة.

فتح وبناء الاستراتيجية

إن النظر للتنظيم بمنطق رسم البدائل للاستراتيجيات شيء ضروري تستطيع من خلاله الكوادر المشارَكَة في التعديل والتغيير وصولا للاستراتيجية المقرة أو المتفق عليها . وما دمنا نتحدث في هذا الإطار فلا بد أن نعرض سريعا لمفهوم الاستراتيجية بالقول أنها الخطط العامة أو مقابلة الاحتياجات والأهداف بالموارد عبر الفرص ، وهي علم وفن قائم يأخذ بالاعتبار عوامل البيئة والموارد والقيم بعين الاعتبار ولمن يرغب الاستزادة نحيله إلى كتاب (د.فلاح حسن الحسيني ، الإدارة الاستراتيجية ، الصادر عن دار وائل ، عمان ، ٢٠٠٠) ولكننا في حركة فتح في اعتقادي نتبع _ أو يجب أن نتبع _ نموذجا استراتيجيا يمر بالمراحل الأربعة التالية :

- مرحلة التشخيص
- مرحلة الاختيار
- مرحلة التنفيذ
- مرحلة التقييم

وفي الاستراتيجية فإن المرحلة الأولى وهي مرحلة التشخيص يستدعي منا ذلك : التعرف على الفرص المتاحة في المحيط أي مدى توفر فرصة بذل الجهد لإحداث التغيير وحجم هذا الجهد وجدواه ، والتشخيص لطبيعة التنظيم ككوادر وأفكار وحركة ومؤثرات ، وتحديد عوامل تأثير البيئة الخارجية ، والموارد المتاحة والإمكانيات والصلاحيات الممنوحة ، والأهداف المطلوب تحقيقها والمقصود هنا الأهداف الصغرى في ظل وضوح الأهداف الكبرى وهي الأهداف السياسية للتنظيم ولجميع الفلسطينيين ، لننتقل للمرحلة الثانية وهي

مرحلة الاختيار : وفيها يصدق المثل القائل ما حار من استشار عبر تحديد البدائل الاستراتيجية كما سنرى لاحقا ، ثم اختيار البديل الأمثل أو الأحوط أو الأنسب أو القابل للتطبيق ، أما في المرحلة الثالثة : فإن التنفيذ يكون هو الشغل الشاغل للمستويات التنظيمية المختلفة كل حسب دوره في الخطة ليلحقها أو يتوازى معها عمليات التقييم والمتابعة والرقابة ، ودون أن يظن أحد أننا نتفلسف على الآخرين أو ندخلهم في متاهات علم التنظيم أو علم الإدارة ، أو الذي ربما هم مطلعين عليه فإن بناء الاستراتيجية والتخطيط الجيد يستدعي خصائص خمسة هي :

- وضوح الأهداف التنظيمية
- المرونة في إحداث التغييرات دون قسر ودون إرباك
- سهولة فهم الاستراتيجية أو الخطة من الأعضاء
- تحديد مستويات العمل (من ومتى وكيف)
- تحقيق التوازن التنظيمي

الاستراتيجية الكركية

قيل لمواطن كركي (من مدينة الكرك في الأردن) أي الهوايات أحب إليك قال : التزلج على (الجميد) ؟؟! وفي هذه الطرفة حدد المواطن استراتيجية مرتبطة بفكره ورغباته المنصبة على بطنه ، أما في حركة فتح فإن الاستراتيجية الكركية بمعنى هواية نهب و تكديس الأموال والتزلج على الجميد والعزائم اللحمية هي استراتيجية فساد إن صح معها التسمية باستراتيجية أصلا ، وتمثل نظرة غير مسؤولة نحو (السلطة) من حيث هي نفوذ وتأثير و جميد و أموال وحشو بطون ومتع على حساب التنظيم ، وهي في الحركة أكاد اجزم أنها قليلة عددا ومعرّفة بأشخاص بعينهم أو أنفهم ركبوا موج الحركة _ وكان من الممكن أن يركبوا أي موج آخر بالطبع يوصلهم لأغراضهم _ وصولا لتحقيق مآربهم الشخصية فركوب الأمواج والتزلج هوايتان قريبتان من بعض على أي حال .

يقول الباحث هنري باتس أن نمل أسيتون يتبع استراتيجيات قتالية متعددة فبعضها يتحرك في طوابير ، وبعضها في طابور مفرد ، وبعضها في مجموعات متقاربة تنتشر كالفيضان ، وبعضها تندفع كالانهيار الجليدي وهذا في عالم النمل الذي "يدرك" بدائل الاستراتيجيات أو الخيارات المتاحة فكيف لنا في المجتمع الفلسطيني أو التنظيمات الفلسطينية وفي حركة (فتح) ألا نختار وألا نخطط ومنذ زمن طويل ؟؟!

التغيير أم الغرس

إذا اعتبرنا أن التغيير الحاصل في قيادة تنظيم حركة فتح بتشكيل مكتب التعبئة والتنظيم في الوطن إلى جانب مكتب التعبئة والتنظيم في الخارج مدخلا للتقدم للأمام واستجابة لإشارة خطر ورغبة في الإصلاح جدية ليست ضمن "البازار" الإصلاحي التغييري بحسب المصطلح المستخدم من نشرة فتح "المركزية" فإننا نرى أن لمكتب التعبئة والتنظيم في الوطن وبالتكامل مع مكتب الخارج واحدا من ثلاث استراتيجيات ألا وهي :

-استراتيجية التغيير

-استراتيجية المحافظة على الوضع القائم وحل الإشكاليات

-استراتيجية التعامل مع الوضع القائم والغرس.

في الاستراتيجية الأولى من الممكن ان يطال التغيير مستويات التنظيم الثلاثة (العليا والوسطى والقاعدية) ومن الممكن أن يكون جزئيا ، ومن الممكن أن يكون من أعلى أو من القاعدة أو من الوسط وهذه الاستراتيجية على صعوبة العوامل البيئية الخارجية مطروحة من أكثر من قيادي وكادر في الحركة ، وهم الذين يربطون ومعهم الحق التغيير القاعدي بالتغيير في مستويات القيادة المختلفة بدء من اللجنة المركزية للحركة والمجلس الثوري و اللجنة الحركية أو المرجعية وصولا للجان الأقاليم والناطق .

أما في استراتيجية المحافظة على الوضع القائم وحل الاشكالات ، فـــهي استراتيجية (الاستسهال) والحذر وعدم الإقدام على التغيير بحجج عدم الإمكانيـــة والظروف الأمنية والوضع السياسي والتأثيرات التنظيمية ونفاد الموارد ...الـــخ . وهي نفس الأسباب التي كانت وما زالت تعوق عقد أي مؤتمر حركي أو (مجلـس عام=كونفرنس) على الأقل ، وفي كثير منها محاذير حقيقية ومعوقات تحتاج لجهد كبير وعسير لتجاوزها ، ولكن بلوغ الإرادة حد التصدي واحـــترام الديمقراطيـــة وتحقيقها قد يفتح كثير من طاقات التغيير .

عموما فإن المحافظة على الوضع المائع القائم-المرفـــوض مـــن معظـــم كوادر وأعضاء في الحركة- وحل ما ينشأ من إشكالات أو ما نشأ مع الانتفاضـــة خاصة ، شيء كثير يجب أن يتصدى مكتب التعبئة والتنظيم بفرعيه له من مثـــل الإجابة على

-دعوات الانتخابات وتغيير الاطر
-وضع الشبيبة ضمن الأقاليم والمؤتمر
-موضع اللجنة الحركية أو المرجعية في النظام
-موقع كوادر كتائب شهداء الأقصى في الحركة
-دور المعتقلين في التنظيم
-بحث العضوية(تنخيل أم تقليص أم توسيع ...)
-الإجابة على طرق محاربة الفساد الشخصي والإداري
-إعادة النظر في شكل الأطر(خلية، حلقة...الخ)
-موقع الفتحويين الذين لم تستوعبهم الاطر لسبب أو لآخر
-إنشاء نوادي للتعبير الحركي والثقافة والرياضة والأطفال
-إدماج الكادر الحركي للعمل في المنظمات غير الحكومية أو الشعبية
-حل التعارضات والتشابكات في الأطـــر والمـــهمات والمســـميات ...
وبالتأكيد عشرات المواضيع الأخرى .

أما البديل (الخيار) الاستراتيجي الثالث وهو استراتيجية التعامل مع الوضع القائم والغرس ، فإنه يحتاج إلى إجراء عدد من التغييرات الممكنة والمحسوبة نتيجة الظروف مثل عقد (المجلس العام=الكونفرنس) على الأقل وإعطاء المجلس الثوري صلاحيات التقرير وانتخاب اللجنة المركزية ، وتعديل النظام وإجراء ورشات عمل ودورات على مستوى الأقاليم والمناطق ، واحترام التوقيتات والآماد بالنسبة لتجديد كافة الاطر ، والبدء بضخ أفكار جديدة ومتنورة للتنظيم عبر (التعميم) التنظيمي الموحد في الوطن والخارج والذي يجب أن يخاطب فكر وقلب واحتياجات الأعضاء سياسيا وتنظيميا ، ويصدقهم القول بعيدا عن زخرف الكَلِم ومنثور العبارات ، ويخاطبهم بالمتوجب عليهم وعلى الأطر العليا القيام به يوميا لهم ولأطرهم وفي مجتمعهم ، يجب أن تحتفظ حركة فتح بورد عمل يومي لتصبح حركة الذات والغرس في حقل الذات والمجتمع والتنظيم

ما قبل التنفيذ

إن نجاح أي فكرة أو قرار أو استراتيجية أو خطة يستدعي التمهيد لها ، خاصة إن كانت الفكرة تتعامل مع آلاف أو عشرات الآلاف من الأعضاء – بحسب إحصائيات المؤتمرات التي عقدت بالوطن– متعددي المشارب الطبقية والتعليمية والفكرية والاجتماعية ، وحتى النضالية في تنظيم واسع فضفاض رجراج –مترهل في بعض أجزائه– كتنظيم حركة فتح ، لذلك فإن دخول فكرة موحدة أو أفكار جامعة في ظل (التعددية الفتحوية) التي تقترب أحيانا من حد الفوضى يستدعي التمهيد من خلال التمرحل في عرض الفكرة أو بناء الاستراتيجية وخاصة في ظرف الاحتلال شبه الكامل حاليا ، وفي ظل الصراع السياسي الشديد ، والمتغيرات الداهمة التي تطل برأسها. إن اختيار أي من الاستراتيجيات الثلاثة المذكورة أعلاه أو غيرها يتطلب المرور بمراحل :

١-مرحلة الاستكشاف : حيث يجب أن يمنح مكتب التعبئة والتنظيم فرصة الإطلاع على وضع الأعضاء ووضع الأطر والمهمات ، وهموم الناس ، وطريقة تفكيرهم ، والجروح والندوب التي أصابتهم ، ومعنوياتهم ، وطموحاتهم ،وأملهم ويأسهم ، تشنجهم وألمهم ، إصباحاتهم وهمومهم ، رغباتهم وأهدافهم ، أفكارهم وآرائهم ، والتي يجب أن توضع في إطار الاستكشاف والدراسة والتمعن والتفحص ، في إطار الحث على المشاركة والتفكير والكلام والاقتراح ووضع الأفكار وبدائل الحلول ، في إطار عدم إعطاء الوعود أو بذل العهود والبشائر أو التحذيرات ...إنها مرحلة حث وتحفيز وتنشيط للفكر أيضا ، مرحلة لاستكشاف الذات التنظيمية تسبق اعتماد الخيار الاستراتيجي ، وقد تستمر شهرين أو ثلاثة وربما أكثر .

٢-مرحلة بناء الاستراتيجية وتعميمها : حيث تتبلور كثير من الجزئيات عبر مرحلة الاستكشاف تستخدم في إعادة رسم أو تعديل أو تنسيق الاستراتيجية_التي قد تكون مسطرة مسبقا بانتظار الإقرار النهائي_ ، أو استبدالها.

٣- مرحلة تطبيق الاستراتيجية : من خطط وبرامج عمل ووسائل واجتماعات وتطبيقات تلتزم المستويات التنظيمية وآليات التغيير . وقد يبدأ التطبيق من خلال اعتماد الفكرة الموحدة أو الأهداف التنظيمية عبر ورشات العمل (أو السيمينارات) أو عبر الانتخابات أو عبر الجولات التنظيمية لكوادر مكتب التعبئة والتنظيم .

الظروف والسلطان قانصوه الغوري

من المعلوم أن الاحتلال يشكل العقبة الكبرى في طريق أي تقدم أو تغيير أو إصلاح أو تطوير أو جهاد لأنه يقلب الحياة ويدمر الروح وينثر العطونة في الجو ويغرّب الفكر ، ولكن وجودنا في هذا الظرف (=الموقف وشخوصه في الزمن) يستدعي التعاطي معه بالعمل على تجاوزه ، ويعتبر الظرف السياسي

المعقد لمن يشاء ظرفا معطلا للإصلاح ، ولمن شاء مشجعا ومحفّزا ، لذلك فإن هذان العاملان الخارجيان يمكن أن يستخدما بدرجة هامة بأهمية الاستعداد المسبق والتمهيد وأخذ زمام الفعل .

تلعب العديد من العوامل الداخلية داخل المجتمع والحركة ومكتب التعبئة أدوارا مثبطة أو محفّزة لتطبيق الاستراتيجية والانطلاق نحو العمل ، لذا يجب تمحيص ودرس هذه العوامل ومنها الشخصية في محاولة لحلها واستخدامها كقوة دافعة ووقود للسعي منذ مرحلة الاستكشاف .

من الممكن أن نشير للعوامل الداخلية المحيطة بأي معادلة تقدم أو تغيير مرغوب سواء كان مفروضا أو مقنعا إلى الفساد الإداري أو التنظيمي أو الشخصي في جسد السلطة أو حركة فتح مما سيتناوله معظم الكوادر مليا ودون ملل ، وبالتحديد لدى البعض ممن ركبوا موجة فتحوا وتزلجوا على (جميدها) وغرقوا في الخطايا وأفلحوا في تبوّء المكانة ، دون ان يكون لحركة فتح في ذلك سوى دور المناخ المساعد أو العامل المنشط نظرا لقصور الأطر العليا عن الحساب والرقابة والعقاب والتغيير ، وسكوت الاطر القيادية الوسيطة وتفجر الأطر القاعدية بالغضب .

كان السلطان المملوكي قانصوه الغوري لصّا -ليس هذا رأيي- وإنما كما يقول المؤرخ ابن إياس ، لأن الغوري عندما أراد أن يبني مسجده المعروف بمسجد الغوري لم يجد مالا يبني به_ بعد أن خرب وسلفه خزائن مصر بالنهب_ فصار يأمر العمال بسرقة الأعمدة والأحجار من المساجد الأخرى ، فأطلق ظرفاء المصريين على جامع الغوري الفاسد اسم المسجد الحرام لأنه بني كله من حرام ؟؟! هل نجد في ذلك مقاربة لدينا ؟

إن مطالبة الأعضاء والكوادر بالجهاد من خلال معاقبة سلاطين الفساد والإفساد ستكون من الظروف المساعدة على التغيير لو امتشق الأخ هاني الحسن ومكتب التعبئة سيف الإرادة ورسم الاستراتيجية وأثار النقع ووضع الميزان .

يقول الله تعالى في محكم التنزيل (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلـــم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين) ١٤٢ آل عمران .

- رام الله –فلسطين ، ٢٠٠٢/٥/٢٦ .

المقاومة واستراتيجية الرد المتزن
والتفوق الأخلاقي.

مقدمة:

في الكثير من الأحاديث والكتابات واللقاءات المتعلقة بالانتفاضة المباركة انتفاضة الأقصى والقدس والاستقلال كان الانتقاد ينصب على عدم وجود مرجعية واحدة واضحة للانتفاضة ، وعلى عدم وجود خطة عامة متفق عليها أو برنامج عمل ملزم ، وكان الانتقاد يطال كثير من القيادات والمواقف والأزمات والتصرفات والتصريحات التي رافقت ال١٧ شهرا من عمر الانتفاضة الباسلة حتى الآن ، وأرجع الكثيرون السبب الى افتقاد الرؤية الواضحة أو الاستراتيجية الموحدة على الصُعُد السياسية والاقتصادية والأمنية والميدانية ، وعلى صعيد التنظيمات السياسية والسلطة الوطنية الفلسطينية وإطار القيادة الوطنية والإسلامية الجامع ل١٤ تنظيما فلسطينيا فاعلا ، وخاملا .

ورغم مثل هذه الانتقادات التي قد نتفق أو نختلف معها وغيرها الكثير إلا أن العديد من وجوه الأحداث من كوادر الحركة الوطنية والسلطة قد أجمعوا تقريبا على الأهداف أو الغايات الاستراتيجية ممثلة بالدولة المستقلة وعاصمتها القدس وعودة اللاجئين والسيادة , وربما توقف الجميع عند حدود الإقرار الذي اعتبرته حركة الجهاد الإسلامي و (حماس) بمثابة الدخول في هدنة مع العدو ، لكنهم تفرقوا لشهور عدة في غير ذلك من خطط وأساليب وتوقيتات واستثمار للإمكانيات ، أي أن الغاية التي تجمع أو تمثل الجامع المشترك تواصلت واضحة بين مختلف الأطر والتيارات السياسية رغم الأصوات الإعلامية التي ترفض التفريط بفلسطين التاريخية كأرض وقف للمسلمين أو خلافه .

إن الاستراتيجية قرار يتخذ وليس مساحة فعل يتم النظر إليها والتدقيق في وجودها من عدمه ، إن الاستراتيجية اتفاق مسبق وخيار من بدائل تحددها البيئة ، والاستراتيجية نظام يطرح للتنفيذ والعمل به عبر التنظيم ، ومن كل ذلك قد نستنتج أن الاستراتيجية الفلسطينية المقرة الموحدة غير موجودة ، وإن وجدت كفهم أو رؤية أو أهداف استراتيجية فهي في ذهن البعض دون الآخر وبالتالي هي كاستراتيجية غير واضحة أو محددة للتنظيم او التنظيمات وللناس ، وفي جميع الأحوال فإن للتنظيمات (السياسية والمدنية) استراتيجيات تتقاطع أحيانا مع الاستراتيجية العامة التي قد نلتقط بعض أجزائها أو فتات خطوطها من حقل التجربة والخطأ ومساحة الفعل ونطاقات التنفيذ وطبيعة التصريحات وردود الفعل وطريقة التعامل مع الأحداث في الفضاء السياسي والإعلامي والميدان .

مراحل الانتفاضة :

عندما تجرأ أرئيل شارون ووطأ الحرم القدسي الشريف بالاتفاق المسبق مع حكومة رئيس الوزراء أيهود باراك كان بذلك يضع قدميه في مستنقع العنف الذي ربما سعا له ليعود واليمين الإرهابي والمتطرف إلى سدة الحكم في إسرائيل ، وعندما وافق باراك على السماح لشارون بدخول الحرم كان يراوده حلم الضغط على الفلسطينيين والتنصل من استحقاقات السلام المطلوبة منه والتهديد بالأسوأ بعد الرفض الفلسطيني للعرض المذل في كامب ديفد الثانية (ثم في طابا) . إلا أن القدم الهمجية أشعلت دون توقعات أمنية إسرائيلية صحيحة أشعلت انتفاضة شهداء الأقصى الذين سقطوا في يوم الجمعة الدامية في ٢٠٠٠/٨/٢٩ لتجرف الانتفاضة في بحرها الهادر سياسات باراك وتدمر استراتيجية التهرب من الاستحقاقات ، ولتضع اليمين المتطرف في الحكم ، في تراجع إسرائيلي عن ثقافة السلام والانخراط في دوامة الخوف والرعب والسعي إلى الأمن التي أصعدت رجل إسرائيل القوي أرئيل شارون الى الحكم .

لقد مرت المقاومة الفلسطينية المتواصلة بفترات من الصخب والهدوء ومراحل مختلفة ارتبطت بتكتيكات وسياسات وربما استراتيجيات الحكومة الإسرائيلية ومطبخها الأمني-السياسي ، وتدخلات الوضع الإقليمي وضغوطات الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية ، وإمكانيات الأطراف والفرص والتهديدات الواقعة ، فمرت الانتفاضة إن أحسنّا التقسيم بأربع مراحل أساسية حتى الآن هي :

أولا: مرحلة المواجهة الشعبية (من شهر٩/٢٠٠٠ الى شهر يناير٢٠٠١):

حيث تواصلت حركة الجماعات من كافة شرائح المجتمع ومن تنظيمات الميدان الفلسطينية وخاصة حركة (فتح) في قيادة الشارع نحو المواجهة المحدودة حيث يتقابل الحجر بالرصاص والصدور العارية بالعربات المدرعة والدبابات . لقد تكبد الفلسطينيون عشرات الشهداء ومئات الجرحى دون أن يمس الإسرائيليون في انتفاضة بدأت هادئة أو بيضاء تجاههم ماثلت الانتفاضة الأولى (١٩٨٧-١٩٩٤) ، رغم ما تخللها من أساليب مقاومة مسلحة دفاعية تقصدت المستوطنات وبعض العمليات الهجومية التي قتلت فيها حركة (فتح) عبر كتائب شهداء الأقصى عددا من المستوطنين الإرهابيين الذين اصطادتهم في الطرقات بأسلوب أصبح لاحقا من سمات عملياتهم (مثل قتل الإرهابي الكبير بنيامين كهانا ابن الحاخام مئير كهانا قرب رام الله في ٣١/١٢/٢٠٠٠) ، واستطاع الفلسطينيون في هذه المرحلة أن يحققوا تضامنهم الكامل بدخول فلسطينيو الداخل (إسرائيل) في المواجهة التي خلفت ١٣ شهيدا فيهم ، واستطاعوا أن يكسبوا الشارع العربي والأوربي والعالمي- رغم تكتيكات باراك حينها التي منها اتهامه الفلسطينيين باستغلال أطفالهم بالزج فيهم في المواجهات فالقتل- وحققوا التفافا عربيا شعبيا ورسميا عز مثيله .

ثانيا : مرحلة التصعيد والمقاومة المسلحة (أواخر يناير حتى ديسمبر ٢٠٠١):

وفي هذه المرحلة امتزج العمل الانتفاضي الشعبي مع تراجعه نسبيا مع عدد من العمليات ضد المستوطنين وانهاك المستوطنات بالضرب الفلسطيني المتواصل خاصة في غزة وبيت لحم ، وبظهور وتنامي العمليات الانتحارية (الاستشهادية) التي طبعت استراتيجية حركة حماس والجهاد الإسلامي في المقاومة ، بل وعدد من الانتحاريين غير المتحزبين أمثال خليل أبوعلبة الذي دهم بحافلة ٩ إسرائيليين (٢٠٠١/٢/١٤)، حيث دخلت الحركتان على خط العمل المقاوم في مرحلة متأخرة نسبيا من بدء الانتفاضة لأسباب قد يكون منها وجود عدد منهم في السجون ولعدم الجاهزية التي عبرت عنها قيادات حركة (حماس) بالخارج أمثال خالد مشعل وإبراهيم غوشة ، وتعانقت استراتيجية المقاومة بشكليها الهجومي والاستشهادي عوضا عن الدفاعي ضد المستوطنات بالرصاص والهاون مع المواجهات الشعبية من تظاهرات ومواكب شهداء ومسيرات منظمة ومظاهرات مخططة والتي قامت بها جهات رسمية وشعبية فلسطينية في مختلف محافظات الوطن .

سقوط استراتيجية المائة يوم

تواصل الضغط الفلسطيني الشعبي والمقاوم والسياسي والإعلامي يتقدم حتى دخلت كل من الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية في إطار العمل المقاوم في عدد من العمليات المميزة ، والى أن تم جني الثمار الأولى بإسقاط استراتيجية أرئيل شارون (الذي تولي رئاسة الوزراء في ٢٠٠١/٢/٦) التي حددت مائة يوم لتحقيق الأمن للشعب الإسرائيلي ، فلم يتحقق لـه إلا الخسران والفشل ليعود ويتراجع ويستبدل استراتيجيته تحت ضغط المقاومة والتحرك الجماهيري والسياسي الفلسطيني والعربي والأوربي (اعتبر الأوربيون أن الردود الإسرائيلية

مفرطة وغير متكافئة وأن إسرائيل تنتهك مناطق سيادة السلطة في ٢٠٠١/٤/١٩) ويدعو شعبه إلى ما أسماه سياسة المقاومة والصمود والصبر وطول النفس (؟!)

صراع الاستراتيجيات

وفي هذه المرحلة ظهرت مميزات العمل الميداني الفلسطيني فانفردت حركة (فتح) باستراتيجية مقاومة ثابتة وواضحة اتخذت من مساحة الضفة الغربية وقطاع غزة فقط ميدانا لعملياتها الهجومية وغير الانتحارية (سوى من بعض العمليات الاستثنائية في العمق مثل عملية الشهيد علي الجولاني في القدس وعملية الشهيدة وفاء إدريس وعملية الخضيرة الأخيرة) ، وأصبح الإسرائيليون في المستعمرات (المستوطنات) غير آمنين وعلى الطرق ثم في عمق مستوطناتهم لاحقا ، وأصبح الجنود عرضة للقتل ثم غير آمنين مطلقا منذ نهاية العام ٢٠٠١ .

بنيت استراتيجية المقاومة لحركة الجهاد الإسلامي وحركة حماس على تواصل الضرب في أرض فلسطين التاريخية (إسرائيل) في العمق في القدس وحيفا ويافا والعفولة والخضيرة وغيرها بأساليب التفجيرات أو العمل الانتحاري الذي جذب عددا من نشطاء الديمقراطية والشعبية وغير المتحزبين لتقليده ، وهو ما لم تقم به حركة (فتح) كما أسلفنا التي آثرت استثمار الكوادر في عمليات مختلفة دون اللجوء إلى أسلوب أو استراتيجية المقاومة الانتحارية

من التصعيد إلى وقف إطلاق النار

لقد كان من نتائج عملية مرقص (الدولفنيريوم) ضد التلاميذ الإسرائيليين الذين يحتفلون ، والتي قامت بها كتائب الشهيد عزالدين القسام التابعة لحركة (حماس) في تل أبيب في ٢٠٠١/٦/١ ، أن تسمم الجو الدولي المحيط بالانتفاضة والملتف حول الفلسطينيين ، وأعطى الذريعة الإضافية لحكومة شارون لزيادة العدوان الهمجي , إلا أن جهود وزير الخارجية الألماني (يوشكا فيشر) الذي

تواجد في موقع العملية صدفة وتحركه مع الجانبين أدى إلى إعلان الرئيس الفلسطيني وقفا لإطلاق النار مع صعوبة التعامل مع هذا المصطلح المضلل قبل ذلك (على اعتبار أن لا جيشين متقابلين ولا قوى متجابهة والعدوان يفرضه طرف واحد والآخر يقاوم بالأدنى من الوسائل...) ، واستمر مع ذلك العدوان الهمجي والقصف الإسرائيلي لكن مع لجم مؤقت لعمليات الاقتحام لمناطق السلطة حتى شهر أغسطس بدء من جنين في الضفة الفلسطينية .

أما على الصعيد الرسمي والسياسي فلقد أثمرت التحركات في هذه المرحلة عن نشر تقرير ميتشيل (في ٢٠٠١/٥/٢١ والذي كان قد قدم للرئيس الأمريكي في ٢٠٠١/٤/٣٠) الذي دعا لإنهاء العنف من الطرفين وإزالة المستوطنات ، إلا أنه جوبه بتصعيد إسرائيلي بدا مخططا ومستفيدا من كل عملية استدراج للفلسطينيين للرد ، حيث تكثفت عمليات الاغتيال والتي طالت الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الشهيد أبو على مصطفى (٢٠٠١/٨/٢٧) والتي مهدت لمقتل الإرهابي المعروف وزير السياحة رحبعام زئيفي في عملية معقدة الأطواف في ٢٠٠١/١٠/٢٧ لتدخل ذريعة القبض على قتلة زئيفي وأيام الهدوء السبعة ولاحقا المتورطين في عملية السفينة (كارين أ) في قائمة الشروط التعجيزية المقصودة المرتبطة باستراتيجية تدمير السلطة وتركيع الفلسطينيين دون أن ينالوا حتى ما رفضوه في كامب ديفد وفي طابا قبل صعود شارون .

ما بعد غزوة نيويورك

لقد ظلت هذه المرحلة التي دامت ما يقرب العام متسمة على الصعيد الميداني الفلسطيني بالمقاومة أو الانتفاضة بأشكالها الأربعة (١-الجماهيري ، ٢-والمقاوم المسلح بأشكاله الدفاعي والهجومي والانتحاري، ٣-والسياسي٤-والإعلامي) حتى وقعت غزوة نيويورك في ٢٠٠١/٩/١١ ، لينخرط الفلسطينيون في جدال وحوار شعبي ورسمي وتنظيمي وبجهود كادرية حثيثة لتحقيق التفهم بضرورة التوقف والنظر للوضع المحيط وانتهاج استراتيجية جديدة

حركة فتح والتنظيم الذي نريد .

قد تعني الانسحاب من الفعل الميداني أو تغييره لاسيما والعمليات الأمريكية ضد أفغانستان ستعمم كنموذج ضد كافة التنظيمات الإرهابية أي تلك التي تستهدف المدنيين بغض النظر عن عدالة القضية أو شرعية المقاومة أو التعريف المغاير للإرهاب ، ولقيت هذه الحوارات و الجهود تفهما فلسطينيا كبيرا – مع بعض الاستثناءات التي أصرت على الانتقام وحق الكفاح المسلح بكافة الأشكال وضد الجميع وفي أي ظرف– ما كان مقدمة لتحقيق الهدوء وانخراطا فعليا – ربما دون قرار من أحد– في سياسة أو استراتيجية الرد المتوازن والتفوق الأخلاقي .

ثالثا : مرحلة الترقب ورسم الخيار الجديد (شهري نوفمبر وديسمبر ٢٠٠١) :

تواصل العام ٢٠٠١ وخاصة في الشهرين الأخيرين ورغم التفهم الفلسطيني والحوار تواصل يتصاعد عبر مجموعة من العمليات الانتحارية (الاستشهادية) حيث افتتح شهر ديسمبر بخمسة انفجارات هزت كل من القدس الغربية وحيفا وأدت إلى مقتل أكثر من ٢٥ وجرح العشرات بسواعد كوادر حركة (حماس) أو بالأحرى أجسادهم الممزقة ، ليلحقها قصف إسرائيلي مكثف وخاصة لمدينة غزة ومقر الرئيس وتدمير طائراته المروحية الرئاسية الثلاثة ، ويمزجها باتهام الرئيس بأنه مسؤول شخصيا عن ما يسميه الإسرائيليون بالإرهاب الفلسطيني إثر عودة شارون من واشنطن (٢٠٠١/١٢/٣) . وكان شارون قد استخدم استراتيجية الكذب (كما يسميها الكاتب الإسرائيلي تالي ليفكين لاحقا) أو استراتيجية الخداع والمصيدة واستجلاب الردود الانتقامية إثر تصعيده للاغتيالات وذلك في شهر نوفمبر و اجتياحة لقرية تِل–نابلس ودخوله لعدد من المدن ثم مذبحة أطفال خانيونس الستة من عائلة الأسطل (٢٠٠١/١١/٢٢) والتي لحقها اغتيال محمود أبوهنود المسؤول العسكري في كتائب عزالدين القسام واثنين من الكوادر في ٢٣ منه . وتواصل التصعيد الإسرائيلي المرتبط بتكتيكات رئيس الوزراء الإسرائيلي في محاولة عزل السلطة الوطنية عالميا وتدمير سمعتها وفي

الانخراط الشاروني ضمن ربقة الأخيار المحاربين ضد الإرهاب في العالم بالتساوق مع غزو أفغانستان والطروحات الأمريكية ضد الإرهاب فأقدم على مذبحة عنبتا في تواصل لسياسة العدوان دون توقف ، التي لحقها عملية مستوطنة عمانوئيل من قبل الشهيد عاصم ريحان من كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة (فتح) التي أودت بحياة ٨ مستوطنين برشاشه وجرح ٢٠ آخرين في (٢٠٠١/١٢/١٢) فتسارع الحكومة الإسرائيلية في اليوم التالي تنفيذا لاستراتيجيتها المسبقة بالإعلان عن قطع علاقاتها مع الرئيس ياسر عرفات باعتباره والسلطة (طالبان) وأنه غير ذي صلة وتقدم على اجتياح جديد للعديد من مناطق السيطرة الفلسطينية .

كان الظرف العالمي وحجم التهديدات حول السلطة الوطنية والقضية قد تزايد وخاصة في خضم الحرب المدعوة أمريكيا حربا على الإرهاب والتي قادتها أمريكا في العالم ، ولصعوبة التفلّت من وصمة الإرهاب والتفريق الميداني الفعلي بين المقاومة والإرهاب ، ولسبب التوقيت وضغط المأساة وعقلية الثأر والانتقام الأمريكية التي قادتها تيارات التطرف المسيحي اليميني من جهة ، واستجابة للدعوات الأمريكية بإقامة دولة فلسطينية كما ورد في خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠٠١/١١/١٠ والذي تبعه نفس الإعلان من قبل وزير الخارجية كولن باول في رؤيته للسلام في ١٩ من ذات الشهر كان إعلان الرئيس الفلسطيني لوقف إطلاق النار.

كانت العمليات العسكرية تتزايد والسعي الفلسطيني الرسمي للتهدئة يكبر إلى أن أعلن الرئيس عرفات في خطابه للشعب الفلسطيني في ٢٠٠١/١٢/١٦ تمسكه بأهداف وخيارات الشعب الفلسطيني وإعلانه لوقف إطلاق النار، هذا الإعلان الذي جاء داخليا بعد رحلة طويلة من الحوارات والصراعات والتفهم الوطني الداخلي لمستوى الضغوط والتهديدات واحتمالية نفاذ الفرص ،وفهم القدرات والعوامل المحيطة والذي أنتج وقفا حقيقيا لإطلاق النار من الجانب الفلسطيني أستمر ما يقارب الأسابيع الثلاثة ودلل على جدية الطرف الفلسطيني

بالسعي نحو السلام ، ولكنه قوبل طوال هذه الأسابيع بالإرهاب والقتل والاغتيال الإسرائيلي المتواصل والشروط التعجيزية ، الذي ولّد تحللا من الالتزام والارتباط بوقف إطلاق النار لتعود العمليات الفدائية ثانية إلى الواجهة .

ومع تواصل الفعل الشعبي رغم القصف والتدمير والقتل والحواجز والحصار الذي كان يتبع كل عملية إلا أن العمليات عادت هذه الفترة وخاصة منذ بداية العام ٢٠٠٢ لتتركز وفق معظم خطوط استراتيجية كتائب شهداء الأقصى في الميدان – بتشكيلاتها ذات المسميات المحلية المختلفة (كتائب العودة وكتائب الشهيد ثابت ثابت ثم رائد الكرمي في شمال الضفة وكتائب الشهيد حسين وعاطف عبيات في بيت لحم ومجموعات المقاومة الشعبية في غزة)- التي تركز على المكان المحدد بأراضي الدولة الفلسطينية القادمة ومستهدفين المستوطنين والعسكريين عبر الطرقات وفي المستوطنات وعلى الحواجز .

رابعا : مرحلة المقاومة المتزنة :

وفي هذه المرحلة الحديثة من المناسب القول أن الوعي السياسي الفلسطيني الرسمي والموحد والحزبي والفهم الاستراتيجي التنظيمي (رغم عديد السلبيات والانتقادات في هذا النطاق) قد أصبح أكثر قدرة على تحديد أهداف قصيرة واضحة و مديات فعل وتوقيتات متلائمة مع التحركات السياسية ما يدفعنا للقول أن الاستراتيجية بدأت ترسم في السياسة وعلى الأرض خاصة بالتجارب والتعلم من الأخطاء ما هو سمة حركة (فتح) وهذا للأسف ، لأن الاستراتيجية ما هكذا تصنع أصلا ، وتجاوزا لذلك ، كان العمل الانتفاضي الشعبي متواصلا (مظاهرات ، مسيرات ، جنازات كما هو الحال طوال ال١٧ شهرا) وتصلب العمل الميداني الفلسطيني و تأطّر وتقرر أن تكون الضفة والقطاع والقدس ميدانه الحقيقي خاصة وأن قتل المدنيين لأي سبب حتى المقاومة ضد الاحتلال وبعد غزوة نيويورك أصبح مرفوضا ويستجلب وصمة الإرهاب من قبل العالم .

في هذا التأطير الجديد كما ذكرنا الذي استهدف العسكريين والإرهابيين المستوطنين ونقاط التمركز الإسرائيلي العسكري في أرضنا (وخاصة إثر العملية النوعية لكتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة (فتح) في حاجز عين عريك قرب رام الله التي راح ضحيتها ٦ جنود إسرائيليين وجرح سابع وتجمد الثامن من الخوف في ٢٠٠٢/٢/١٩ وما تلاها وسبقها، ولتدمير دبابة المركافا في غزة قبل أيام خمسة من عملية عين عريك وبإجمالي قتلى عسكريين وصل بأيام قليلة ١٧ قتيلا) وضد المستوطنات تكون الاستراتيجية الفلسطينية وخاصة في الميدان قد وصلت الى مرحلة متطورة من التناغم المطلوب بين العمل السياسي والشعبي والإعلامي والميداني المقاوم .

الخيارات الاستراتيجية

من الاستعراض السريع السابق لمراحل الانتفاضة نلاحظ التطورات التي صاحبت مجرى الصراع وتطور الفعل والأداء الفلسطيني إلى أن وصل درجة من التناغم متطورة ما يحدونا للتطرق سريعا لمفهوم الاستراتيجية من الزاوية العلمية . لقد خرج مفهوم الاستراتيجية من الطابع العسكري البحت حيث الفكر يتجه دوما صوب ليدل هارت وكلاوسفتز وبوفر من القادة العسكريين العظام و تعريفاتهم وتجاربهم وحيث الاستراتيجية والتكتيك والمناورة شأنا عسكريا رسميا إلى فضاء التطبيق المتاح في سياسات الدول والحكومات والى نطاق الإدارة والاقتصاد والاجتماع والتنظيم والمؤسسة والعمل الفدائي والانتفاضة ، ومع اختلاف المفكرين والباحثين في التعريف إلا أننا من الممكن أن ننتقي ثلاثة من التعريفات الحديثة (راجع : د.فلاح حسن ، الإدارة الاستراتيجية ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٠ ، إسماعيل محمد السيد ،الإدارة الاستراتيجية :مفاهيم وحالات تطبيقية ،الإسكندرية ،المكتب العربي الحديث ، ١٩٩٣) قد تتساوق مع طبيعة قراءتنا ، فلقد عرّف الباحثان (جوش وغلوك) الاستراتيجية بأنها (خطة موحدة

شاملة ومتكاملة تربط المنافع الاستراتيجية للمنظمة بالتحديات البيئية ، والتي تُبنى لتأكيد تحقيق الأهداف الأساسية للمنظمة من خلال التنفيذ المناسب عبر التنظيم) وعرفها آخرون (أنها خطط مستقبلية طويلة الأمد وشاملة تتعلق بتحقيق التوافق والانسجام بين البيئة التنافسية وقدرة القيادة على تحقيق الأهداف) واعتبر (منتزبرغ) في تعريفه للاستراتيجية أن الخطة الموضوعة تحدد خمس نقاط هي :

١- سبل التصرف

٢- الحيل أو المناورات

٣- نموذج متناغم الأجزاء

٤- الوصول لوضع مستقر في البيئة

٥- منظور فكري(أو أهداف) يعطي القدرة على الرؤية الصحيحة.

وعليه فإن صنع الخيار الاستراتيجي للمنظمة أو المؤسسة أو الدولة يحتاج إلى المرور بعدة مراحل أولها توليد البدائل الاستراتيجية من المتاح والممكن تطبيقه وتتناسب مع الأهداف يليها مرحلة تقويم البدائل استنادا لمعايير تحقق الفوز وتناغم الاستراتيجية مع الأهداف والمتغيرات في إطار المرونة وأن تحقق هذه البدائل ميزة للمنظمة و مقبولة وقابلة للتطبيق وتحقق الأهداف بأقل التكاليف ، وفي المرحلة الثالثة يتم اختيار البديل الاستراتيجي المناسب باستعراض ايجابيات وسلبيات البدائل وترجيح المناسب منها .

والخيار الاستراتيجي لا يعتمد على عملية عقلية بحتة أو عوامل داخلية للتنظيم أو الدولة بمستوى القيادة وإنما يعتمد أيضا على عوامل البيئة الداخلية (الهيكل التنظيمي ، الأهداف والتوجهات ، كفاءة التنفيذ ، قدرات الأفراد...) وعوامل البيئة الخارجية مثل (العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتقنية والإقليمية والعالمية ..) ودون كثير من الكلام العلمي الممل للبعض فإن **اختيار الاستراتيجية أو صنع القرار الاستراتيجي كما يورد د.فلاح حسن استنادا للعالم ثومبسون يستند الى العوامل الخمسة التالية :**

١-الفرص (المتاحة في البيئة ، وتحتاج لاحترام التوقيت المناسب)
٢- التهديدات (أيضا في البيئة)
٣- القدرات والموارد (في التنظيم)
٤-الالتزامات (الأهداف)
٥-الاعتبارات الأخلاقية .

وهذه العوامل الخمسة هي ما سنتعرض لـه أساسا في نقاش الاستراتيجية الفلسطينية كما سيلي .

الاستراتيجية الفلسطينية

في علم الإدارة استراتيجيات عدة (بدائل استراتيجية) من الممكن لأي منظمة ربحية أو غير ربحية أن تعتمدها أو تتركها مثل استراتيجيات (التنويع ، التركيز، التمركز، التجديد ، إعادة البناء، ...) وذلك في حالة الاستقرار واستراتيجيا أخرى في حالات النمو أو الانكماش أو الوضع المختلط والذي قد ينطبق على الوضع السياسي للدولة أو التنظيمات أيضا .

في حالتنا الفلسطينية من الممكن أن نحدد -في ظل الوضع الحالي غير المستقر منذ العام ٢٠٠٠ استراتيجيات أو بدائل استراتيجية نابعة من الفرص المتاحة والرؤية والتهديدات الداخلية والخارجية والإمكانيات والأهداف الجامعة والأخلاقيات كالتالي :

١- استراتيجية الانتفاضة الشعبية (البيضاء)
٢- استراتيجية المقاومة المسلحة
٣- استراتيجية المواجهة (وتتضمن الأولى والثانية معا والتحرك السياسي والإعلامي الفاعل)
٤- استراتيجية الإذعان أو الاستسلام
٥- استراتيجية المراوغة والخداع
٦- استراتيجية التسوية

٧- استراتيجية الرد المتزن والتفوق الأخلاقي.

ففي استراتيجية الانتفاضة الشعبية أو البيضاء يكون عبء النضال موزعا على قطاعات الشعب المختلفة كما هو الحال في الانتفاضة الأولى ومسار من مسارات الانتفاضة الحالية حيث يشارك طلبة المدارس والجامعات في التظاهرات ومواجهات الحجر ، وحيث تنظم التظاهرات للفنانين والمثقفين والمعلمين والعمال والمرأة والجماهير عامة كما تظهر مسيرات الأجانب على الحواجز و رصدهم للانتهاكات الإسرائيلية جنبا إلى جنب مع تظاهرات السلام الإسرائيلية وإنهاك الاقتصاد المعادي مع صورة حية متواصلة للجسد المواجه للطيارات . ومن المفيد القول أن الاستشهاد بحد ذاته يؤذن لمسيرة كما تؤذن لذلك صلاة الجمعة من كل أسبوع . إن الدور الإعلامي في الانتفاضة الشعبية والاستراتيجيات أجمع دور متعاظم إذ يشكل نقل كل سكنة وهنّة لكل بيت في العالم تجديدا للقضية ولتظل حية ولا يقفل عليها الستار إضافة للدور الحديث للشبكة العنكبوتية (الإنترنت) التي أصبحت من أركان أو وسائل عمل الانتفاضة الشعبية عبر الموجات .

إن خيار الانتفاضة الشعبية (البيضاء) أي التي لم يخالطها عنف ثوري أو كفاح مسلح كان البديل أو الخيار الأول للفلسطينيين في أواخر عهد رئيس الوزراء السابق أيهود باراك وبداية الانتفاضة ، أما استراتيجية المواجهة تلك التي ترتكز على الانتفاضة الشعبية والمقاومة المنظمة المسلحة والمقاومة الدفاعية وتلك الانتحارية منها الى جانب ما لا غنى عنه من الإعلام والتحرك الدبلوماسي والزعزعة الاقتصادية للخصم وإدامة الحياة الفلسطينية فهي رؤية في ظل الحليف والسند غير المحدود الدعم ، ولكنه في حالتنا غير الموجود .

إن استراتيجية المقاومة المسلحة (الدفاعية والهجومية والانتحارية) باعتبارها لوحدها القادرة على تحقيق النصر تحتاج لقاعدة آمنة وكتائب موحدة وقدرات تسليح لا تنفد ودعم لوجستي وتدريب بشري دائم وخطوط رجعة ودعم إقليمي غير متوفر ، وهذه الاستراتيجية هي ما يخالج فكر عدد من القيادات الوطنية والإسلامية باعتبار أنه لا يفل الحديد إلا الحديد وأن الإسرائيليين لا يفهمون إلا

لغة القوة وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ولكنه في الحقيقة يقابل بنفس الاستراتيجية من غلاة الإرهابيين الإسرائيليين الذين يتفوقون كما وعددا وتنظيما وحرية حركة ..الخ ، والذين يدعون لطرد الفلسطينيين وإعادة احتلال المناطق (أ) وتقويض السلطة وطرد الرئيس ، والتمسك بأرض إسرائيل التاريخية ...الخ .

كان بالإمكان البحث الموسع واستعراض كل استراتيجية والنظر إليها من وجهة نظر حركة (فتح) أو الجهاد الإسلامي أو الجبهة الشعبية ...الخ ، أو من وجهة نظر (رؤية) إطار القوى الوطنية والإسلامية (على ضعف الإطار) أو من زاوية نظر السلطة الوطنية ولكننا آثرنا طرح البديل الذي نعتقده واستنادا لقراءة في فكر الكثير من قادة الفكر والسياسة .

إن الجهات الثلاث وهي السلطة وإطار القوى الوطنية والإسلامية ، وكل تنظيم على حدة تحرك الانتفاضة وتقودها (تقود الجماهير) مجتمعة لمن يلتزم بها ومنفردة لأفرادها ، متكاملة الأهداف والسياقات والتصرفات والأهداف الصغرى أحيانا ومتفرقة في أخرى ، متقاطعة ومنصاعة للتهديدات حينا ومستغلة لفرص ومقدرة لإمكانياتها حينا آخر ، ومبالغة أو متجاوزة لقدراتها المحدودة وفرصها بالنجاح أحايين أخرى ، بتنسيق غير مباشر عبر قراءة الشفاه في التلفزة أو ما بين السطور في الصحف أو بعدم تنسيق مخل إلا أنه في جميع الأحوال لا يمكن القول أن الجهات أو الأطر الثلاث –إن وافقتمونا على قيادتها للجماهير– تجمع على تفاصيل استراتيجية واحدة موحدة ، لماذا ؟

بناء الاستراتيجية

لأن بناء الاستراتيجية يفترض أولا : وحدة الشعب بقطاعاته وتنظيماته ، وثانيا وحدة القيادة أو المرجعية التي كلفت معظم الثورات دما غاليا وثالثا: الركون إلى رؤية وفلسفة وغاية واحدة كما ينطلق رابعا : من ثقة وإيمان وبيعة للقيادة وخامسا : إصرار وصبر وثقة بالنصر أو الشهادة ، وفي العوامل المذكورة

ما يتوفر لدينا ومنه ما لا نراه وعموما فإن صياغة أو اختيار الاستراتيجية وتنفيذها عبر التنظيم قطعا يواجه بأربعة احتمالات هي : إما النجاح أو المشاكل أو المغامرة أو الفشل ، ولتحقيق النجاح فإنه يجب التأكيد على العلاقة التبادلية القائمة أساسا بين صياغة الاستراتيجية وتنفيذها لان النجاح يعتمد على كلتيهما معا ، لهذا يجب صياغة الاستراتيجية بما يسهل تنفيذها باتجاه تحقيق الأهداف المنشودة .

وفي وضعنا الفلسطيني قد يقول قائل -لا أدري كيف ؟!-أن هناك استراتيجية، نعم ، فعليه من الممكن أن نطرح عددا من الأسئلة هذه نماذج منها :

- هل تتوفر جميع الآليات الهيكلية والتنظيمية وتترابط معا بما يتناسب والاستراتيجية المتخذة (لو اتخذت؟) من القيادة الموحدة ؟!
- هل أن التعارضات القائمة في مجالات الأداء الميداني المقاوم أو السياسي او الشعبي أو الإعلامي قد تم حلها بما يتناسق مع متطلبات الاستراتيجية المقررة وتنفيذها ؟
- هل تم توصيل الاستراتيجية أو تبليغها (بشكل مباشر أو غير مباشر، ديمقراطي، سلطوي...) بشكل سليم ومناسب لجميع الأطراف ذات العلاقة - في وضعنا الشعب بكافة قطاعاته ذو علاقة- وخاصة على جبهة المفاوضات والإعلام والميدان .
- هل هناك التزام من قبل قيادة الإطار الموحد-إن وجد- وتأييد وتفهم للاستراتيجية المختارة.
- وهل يتلاءم نمط القيادة أو أسلوبها مع متطلبات تنفيذ الاستراتيجية (من علاقات وتمويل وجهود ...) ؟
- وهل يتوفر نظام للرقابة يوفر المعلومات المرتدة المنعكسة والمطلوبة ؟
- وهل تم التغلب على المشكلات والعقبات والصعوبات الخاصة بالمجالات والأنشطة المختلفة ؟

- وما هو النظام الملائم لتدعيم السلوك باتجاه تنفيذ الاستراتيجية ، وشكل تحفيز الكوادر والتنظيم للقيام بالأدوار أو النشاطات المناطة بهم ؟

وعموما من المكن أن نخلص لقول أن نجاح أي استراتيجية (في ظل وحدة الشعب والقيادة والأهداف والبيعة والثقة) تتحدد بنقاط خمس أيضا هي :

١- الوضوح (في المسؤوليات والأدوار)

٢- الثبات(بأن تكون التغييرات في الاستراتيجية محدودة وفي نطاق القيادة)

٣- التخطيط (التخطيط لتنفيذ الأعمال والمسؤوليات)

٤- التقدم (تحديد سبل قياس مستوى التقدم بوضوح)

٥- السيطرة (وجود رقابة وسيطرة على الأداء)

ودون الخوض في مدى انطباق البناء الاستراتيجي على وضعنا الفلسطيني وبالنظر لمقومات النجاح ننطلق متعرضين لاستراتيجية الرد المتزن والتفوق الاستراتيجي التي نرى- واستنادا لقراءة في طرح كثير من المفكرين والسياسيين- أنها تمثل الخيار الأمثل والواجب اتباعه من قبل القيادة الفلسطينية ، باعتبارها مرجعية النضال بكافة أشكاله منعكسا على التبني من قبل كافة الأطر والتنظيمات السياسية والمدنية في الوطن .

استراتيجية الرد المتزن والتفوق الأخلاقي

كان من الممكن أن نعرض بدائل الاستراتيجيات السبعة المذكورة والنظر في تفاصيلها ومدى تعاطي الجهات الثلاث الفلسطينية معها ولكننا أثرنا عرض مسيرة الانتفاضة كما أسلفنا والتعاطي مع استراتيجية الرد المتزن التي نعتقد أن الجهات الثلاث بدأت تتقدم باتجاهها وإن لم تجتمع لتقرها مع بعض التميزات من حركة (فتح) وكل من التنظيمات الأخرى هذا أولا وثانيا لان صاحب هذا المصطلح هو الأخ هاني الحسن المفكر الفلسطيني الاستراتيجي ذو الرؤية والعمق والتحليل المنطقي وثالثا لأن هذه الاستراتيجية أخذت الجميع -في ظل المتغيرات الإقليمية

والعالمية- ليندفع باتجاهها أو يقتنع بها ويسعى لتطبيقها -ربما كرهـــا للبعـــض- وعليه فإن الاعتبارات الخمســـة للخيـــار الاســـتراتيجي (الفـــرص والتـــهديدات والقدرات والأهداف والأخلاق) تبدو متوافقة مع التوجه لهذا الخيار المتزن .

الفرص

فمن حيث الفرص تبدو حكومة مجرم الحرب شارون في حالة تذبـــذب بيـــن طرفي الحكومة يمينا ويسارا وتتغذى بمدى الانجذاب الفلسطيني للانخـــراط فـــي استراتيجية المقاومة المسلحة وخاصة في وسيلتها الانتحارية مدنية الاســـتهداف ، إذ كلما صعّد الفلسطينيون في هذا الاتجاه قلت فرصهم للتقدم ، واشرأبت الأعنـــاق في حكومة شارون للقول ألم نقل لكم إنهم إرهـــابيون ولا يحـــترمون الحيـــاة أو المدنيين فلنا تطوير حق الدفاع عن النفس ومن ورائنا الولايات المتحدة ، وتبـــدو فرص الاتزان الفلسطيني في المواجهة الميدانية المسلحة المنضبطة للاعتبـــارات الإقليمية والعالمية أكثر قدرة على إدامة مستوى من الحياة للفعل الفلسطيني إلـــى أن يتحقق الهدف بكسر إرادة الآخر ودفعـــه باتجـــاه الانســـحاب . لا ســـيما وإن التوقيت بعد غزوة نيويورك لم يعد يترك مجالا للمناورة واسعا في الكفاح المسلح أو مقاومة الاحتلال . إن تعزيز فرص الفلسطينيين للكسب يتنامى كلما تضـــاءلت مساحة المناورة للإسرائيليين وكلما اقـــترب الموقـــف الأوربـــي مـــن الموقـــف الفلسطيني ، وكلما سحبت الذرائع وكلما اقترب الموقف الفلسطيني الداخلـــي مـــن التوحد حول الوسيلة المتزنة ، وكلما كان الاعتبار للموقف ذو عمـــق فلســـطيني وحدوي . وتتضاءل الفرص الفلسطينية كلما تمزق الشارع وازداد فيه الانفلات أو العصيان ، وكلما خرجت التنظيمات العسكرية باستراتيجيات مناقضة لبعضـــها أو غير متساوقة مع التهديدات المحيطة والمتمثلة بالكثير والصعب .

التهديدات

بلا شك أن الاحتلال هو التهديد الأكبر لأي واضع خطة أو استراتيجية لشـــعب محتل ، ولكن هذا كلام عام ، فالسلطة ترتبط بمعاهدات لم تمزق مـــن الطرفيـــن

بحيث أن النوافذ بين الطرفين مازالت مفتوحة ضمن تفاهمات غير مكتوبة أو منطوقة ، وما زالت الاتصالات السياسية أو إدامتها من أسس استراتيجية السلام الفلسطينية (منذ العام ١٩٨٢، وتأكيدا منذ مؤتمر مدريد ١٩٩١ سقط الخيار الاستراتيجي العربي بالحرب واستبدل بخيار أو استراتيجية التسوية والسلام) ، وما زالت الاتصالات الأمنية تخضع لتكتيكات الطرفين ولكنها مفتوحة الأبواب مهما عانت من جذب وأخذ ورد وتقدم وتراجع إلا أن خيط الربط هو الحفاظ على الحد الأدنى من التزامات الطرفين وإدامة الحياة المتداخلة بشكل أخطبوطي في الوضع الفلسطيني-الإسرائيلي المعقد على الأرض .

إن التهديد الأكبر هو قطع خيوط الاتصال نهائيا مع الفلسطينيين مما يعني وصول اللعبة السياسية-العسكرية إلى نهايتها وانسياح الإسرائيليين لاحتلال المناطق (أ) ثانية وما يعنيه ذلك من تراجع وقتل لكل المنجزات وسحق لأي مقاومة أو قدرة تحرك منضبطة أو متزنة وبالتالي ابتعاد أمل الدولة الفلسطينية لسنوات طويلة أخرى وخروج من استراتيجية السلام (وهي الخيار العربي والإسرائيلي والعالمي للمنطقة) ، والتهديد الكبير الآخر للاستراتيجية الفلسطينية هو خروج فئة فلسطينية تدعو أو تسعى على الأرض لتمزيق الوحدة الوطنية أولا والاتفاقات في ظل التفاوت الواضح في القوة المادية وفي ظل أن كل مكاسب الشعب على الأرض -على قلتها- هي من حصيلة هذه الاتفاقات ، ومنها السلطة الوطنية وبيئة النشاط المقاوِم الذي نما في ظل السلطة الناتجة عن الاتفاقات .

إن الانكسار الوطني ممثلا بالتفتت التنظيمي واستهداف السلطة عوضا عن الاحتلال تهديد قد نراه بعيدا ولكنه محتمل ، ولكن الاستراتيجية السياسية الداخلية يجب أن تُبنى لتجنب مثل هذا التحول بكثير من المرونة والحوار والصبر ، وكذلك الأمر مع استراتيجية الأمن الفلسطيني التي يجب أن ترقب وتلحظ أي انفلات أو تحريض أو انحراف عن الخط العام أو عن الأهداف الجامعة الكبرى منها والصغرى وتمررها للقيادة السياسية لمعالجتها بكثير من الحكمة.

القدرات

إن القدرات الفلسطينية تتمثل بالسواعد والعقول ، تتمثل بالقدرات السياسية والحنكة التفاوضية المكتسبة عبر السنين ، بالقدرات الإعلامية النشطة التي تبرز المطلوب وتشتم الخداع ولا تقبل الإهانة القادمة من استراتيجية الكذب الصهيونية ، أن القدرات الفلسطينية لا تصنع دبابة (ميركافا٣) ولا تصنع طائرات (الأباتشي) أو (إف١٦) ولكنها قدرات صلابة الإرادة والتاريخ الحافل بالعطاء والنضال والشهادة . إن صبر الجماهير قدرة متميزة وتحمل القتل والعذاب والإهانات والسجن والتعذيب قدرة جبارة يسندها الاجماع العام والرغبة في التحرر وبشائر الأمل التي إن فقدت كلت الجماهير وفترت عزيمتها ولكلٍ مستوى من الاحتمال يجب ألا يصل أو نوصله حد الانكسار .

إن الفعل الشعبي الانتفاضي والقدرات الفلسطينية الميدانية المتمثلة بالمقاومين المسلحين الذين قد لا يزيدون –بحسب الصحف العبرية– عن ٣٠٠٠ مجاهد أو مقاوم قدرات عزيزة ولكنها ليست أبدية في ظل نقص فظيع من التواصل الأفقي والرأسي والاتصال المعلوماتي والجغرافيا والإمداد والإعداد وعدم وجود الرؤية الموحدة ،وضعف التواصل مع أفكار القيادة السياسية وعلى رأسها الرئيس القائد ياسر عرفات . إن مثل هذه النواقص تشوش الفعل وتربك التوجيه وتضرب التوقيت وقد تضر الأهداف، وكلما تعددت الأهداف وكثرت الأطر التنظيمية وتشتت المرجعيات نمت جرثومة التنازع ،فتبعثرت القدرات وقلت النتائج الإيجابية المتوقعة وبالتالي نكون قريبا من حصاد الريح والانكسار.

الأهداف

إن الأهداف أو الأفكار التي تُملي نفسها على اتخاذ القرار الاستراتيجي أو اختيار الاستراتيجية من البدائل المطروحة كخطط طويلة الأمد تحكم التصرفات والقيم ونماذج الفعل بما يحقق استقرارا في البيئة. هذه الأفكار المنتشرة فلسطينيا

على مساحة الديمقراطية الفلسطينية القائمة من الطرف الى الطرف ولــدى كافــة القطاعات والتنظيمات السياسية التي تفكر بعضها بالمنطق التاريخي فقط فلا تـرى حلا إلا بالتحرير الكامل لأرض فلسطين التاريخية أو بالمنطق الأيديولوجي الــذي يرفض القدم الأخرى أو بالمنطق القضائي الذي لا يرى الحق إلا من صوبــه ولا معنى لمهادنة الباطل مطلقا ومن يقوم بذلك آثم وزائل ، أو بالمنطق الفلسفي حيث حتمية انتصار المناضلين ودعاة الحرية والعدل على الاحتلال الــذي إلــى زوال مهما طال الزمن ، ولكن منطق التفكير الواقعي بعد ١٧ شــهرا مــن الانتفاضــة والمواجهات بدأ يصبغ مواقف غالب تنظيمات التطرف الفلسطيني ، رغم ظــهور أصوات كثيرة تحاول أن تهز صورة هذا النمط من التفكير السياسي الواقعي (فــي ظل ضرورة بقاء أنماط التفكير الأخرى كعامل تعبوي وتحريضــي مســتقبلي) . إذن فالأفكار على تعددها والمستمد منها في صورة غايــات وأهــداف أصبحــت تتقارب وتتساوق في بناء غاية النضال الحالي بإزالة الاحتلال والعــودة لحــدود الرابع من حزيران ورحيل المستوطنين وتفكيــك المســتوطنات وحــل مشكلة اللاجئين ، وكلما زادت التفاصيل أو برزت الأهـــداف الصغــرى كلمــا ظــهر الاختلاف الفلسطيني في القبول أو الرفض لمساحات الانسحاب وشكل الســيطرة على القدس وتبادل الأراضي والسيطرة على المياه ... الخ ، وكلما ظهر الخــوف من آليات التفاوض واحتمالات الخديعة التي تميز سياســات معظــم الحكومــات الإسرائيلية .

إن استراتيجية الرد المتزن لا تسقط المقاومة بل تدعمــها مــا دام الطــرف المقابل يشد المنطقة نحو العنف ، وفي أهداف الاستراتيجية مرونة التحرك نحــو تنشيط أو تجميد أو وقف المقاومة بمقدار جدية التحــرك نحــو الانســحاب مــن أراضينا وتحقيق الاستقلال حتى لو كان التجميــد أو الوقــف بمســميات وقــف التشكيلات غير القانونية أو غير الشرعية .

أن الوعي بالقدرات وحجم التهديدات وطبيعة الفرص المتاحة والتوقيت الــذي بدأ ينفد يصب في اتجاه تطويع السياسة للأيديولوجيات بما يحقق تنــاغم الغايــات

المحددة في بناء استراتيجية الرد المتزن والتفوق الأخلاقي سواء على الصعيد الميداني أو الإعلامي أو السياسي .

التفوق الأخلاقي:

لا حرب بلا أخلاق وإلا أصبحت صراع ثيران ، والسياسة بلا أخلاق غابة يتفوق فيها القوي ماديا فقط مع التحرك الحثيث نحو الهاوية ، وفي تاريخنا العربي الإسلامي عديد الأمثلة التي تؤكد ارتباط الاستراتيجية (سواء كانت إستراتيجية حرب أو سلام أو عهد) بالأخلاق ، ففي الفتوحات كانت أخلاق الفاتحين عدم قتل الشيوخ والنساء والأطفال والمتعبدين والمدنيين ، وعدم تدمير المرافق العامة وعدم إيذاء الحيوان والشجر ....الخ، وفي عهد السلام كانت الحماية والأمان والاستقرار يشمل الجميع من مسلمين وغيرهم من أصحاب الكتاب أو غير ذوي الكتب السماوية أيضا . وهكذا الأمر في الانتفاضة الحالية التي لا يمكن أن تثمر وتتطور وتصنع أنموذجا ورأيا إقليميا وعالميا إلا بالتفوق الأخلاقي المتعاضد مع عدالة القضية وإرادة المقاتلين ، وبالتالي مع حدود وشكل وطبيعة وتوقيت الرد الميداني أو اختيار الخطاب السياسي والإعلامي المتزن ، وعلى الصعيد الميداني باعتباره مثار الخلاف الأكبر فإن اختيار الاستراتيجية بالتفوق الأخلاقي يستدعي عدم التعرض للمدنيين الإسرائيليين وهو ما آلت إليه المواجهة أخيرا ، ويستدعي اقتصار الحركة في الميدان ضد الإرهابيين والعسكريين في الضفة والقطاع ، وبسواعد أبناء فلسطين في الضفة والقطاع فقط ، وبخلفيه احتمالات التنشيط أو التجميد أو التوقف من عمق التفهم لرؤية المحيط الذي يرسم معنا جزء كبير من صورة الصراع بل ويتحكم به .

المناورات

ان المواقف التي تضع فيها الخصم في حالة من الإحراج أو التجمد أو الدفاع لو وافق أو رفض هي مناورات استراتيجية يطبقها جميع الخصوم ويبرع فيها الكثيرون ، فلقد كان إعلان الرئيس عرفات لأكثر من ٣ مرات وضمن فرص

وتقديرات وتوقيتات محددة (شهر ٢٠٠١/٦ وفي ٢٠٠١/١٢/١٦ وفي ٢٠٠٢/٢/٢١) لوقف إطلاق النار في محاولة جادة وحقيقية لتهدئة من جهة ولسحب الذرائع بالعدوان الطاغي ولتخفيف الضغط العالمي من جهة أخرى ، ولتجنيب الشعب والبلاد ضربات قاتلة ومتواصلة ، وأيضا كمناورة تضرب الائتلاف الحاكم في إسرائيل الذي لو وافق أو رفض سيتفتت أو حتى لو اعتبر أن وقف إطلاق النار غير كاف سيؤدي لزرع الشقاق في الحكومة من جهة وبينها والشارع الذي بدأت أصوات السلام فيه تعلو وتصخب ، لهو مثال حي على المناورات . إن التكتيكات أو التصرفات أو الوسائل المتخذة لخدمة الهدف العام أو المناورات في الاستراتيجية يجب أن تصاغ وتطلق في الوقت المناسب داخليا وخارجيا (مثال: إعلان وقف إطلاق النار بعد عملية مرقص الدولفنيريوم في شهر ٢٠٠١/٦ تلك العملية التي أثارت ردودا عالمية سلبية وكانت تنذر بتطورات خطيرة) .

لقد اتبع شارون على سبيل المثال استراتيجيات وتكتيكات مختلفة منها القتل والاقتحام وتشديد الحواجز والاغتيالات ضمن استراتيجية الضغط على السلطة لتركيعها وتحقيق استسلامها الكامل ، واستخدم إضافة للأساليب المذكورة عددا من التكتيكات الذكية مثل نصب الفخاخ والاستدراج لردود فعل المقاومة كما كان يحصل في استجلاب ردود على اغتيالات واقتحامات بالتوقيت المناسب له مع زياراته إلى الولايات المتحدة محققا كسبا داخليا وخارجيا (خاصة أمريكيا) وقد نجح في ذلك أيما مرة ، ولكن استراتيجية الضغط واستراتيجية الخداع مهما حققت النجاحات التكتيكية منكسرة في المدى الطويل ، ومحققة انتصار إرادة الاتزان والأخلاق والعدالة.

التنظيم والاستراتيجية

إن تكتيكات المقاومة في الاستراتيجية المتزنة اتخذت ويجب أن تستمر في اتخاذ أساليب :

-الانحناء حين اشتداد الهجمة وهبوب العاصفة وصعود الجبال محملين بالأثقال .
-تغيير الأهداف الصغرى ، فمن الممكن تغيير أماكن النشاط والمستهدفين ومن الممكن إلغاء النشاط كليا ما دامت الأهداف الكبرى (الغايات) في مجرى التحقق
-التقدم او التراجع : بإظهار المرونة السياسية مثلا تجاه تصريحات جهة إسرائيلية دون غيرها ، أو التقدم بالفعل الميداني على جبهة دون غيرها ، أو تلميع صورة إعلامية لشخص دون آخر ...الخ.

وغير ذلك من السبل أو التصرفات والمناورات التي يجب أن تخدم أهداف الخطة العامة وتحقق السير نحو الكسب من جهة ، ومن خلال التنظيم المتماسك . التنظيم الذي بدونه لا يمكن لاستراتيجية أن تُفرض أو لخطة أن تنفذ أو لمعركة أن تدور أو لفعل أن يتحقق أو لضغط أن يّمارس ، أو لفرص أن تقتنص أو لراية أن تّرفَع أو لنصر أن يتحقق . إن التنظيم هو قناة التناغم في الأداء وهو صوت الاستراتيجية ويد القيادة الضاربة .

إن التنظيم يظل عفيّا بوحدة المرجعية وقوة الهيكل وانضباط القنوات التي يجب أن تبقى متواصلة ومفتوحة ومترابطة بين كافة أجزائه في علاقات قد تتخذ العلنية أو شبيهها أو السرية ومع المرجعية الواحدة أو القائد الذي يقود نضالا شرسا متواصلا في استراتيجيات قد تتغير من مجموع البدائل ، وقد تستقر في إطار استراتيجية الرد المتزن والتفوق الأخلاقي التي يجب أن تحكم إطار فعل وقدرات وتصريحات ومواقف وأفعال الجميع .

العمليات الفدائية بين الأيديولوجيا والسياسة.

الأسطورة وحق القهر

لا أحد يختلف على أن العدوان الصهيوني المتواصل ضد شعبنا الفلسطيني البطل نابع من سياسة إقصائية عنصرية فاشية ميزت اليمين الإسرائيلي والمتطرفين اليهود الذين يرغبون في إفناء الآخر أو تدميره أو إضعافه ، وصولا به إلى حالة يصبح فيها عبدا طيّعا في بيت السيد الواحد الأحد الذي وهبته "أحلامه" والسماء ميزة السطوة والسيادة وقهر الآخرين ، الذين لا ينظر إليهم إلا كغرباء أنجاس أو طارئين وأشرار ، وحديثا كمخربين وإرهابيين لا حق لهم في الأرض كما لاحق لهم في الهواء والماء ، وتنسم زهرة الحرية ، إلى الدرجة التي اصطف فيها اليمين المسيحي-الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الإدارة الأمريكية إلى جانب الطروحات اليمينية الإسرائيلية ، التي تمزج بين الأسطورة وإرهاب الدولة ، وبين الأكاذيب التاريخية والوعد الإلهي المشروط ، وبين "حق" المحتل بقهر الجماهير الرازحة تحت الاحتلال بدعاوى فارغة وساقطة قانونيا وأمميا ، ووصم مقاومة الاحتلال بالإرهاب بما لم تقره شريعة سماوية أو إقليمية أو أممية .

روبنشتاين وليبوفتش

لا أحد يختلف على أن الحكومة الإسرائيلية الحالية هي حكومة حرب متواصلة ، وحكومة إقصاء وطرد و"ترانسفير" وعنصرية بغيضة ، وللراغبين في الاستزادة مراجعة مئات التصريحات للساسة والعسكريين والمتدينين وأعضاء الكنيست تلك التصريحات المعبرة عن عقيدة سياسية فاسدة وعن انعدام خلق في التعامل وعن شوفينية وحقد عز نظيرهم في هذه الدنيا ، وليس فيما قاله عضو الكنيست الإرهابي المتطرف (أولري أرئيل) الذي طالب بقانون يعاقب فيه الانتحاري بالإعدام و ٢٠ عاما سجن لكل من يسانده وتفكيك المنظمة ، ومصادرة

ممتلكات وطرد أسرة الانتحاري ، أو ما قاله زميله (تسفي هنـــدل) الــذي قــدم مشروعا يقضي بتهجير أسر الانتحاريين وهدم منازلهم والذي أصبح مطبقا منـــذ ٢٠٠٢/٨/١ حين أقر (إلياكيم روبنشتاين) المستشار القضائي للحكومة الإسـرائيلية بالتهجير والهدم لبيوت عائلات الفدائيين مما أخـــرج الصيحـــات مـــن الحنـــاجر والورق إلى حيز التنفيذ سما زعافا وحقدا أسودا وعنصرية فاقت تصرفات البيض في جنوب إفريقيا ، ليس في كل ذلك إلا مثالا صارخا على ما نقول ويراه العـــالم يوميا

والكلام في هذا الباب أُلّف حوله الكثير من الكتب وكُتِـــب عنـــه مئـــات التقارير والمقالات وخاصة في ظل الانتفاضة الحالية ، بل ومن كتّاب إســـرائيليين متنورين ، ومن دعاة سلام إسرائيليين خبروا التطرف فأدانوه ، ووعوا صعوبـــة التعايش والندية وثقافة السلام في ظل النظرات الاستعلائية ، ونظـــرات النبـــذ ، والسادية ، والفاشية الإسرائيلية (أو ما أسماها البرفسور اليـــهودي الأســـتاذ فـــي جامعة القدس (يشعياهو ليبوفتش) النازية- اليهودية) التي أصبحت من مشمولات الشخصية الإسرائيلية اليمينية المتطرفة (أو المنحرفة كمــــا ســـماها البرفســـور ليبوفتش)

المنظار الأيديولوجي والماء المقدس

نقول ذلك لندخل إلى صلب الموضوع المعنون به المقال كي لا يظن ظان أو يدعي مدعي أننا ننظر من واقع استسلام أو هيبة ، أو من واقع عدم وعـــي أو رهبة ، أو من يأس أو وهن ، أو عدم قدرة على تشخيص الآخر ، وعليـــه فإننـــا ومنذ البداية حددنا الرأي الواضح بالكيان الصهيوني ونزيد فنقول أن فهم العمليـات التفجيرية _ وكان لنا فيها إشارات ضمن بحث بعنوان استراتيجية الـــرد المـــتزن والتفوق الأخلاقي_ يدخل في ذهن الجماهير في منطقة الالتباس بيـــن مـــا هـــو أيديولوجي وما هو سياسي ، فعندما يطلق عليها صفة الاستشـــهادية تكـــون قـــد

أُخضعت للمنظار الأيديولوجي العقائدي ، مما يجعل من معارضتها أو اتخاذ رأي آخر أو مخالف بشأنها يتم تصويره وكأنه مخالف للأيديولوجيا والعقيدة ، ومن هنا يطغى سلطان الإرهاب الديني وتخلق ديكتاتورية الكلمة ويتفوق منطق احتكار الصواب الممزوج بالماء المقدس ، والذي حدا بأحد المتحاورين ذوي الرؤية الشاملة المطلقة _كما يظن نفسه_ إلى رفض المقابل له إلا متى عبر عن هذه العمليات باسم الاستشهادية ؟؟

أسلوب لا غاية

إن هذه العمليات في الحقيقة أسلوب وليست هدفا ووسيلة وليست غاية وسببا وليست نتيجة ، وفي الكفاح أو الجهاد أو النضال أساليب ووسائل ، أساليب تتنوع وتتعدد وتتواصل وتنتهي حسب المصلحة الوطنية لا الأيديولوجية ، لأن السياسة هي القدرة على إدراك الجديد والمتغير كما يقول المفكر هاني الحسن ؛ وهي فن تحقيق المآرب والأهداف ، والأهداف صيغ ممكنة لا خيالات وآمال على أهميتها في التعبئة ، والصيغ الممكنة ترتبط بالقدرات ، والقدرات محكومة بالبيئة الداخلية والمحيط الإقليمي والعالمي ، والبيئة لا تعمل في العالم _ واليوم أكثر من أي وقت مضى _ وفق العدل والحق ، وإنما وفق المصالح والقوى ، وقوانا اليوم كأمة عربية أو إسلامية ليست موحدة أو موجهة ، وليست بقادرة وفق ذلك أن تحمي قضيتنا العادلة وحقنا المسلوب ، لذلك وجب علينا التوقف والتأمل والتفكير جديا بالجدوى من أي خطوة نخطوها أو قرار نتخذه في ضوء الأهداف السياسية وفي ضوء النتائج .

فتوى وتفجير

إن العمليات الفدائية أو التفجيرية لها من المؤيدين في الاجتهاد والفتوى الإسلامية كما لها من المعارضين ، وعليه وجب النظر إليها من زاوية الفكر

والسياسة لأنها في النطاق الشرعي لها من يجيزها ولها من يحرمها ، وليس لنا في هذا الباب مدخل فنحن لا ندعي الاجتهاد مطلقا بل ولا نمتلك شرائطه و أدواته فهذا الباب له علماؤه الأجلاء ، ولكن في تعدد الاجتهادات باب من أبواب النظر في الموضوع ليس من الزاوية الأيديولوجية العقدية وإنما من الزاوية المصلحية الوطنية السياسية .

ولهذا فإن الصفة الاستشهادية يصبح التوقف عندها مطلوبا خاصة لجهة من يدفع باتجاهها ولا يمارسها بنفسه أو أبنائه ، وبالتالي الانطلاق للتعامل مع القضية ليس في ضوء الأفكار السماوية وإنما الأفكار الأرضية الإنسانية التي نقدر عليها .

عوامل اختيار الوسيلة

إن الدفاع عن الوطن واجب ، والمقاومة حق للشعوب والنضال بكافة أشكاله أو أي من أشكاله مطلوب لدحر الاحتلال ، ولكن اختيار الوسيلة دوما مرتبط بعوامل ستة هي :

١- القدرة
٢- الأهداف
٣- التوقيت
٤- العوامل البيئية
٥- القيم
٦ - الشرعية..

وإن توفرت القدرة على النضال بشكل من الأشكال أو لدى طرف أو أكثر وانطلقت الإرادة من سجن القدرة في ظل الأهداف المقررة أو الأهداف السياسية (والتي قد نختلف عليها كأيديولوجيين وأصحاب النظرة السياسية الواقعية) فإن التوقيت عامل هام وهو كما لا أظن الجميع غافل ليس في صالحنا وخاصة مع

الاستكبار الأمريكي المعولم الذي يشهر سيف الحرب على الإرهاب ويشن حملته " الصليبية" الجديدة كما ذكر الرئيس الأمريكي جورج بوش ضد العرب والمسلمين ، ونحن في ظل تعدد الأهداف وعدم الاتفاق على الهدف السياسي المرحلي (كما بدا واضحا في الحوارات الأخيرة بين فصائل العمل الوطني التي عانى بعضها أو بعض من أعضائها من الخلط الأيديولوجي والتاريخي والتعبوي والسياسي) وبالتالي انعدام الاتفاق على سياسة المرحلة وبرنامجها وقيادتها الموحدة نزداد ضعفا ، وفي ظل توقيت أسود نحن فيه خاسرون على أكثر من صعيد .

الفرسان والعوامل البيئية

أما عن العوامل البيئية وخاصة الإقليمية فالأمة وفق نمط التفكير التاريخي أو الفلسفي أو حتى الاستهلاكي الفاسد لا تنظر في المدى المنظور لخوض حرب ضد إسرائيل أو أمريكا ، ولا تحتسب ليوم يوحد فيه صلاح الدين المشرق والمغرب ليخوض حربا عالمية ضد ممالك الفرنجة الذين حكموا العالم آنذاك ويحكمه اليوم دولة الاستكبار المعولم . كما أن التيار المتشدد في الأمة العربية والإسلامية لربما لم يدرك أن الحرب على ممالك الفرنجة وصلح الرملة معها أبقى على ممالكها في الساحل الفلسطيني واعتُرِف بها ولم تزال إلا بعد ١٠٠ عام على يد الأشرف قلاوون ، مما يعني أن حكمة صلاح الدين كانت في نظرته السياسية التي وعت الظروف فحددت الغايات وفق القدرات وحافظت على الشرعية النضالية ، وغيرت العوامل المحيطة ، فجعل من الصلح هدفا وتحقيق التسوية إثر وحدة الأمة مبتغى ، وعمد لإبقاء شعلة الثورة والجهاد في خلفائه بعدا تعبويا تاريخيا أيديولوجيا وليس سياسيا ، فهو سياسيا وفي مداه الزمني ومرحلته وعى حجم المخاطر مع استمرار الحرب العالمية التي خاضها ، فوضع أهدافا قابلة للتحقيق ، وتحلى بقيم الإسلام السامية في الحروب وقيم الفرسان حين النزال

رغم نذالة المحتل الإفرنجي ومذابحه ، وحّد وناضل وصالح ، ولم يرسل أحدا من عناصره لا هو ولا من سبقوه ليفجروا أنفسهم في الأعراس والنوادي أو البارات في القدس أو حيفا .

عمليات إرهابية ؟!

إن امتلاك القدرة وشرعية الأهداف لا يسبغ بالضرورة شرعية على الفعل أو الوسيلة ، الذي يحتاج لشرعية القضية وعدالتها كما يحتاج لشرعية النظام وللشرعية الإقليمية والعالمية خاصة في ظل اختلال الموازين وتفتت القوى ، والتي لا نمتلكها الآن في ظل السخط العالمي وحتى العربي والإسلامي الرسمي ، والصورة الأحادية التي تُرسم للعمليات التفجيرية ضد المدنيين باعتبارها عمليات "إرهابية" خاصة بعد أن وقع تصنيف هذا الفعل كذلك ولا شيء غيره بعد تفجيرات نيويورك وواشنطن والتي أتاحت المجال لوصم كل العالم العربي والإسلامي بالإرهاب ، والإرهاب الحقيقي هو إرهاب الدولة الإسرائيلية والاستكبار المعولم ، كل ذلك يحتاج منا إلى رؤية جديدة وأساليب جديدة لا نخسر فيها قضيتنا، ونستطيع تحقيق أهدافنا، ولا نخسر العالم من حولنا، هذا الحال والوسيلة متغيرة و إمكانية تحقيق الهدف يجب أن يكون المعيار .

أبوبكر و قيم الوسطية

أما عن القيم وهي ما لدينا وما يميزنا كعرب وكمسلمين وكمسيحيين فهي ما يلفظ التطرف ويرفض التشدد ، ويعلي من شأن الوسطية والحوار ، وديننا الإسلامي الحنيف وصف الأمة بالأمة الوسط ، ولا أظن من يفتي أو يجتهد اليوم بأفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي أعلى من شأن القيم عندما سن أول قانون محدد للجهاد يمنع قتل المدنيين وقطع الشجر والتعدي على العزل ، ما تساوق مع خلق القرآن الكريم ، والرسول صلى الله عليه وسلم الذي منع جهاد

الأطفال معه كما فعل مع حبيبه زيد بن ثابت ، وليس كما فعل البعض الذي يجب أن يُساءَل ويُحاسب حينما غرروا وزجوا بأحد عشر طفلا في أتون العمليات الاستشهادية في غزة ، والذي منع قتل النساء والصبيان من الأعداء على سبيل المثال حيث قال عبد الله بن عمر : وجدت امرأة مقتولة في بعض المغازي فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان .

فالذي نقوله أن للحرب والجهاد بشقه العسكري أو الذاتي قيم ، وقيم سامية _تناقض قيم الوحشية والعدوان والفاشية الإسرائيلية_ وبغض النظر عن أدلجة العمليات بين استشهادية غير قابلة للطعن بل ويشتم أو يكفّر بمن هو قائل غير ذلك ، أو انتحارية أو تفجيرية أو فدائية ، وعن رأي البعض القائل أن اللجوء لهذا الأسلوب اضطرارا أو انتقاما أو باعتباره الأسلوب المتاح في ظل انحسار الخيارات أو الوسائل الأخرى ، أو باعتباره الأسلوب الأسهل والأكثر قتلا ، فإن التحلي بقيم التسامي والتعالي والقطيعة مع أساليب الاحتلال يصبح سمة تتكامل مع العوامل الستة للأسلوب .

خطأ أدلجة السياسة

إن تسييس المعتقدات أو الأيديولوجيا خطأ يضر بأركان التعبئة الطويلة الأمد والغايات ، كما أن أدلجة المصلحة الوطنية في ظل المرحلة المنظورة خطأ سياسي قد يجند الكثيرين في متاهة الانحراف أو صعوبة التراجع ، وهو ما لم ينجرف في أتونه حزب الله اللبناني الذي أوقف العمليات من جنوب لبنان بكافة الأساليب استنادا لتفاهمات السلطة اللبنانية مع إسرائيل ومؤثرا المصلحة الوطنية على المصلحة الحزبية ، ولم ينجرف_ أو لن ينجرف_ فيه التيار الوطني والإسلامي الفلسطيني الغالب كما أظن ، و الذي نرى وعبر مختلف الحوارات نظرته المتطورة والمتغيرة لتبني أو عدم تبني العمليات من زاوية الواقع والعوامل

المؤثرة والمصلحة الوطنية التي ستقضي باتخـــاذ الـــرأي الصـــائب والأســـاليب الأفضل في المقاومة وتواصل الانتفاضة حتى تحقيق الدولة الفلسطينية المستقلة .

الانتفاضة تحطم النسيج السياسي
الاقتصادي في إسرائيل

أصبح واضحا للعيان أن الانتفاضة الفلسطينية الباسلة تجذرت في حركة الحياة اليومية الفلسطينية حتى أصبحت فعل صمود وتحدي في وجه البطش والقمع ، فعل تجاوز لمعاناة يومية لا يتحملها إلا ذوي الهامات العالية ورجال الصبر وأمة المرابطين الذين لا تثبط عزائمهم النكبات ، ولا تحني ظهورهم الويلات ، ولا تزيدهم أعمال العدوان والقتل والإرهاب والأسر والحصار والتضييق الفاشي الإسرائيلي إلا شموخا وتمسكا بخيار الفلسطينيين الأساسي وهو إرادتهم وعزيمتهم وإيمانهم وتواصل الانتفاضة ، موجة إثر موجة تستلهم التاريخ وتقرر المستقبل وتمضي بكافة فئات العمل الجماهيري نحو النصر .

إن الانتفاضة الفلسطينية الباسلة قد أثرت بشكل كبير في النسيج الإسرائيلي اجتماعيا وسياسيا ونفسيا واقتصاديا ، فلقد استطاعت أن تعيد تركيب الخريطة السياسية وتسحق أحزابا كانت بارزة في المشهد السياسي مثل حزب العمل صاحب التاريخ الطويل والصدارة لعهود طويلة ، الذي تحول إلى ذيل للحكومة الحالية أو حزب هامشي في ظل تنامي اليمين المتطرف ، ومثل حركة (شاس) التي تحولت إلى أضحوكة عقب إقالة شارون لوزرائها ثم إعادتهم استنادا لدورهم في التصويت على الخطة الاقتصادية للحكومة ، حتى أن الناخب الإسرائيلي في آخر استطلاع للرأي (١) عارض عودتهم للحكومة والائتلاف بنسبة ٥٨% في نفس الاستطلاع الذي دحرج حزب العمل وبن اليعزر عن الخريطة ، حيث حصل مقابل شارون على ١٨ % فقط .

لقد قضت الانتفاضة الباسلة على الأحزاب القلقة والأحزاب الخجلة من السلام وطوحت بها وبدأت تخط رسما جديدا في الخارطة السياسية يتيح بقوة لظهور أحزاب جديدة وتيارات جديدة ستقضي على كثير مما ساد في عهد باراك و شارون .

كما أن الانتفاضة الباسلة قد أدمت الاقتصاد الإسرائيلي ، وأوجعت بنك إسرائيل إلى الدرجة التي جعلت الكنيست يصادق بأغلبية ٧٤ مؤيدا مقابل ٢٨معارضا على تقليصات الميزانية التي طالت الوزارات ، ورفعت القيمة المضافة وخفضت مخصصات التأمين الوطني ، في ضربة للناخب الإسرائيلي المتضرر على كافة الصعد نتيجة سياسة حكومته الإرهابية الحادة ضد الفلسطينيين ، والمنعكسة سلبا على طريقة عيش الإسرائيليين بحيث عبر ٧٠ % منهم عن عدم رضاهم عن أداء شارون في المجال الاقتصادي الاجتماعي (٢) ، وفي استطلاع أخر لمعهد داحف مع يديعوت أحرونوت قال٦٨% أنهم لا يثقون بأداء وزير المالية في المجال الاقتصادي وهم أنفسهم قالوا أن قيادة شارون الاقتصادية لا يثقون بها بنسبة ٦٧% ، وألحقت العينة في الاستطلاع الأول ذلك بالقول أنه لا يوجد لشارون خطة اقتصادية بنسبة ٦٣%وأنه لا يقلق على الفقراء بنسبة ٦٨% بل وأنه لا يستطيع إحلال السلام بنسبة ٧٠% ، وأنه لا يقود إسرائيل لمستقبل أفضل بنسبة ٤٨% رغم إقرارهم بتشدده إزاء الفلسطينيين وإخلاصه لإسرائيل وقوته كما أفادوا ، بحيث أن جميع ممارسات هذا الزعيم القوي الشرس والعدواني والذي لا يمتلك نهجا كما يقول أبناء جلدته لم تفت في عضد الشعب الفلسطيني البطل ، بل أوجعت الإسرائيليين الذين عبروا عن سخطهم وعدم ثقتهم بالسياسة الاقتصادية لحكومتهم ولشارون

إن الانتفاضة الباسلة أوجعت بنك إسرائيل أيضا إلى الدرجة التي حدت بالدكتور (ديفيد كلاين) محافظ بنك إسرائيل إلى تقديم خطة (٣) تعزل الشؤون الأمنية والخارجية عن الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بإقتراح تشكيل مجلسين وزاريين منفصلين لأنه كما يقول " اعتقدنا أنه أصبح هناك إجماع وطني يحول

دون تكرار أخطاء ارتكبناها سابقا فيما يتعلق بإدارة الشؤون الاقتصادية ، إلا أننا بدأنا نشعر في مطلع القرن الواحد والعشرين بالسوء ، ومنذ سنة ونصف الأخيرة ونحن نسلك طريقا غير صحيح " ومن أين له مثل هذا الشعور ، وما سبب ولوج الطريق غير الصحيح إن لم يكن بسبب المتغير الرئيس والكبير هنا ممثلا باستمرار الانتفاضة الجماهيرية العارمة ، وسياسات شارون الإرهابية الحمقاء .

لقد تكبد الاقتصاد الإسرائيلي خسائر بلغت ٦،٥ مليار دولار جراء الانتفاضة الباسلة (٤) خلال الشهور التسعة عشر الماضية ، ولا يستبعد المحللون انهيار الاقتصاد الإسرائيلي في حال توقف الدعم الأمريكي ، وتشير كل المؤشرات الاقتصادية إلى أن هناك تراجعا في معدلات النمو والاستثمار وارتفاع معدلات البطالة وتزايد عجز الموازنة وانخفاض قيمة الشيقل الإسرائيلي ، وحيث سجل الاقتصاد الإسرائيلي أسوأ نمو في تاريخ إسرائيل العام الماضي حيث سجل ٠،٦% وبلغ الانخفاض في السلع والخدمات الإسرائيلية ٣ مليار شيقل ، إضافة إلى أن التوقعات(٥) الاقتصادية لنسب النمو في الناتج المحلي للعام الحالي ٢٠٠٢ تقدر حسب محافظ بنك إسرائيل بصفر في المائة أو أقل مضيفا أن أي نمو أقل من ٢% في إسرائيل يعتبر ضعيفا لأن معدل الزيادة السكانية يتجاوز ٢% ؟؟!

لقد توقع الكتاب الإسرائيليون فقرا قادما وأجورا منخفضة وبالتالي السير في طريق ملئ بالألغام الاقتصادية لا سيما ونسبة البطالة في الربع الأول من العام الحالي ٢٠٠٢ شهدت ارتفاعا كبيرا وصل إلى ٦ ,١٠ % كما تقول يديعوت أحرونوت (٦) بحيث انضم ٤٤ألف شخص جديد الى دائرة العاطلين عن العمل في إسرائيل.

لم يستطع الإسرائيليون ولن يستطيعوا أن يغفلوا حقيقة الحتمية التي تسير باتجاهها الدولة الفلسطينية مهما كثرت الصعوبات أمام الفلسطينيين ومهما تكاثفت الغيوم حيث يقول شمعون شيفر في يديعوت أحرونوت (٧) إن إسرائيل تقترب (من اللحظة التي سيطلب فيها الحسم في سؤال فضلت تجاهله طوال عقود من التواجد في المناطق : متى وبأي شروط ستنسحب) ، مضيفا أن (الإنجاز

الأساسي للعشرين شهرا من الانتفاضة الفلسطينية التي كشفت ألعجز الإسرائيلي في إيجاد حلول مرضية هو طرح مسألة إنهاء الاحتلال بقوة أشد على جدول الأعمال العالمي) ، وعليه ماذا يمكن أن يقول زعيم حزب يحاول جاهدا تركيع الفلسطينيين عبر ضربهم بيد من حديد ، وباليد الأخرى لا يستطيع أن ينكر حتمية إقامة الدولة الفلسطينية كما يقول بن أليعزر ، رغم ما يضمن تصريحاته من أكاذيب للاستهلاك المحلي .

ورغم تذبذب الناخب الإسرائيلي القلق على حياته ومعاشه والمشتت بين الموافقة على مبدأ دولتين لشعبين من ٥٣% إلى ٥٧% في استطلاعين متتاليين ، وبين ٢٥ % فقط يؤيدون الدولة الفلسطينية في استطلاع آخر (٨) ويعارضون العودة لحدود ١٩٦٧ بنسبة ١٦ % ، وبين تراجع في شعبية شارون من ٥٩% الى ٥١% حسب استطلاع لصحيفة معاريف نشر في ٢٠٠٢/٦/٢١ ، ما يجعلنا نطيل الوقوف والتأمل والخروج باستنتاجات و قراءات تصب حتما في صالح الانتفاضة وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة في النسيج الإسرائيلي .

إن الساسة الإسرائيليون والنسيج الإسرائيلي يقف على عتبة متغيرات سياسية كبيرة قد تغير خريطة الأحزاب والمصالح والقوى المؤثرة في المجتمع وانتخابات الكنيست القادم وبالتالي في طريقة النظر للصمود الفلسطيني والعنفوان الوطني، ومتغيرات اقتصادية واجتماعية كبيرة في المجال الإسرائيلي خلخلت المستقر وعبثت في التوازن مما تنبه لها عدد من الكتاب والمؤرخين والساسة والاقتصاديين وكان عاملها الرئيس والواضح الإشراق الفلسطيني والوحدة الوطنية والالتفاف الشعبي ، والانتفاضة الباسلة المنتصرة بإذن الله .

الهوامش:

١- استطلاع ماركت ووتش مع صحيفة معاريف ٢٠٠٢/٦/٧

٢- نفس الاستطلاع السابق

٣- يديعوت أحرنوت ، عيدان غريناوم ، خطة محافظ بنك إسرائيل ٢٠٠٢/٦/٨

٤- سامي مقداد ، الانتفاضة وتأثيرها في الاقتصاد الإسرائيلي ، الحياة، ٢٠٠٢/٦/١٤

٥- المصدر السابق .

٦- يديعوت أحرونوت ، ٢٠٠٢/٦/٨

٧- يديعوت أحرونوت ، شمعون شيفر ، ٢٠٠٢/٦/٧

٨- استطلاع مركز سميث للبحوث ، جورازيلم بوست ، ٢٠٠٢/٦/٨ .

التنظيم الذي نريد *

مقدمة :

إن التنظيم (المنظمة) هو عملية التئام أو تجمع حول فكرة أو أفكار أو أهداف ومصالح من قبل أشخاص (يحملون قناعات) ويندرجون في المنظمة في اتصالات مستمرة وضمن تسلسل تراتبي وقوانين أو نظم تحكمهم ، وفي حياة المنظمة يتاح لهم مناخ عمل يبلورون فيه ذاتهم ضمن أهداف التنظيم ويسعون معا لتحقيق الإستراتيجية في بيئة مفتوحة على المحيط دون جدران .

لقد ذهب التعريف المبسط للتنظيم في غياهب الماضي وبقي أن (المعايش) أصبحت تستدعي التنظيم في كل مجالات الحياة حيث يقول تعالى " ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون " الأعراف ١٠ ، وفي التمكين سلطة ونفوذ وتأثير يتأتى بحده الأكبر عبر التنظيم الإداري والسياسي والمجتمعي وفي " المعايش " وسائل وأدوات وأساليب للتمكين هي في قناتها الرابحة التنظيم ، ولكن الناس قليلا ما يشكرون نعمة الله عليهم في إرشاده لهم حول تسيير مصالحهم ودينهم ودنياهم وتحقيق أهدافهم بالسلطة والتأثير ، وعبر إدراج الناس في قناة التجميع وأداة التوحيد الفكري أي في الإطار التنظيمي مما سبق نستنتج أن التنظيم الحديث (المنظمة) ما هو إلا :

١- التئام حول فكرة أو أهداف
٢- أشخاص يحملون قناعات
٣- الاندراج في تسلسل تنظيمي
٤- اتصالات مستمرة (بيئة ديمقراطية)
٥- قوانين تحكم الأعضاء
٦- مناخ يشجع على العمل ، وتحفيز على المشاركة

٧- إستراتيجية تحقق الأهداف العامة والخاصة

٨- بيئة مفتوحة (التأثير والتأثر بالخارج)

(اليزيا) والتوحيد حول الفكرة

لا يقوم لأي تنظيم حديث (حتى التنظيمات المجتمعية والنـوادي ...) أي شأن دون استراتيجية أو دون فكرة موحدة أو أهداف ، ونحن في حركة (فتح) وبعد الاجتياح الإسرائيلي للمدن الفلسطينية مؤخـرا وفـي خضـم المراجعـة المفروضة لأدوات الانتفاضة من الواجب أن نضع العديد من العناوين على مـائدة التشريح لنخرج بها جسدا غير عليل ، كما أن على كـوادر الحركـة وقياداتـها الموجودة في المستويات الثلاث (العليا والوسيطة والميدانية) أن تنظر موضـع الشمس ومصدر الضوء الذي يأتي بالضرورة من فكر فتح المتقـد ، فكـر فتـح القومي العروبي الحضاري الإسلامي ، فكر فتح الذي لا يعدم الوسيلة ، ولا يدخر الجهد لإدماجه في مسار الفعل حيث مبعث النور .

تستجيب الحيوانات إلى المنبه بالحركة والدوران وتحدد اتجاهـها مـن الشمس ، فالقوقعة المسماة (اليزيا) لا تتحرك بالظلمة الجزئية ، غـير أنـه إذا سطع عليها ضوء ما تنشط وتنطلق في طريقها ، ولا تزحف عشوائيا بل بزاويـة محددة وبدقة نهو مصدر الضوء . وإذا ما تحول اتجاه الضوء تغير (اليزيا) على الفور طريقها لتزحف نحو مصدر الضوء بنفس الزاوية .

الحركة والدوران أسلوب (اليزيا) فـي تتبـع الضـوء ، والحركـة والدوران أسلوب أي تنظيم في فهم المتغيرات والمسـتجدات ووضـع الأهـداف موضع التخطيط ، إننا نطالب أنفسنا ألا نتحرك عشوائيا وأن تدهمنا الأحـداث – كالعادة للأسف – نطالب أنفسنا وأطرنا وتنظيمنـا ان يـدرك مصـدر الضـوء ويتحرك بزاوية محسوبة في كل قضية أو هدف ، وفي ورشات العمل المقترحـة

لأطر التنظيم ، هناك الكثير مما يجب الحركة والدوران حولـــه بزوايـــا محـــددة ومحسوبة مثل :-

- أهمية الكفاح المسلح ومدى صحة أوحديته كوسيلة نضال
- ضرورة تعدد أشكال النضال ،وعوامل المحيط المؤثـــرة فـــي الاختيار
- علاقة القومي بالحضاري العربي الإسلامي في التعبئة
- مستويات السرية والعلانية في التنظيم
- أهمية الديمقراطية في التنظيم .
- احترام التوقيتات وتقديس الزمن
- التخلص من الشللية والتشرذم والفساد
- إتاحة الفرصة لتعددية وجهات النظر في الإطار
- وحدة الأهداف والهياكل والمواقع
- أهمية الالتزام السياسي والوطني
- تنشيط المشاركة الشعبية والفعل الميداني
- السماح بحرية التفكير دون جدران
- القدوة وبعث القيم والتمسك بالفضائل
- أليات النشاطات التنظيمية وخدمة المجتمع
- تحديد طبيعة النضال في المرحلة القادمة (سلمي – ديمقراطـــي – عنفي ...)

والكثير غير ذلك مما يجب التفكير به علانية واتخـــاذ رأي أو آراء بـــه ضمن أطر التنظيم ، ان التنظيم الذي لا توحده الفكـــرة بالقناعـــة ، ولا تجمعـــه الأهداف بالقناعة تنظيم مهما كبر أو انتفع فانه يظل عليلا ، ويتضخـــم ســرطانيا دون أن يكون له خط من النجاة بالصحة ، ان الفكرة من حيث أنها نتاج عقلانـــي يقرأ الواقع ويربطه بالأهداف أو الآمال ضرورية للحياة وخاصة الحياة التنظيميـــة لأنه بالفكرة التي تحدد الوجهة وتحدد خطة العمل ، وتحدد لعدم قابلية الاقتناع بـــها

الطريق ، يستطيع التنظيم الصمود كما يستطيع المواجهة ، ومتى ما سقطت الفكرة أو اهترأت أو متى ما سقط حاملوها فإنه سرعان ما تبرز إلى السطح أفكار أخرى تعبر عن واقع الناس ومعاشهم وتأسرهم وتسير حياتهم ، وما كتائب شهداء الأقصى ، في ظل الغياب القيادي الفظيع من الأطر العليا في حركة (فتح) إلا أحد الأشكال لبروز الفكرة الجماهيرية على حساب التكلس والتجلد للأطر وكثير من سكانها الدائمين .

الأهداف الحركية

لقد عجزت الأطر الحركية ذات الجدران المنيعة أن ترسم للكادر طريقا فشقها بنفسه مستلهما بتجربة الحركة الحقيقية في المبادرة والإبداع و إطلاق الأفكار وصنع الحدث مما هو من ميزة الحركة التي انطلقت " بالمجانين " مع الأخ ياسر عرفات ، وتواصلت ترسم الأهداف ، وفي الأهداف لنا وقفة نظرية تقول أنها يجب أن تتسم بسمات عشر كما يقول علماء الإدارة هي : الوضوح والدقة ، والتحديد ثانيا ، والجدية في التنفيذ ثالثا ، والقبول بها من كافة المستويات ، و إمكانية التحقيق ، وإمكانية القياس والمتابعة ، وأنها مقرّة من الأطر ، وتشاركية أي توضع بمشاركة الجميع ، وتاسعا أنها محسوبة كما تحسب (اليزيا) حركتها ، وعاشرا تفهم الزمن والتوقيت وتتعاطى معه وهل في غير ذلك فكر وتدبر من اتخذ من الرد المتزن والتفوق الأخلاقي استراتيجية للانتفاضة ؟

رؤية الآخر والقنافذ

لم يعد التنظيم يستطيع أن يخلّص الأشخاص من قناعاتهم السابقة بسهولة ، فالذي ثبت أنهم يأتون بأفكارهم ويحاولون أن يوسعوا من مساحة تقبلها – خاصة في حركة (فتح) – ولأن الحركة اعتادت ذلك حتى أصبحت التعددية فيها سمة ، فانه أصبح من المتوجب التعامل مع الأعضاء على قاعدة احترام اختلافاتهم حتى

الفكرية ما دون إطار الاستراتيجية الحركية العليا (ان وجدت أو التي يجب أن توجد) .

ان الاتصالات في التنظيم عملية مستمرة من التأثير والتأثر تخضع لعوامل عديدة من الموقع والنفوذ والقدوة والمال والقرار والديمقراطية والهيكل التنظيمي ، وربما لعوامل أخرى سلبية تتمثل بالسطوة والتهديد والاستئثار واستخدام الأجهزة الأمنية والصورة الشعبية أو الإعلامية التي ليست بالضرورة حقيقية ، ولكنه في جميع الأحوال تظل الاتصالات مدخل غرس الفكرة الجيدة أيضا ، ومدخل التحفيز ، ومدخل لرسم المشاركة ، ومدخل التدريب والتثقيف الحركي المتواصل ، ومدخل هدم الجدران حول الأطر العطنة .

ان الاتصالات من حيث هي تبادل للحقائق والأفكار والآراء والعواطف ، أو من حيث هي اشتراك بالمعنى والمفهوم كما يقول العالم سي جي براون اعتراف (بإنسانية) الكادر ، وضرورة أن يعبر عن ذاته وروحه بطريقته ، ان الاتصالات في التنظيم إقرار بحق الفرد _عبر الديمقراطية التي يجب أن تكون محرك حياة التنظيم _ في التفكير وإبداء المشاعر والتساؤلات والعواطف والمعاني وتقبل التوجهات أو القرارات أو التوصيات بالاتجاه الآخر . ان التأثير والتأثر والإرسال والتلقي ، والبعث للأفكار والمشاعر والآراء والاستجابة عملية يومية يجب أن تكون في التنظيم خاضعة لتنظيم (القنوات) ومهدفة لإحداث التأثير ، لا سيما وثورة (المعلواتصالات) حولت العالم إلى قرية بحيث أصبحت المعلومات مشاعا صعبا ، بمعنى أن المشكلة أضحت ليس بالحصول على المعلومة و إنما بكثرتها إلى درجة التشبع ، وهذا ما يحتاج من التنظيم إلى عبء إضافي في التربية والبناء والتدريب على تحري ودرس وتمحيص وكشف وربط وتنقية المعلومات ، بحاجة إلى تعلم آليات التفكير وتحسين التفكير والإدراك ، وإدراك الجديد في آليات تحسين الاتصالات في التنظيم عبر التسلسل الهرمي ، وبين الإنسان وذاته ، وبين الناس معا ، وبين التنظيم والجماهير عامة ، وللمعلومة فإن التسلسل الهرمي لدى القنافذ على سبيل المثال ليس قائما على

هيمنة القوي على الضعيف فهناك عوامل أخرى كما يعتقد البرفسور (كونراد هيرتز) هي الشخصية البارزة والمواهب .

ان بيئة الاتصالات المفتوحة داخل التنظيم (أو شبه المفتوحة) هي بيئة التربية الديمقراطية التي تتيح للأفكار أن تتناطح ، لا أن ترفس بعضها بعضا بمعنى أن يتم قبول صراعها لا عدائها كما هو حال عالم الزرافات التي لا تقتل إلا عدوها بالرفس ، وتحل مشاكلها معا بتناطح الرقاب دون أن تؤذي بعضها بعضا بالموت .

سعيد بن المسيب والديمقراطية

لقد رفض سعيد بن المسيب المخزومي إمام التابعين بيعة ولدي عبد الملك بن مروان لأن البيعة لا تكون صفقة يفرضها ولي الأمر (أو القائد) على الناس و إنما تكون شورى أو (ديمقراطية) بين المسلمين (بين الكوادر والتنظيم) ، ومن أين يعلم سعيد بن المسيب أن الوليد وأخاه سليمان يصلحان لولاية أمور المسلمين؟! لقد ضرب الوالي سعيدا سبعين سوطا لكي يبايع فلم يحفل للخليفة ، ولم يبع ضميره ، وأظن أن شعبنا الفلسطيني وكوادر حركة (فتح) كلهم سعيد بن المسيب ، عنادا وتصدي وصمود ضد الاحتلال من جهة ، ومطالبة بالديمقراطية والتغيير من جهة أخرى .

التراتب والقوانين

تفتقد حركة فتح لاحترام النظام (القانون) ربما لمرور أزمان طويلة وحوادث كبيرة متجاوزة للمستقر دون تغيير ، كما تفتقد لآليات تغيير للنظام وفق مستجدات ومتغيرات الحال ، فيصبح الحال واقع لا يتطابق مع القوانين ، فيعيش الأعضاء والكوادر فجوة التعامل مع القوانين أو الواقع . إلا أنه في واقع الحال يجب أن توجد آليات دورية كما هو المفترض بشأن تغيير الأطر وتغيير الكادرات

والمواقع ، آليات دورية تستطيع تغيير القوانين بما يتسق مع الواقع وهذا مما هو مقدور عليه عبر إتاحة الفرصة للجان المناطق والأقاليم باقتراح التغييرات أو إقرارها ، أو باحترام المواعيد الدورية لانعقاد المؤتمرات مهما كلف الأمر لتجري مياه جديدة ويتنفس الناس هواء جديدا ، وتعود السلاحف الخضراء إلى مواطنها فرحة مسرورة .

مناخ العمل والوسائل

لا عمل أو مشاركة بلا مناخ مشجع على العمل ، ولا عمل بلا مناخ محفّز على العمل ، أي لا عمل جيد ومتصل ومكتمل دون مناخ مشجّع و محفّز ، وفي الحقيقة يكون المسؤول الأول (القائد أو المدير أو أمين السر) هو المسؤول عن (إشاعة) المناخ المرتبط بشخصه وثقافته وبيئته هو ، من كآبة وتقطيب وجمود ، أو احتقار للآخرين وتهوين من شأنهم ، أو مرح وخفة ظل أو تديّن وحث على التقرب إلى الله والعمل ، أو مزاجي متقلب ، أو ...الخ ، مما يفرض نفسه على الأطر بعيدا عن اللوائح الداخلية المنظمة التي يجب أن يكون لها حظ من الاحترام والتطبيق .

ومناخ العمل يتماهى مع الوسيلة ، فاختيار النضال الإعلامي يحتاج لقائد يبث مناخ عمل ذو خطوط مفتوحة ، واختيار النضال الفكري يحتاج لقائد يحفز الكوادر على التفكير والشك والنقد و الإبداع ، والقائد العملي التنفيذي يشيع جوا أو مناخا لا يقبل فيه سكون الأعضاء لذلك وجب القول أن الرجل المناسب في المكان المناسب وفي الزمن المناسب ، بمعنى التغيير الديمقراطي وتبادل المواقع وتداول السلطة عبر الزمن

(إن أي مجتمع يرغب في أن يرتقي بدرجة استعداده لمواجهته القرن ٢١ سوف يدفع الثمن لقاء ذلك الانتقال ، إذ أنه سيحتاج إلى إعادة شحذ مهاراته القومية وبناه التحتية ، وتحدي القوى التقليدية وتغيير الكثير من العادات القديمة وإجراء العديد من التعديلات في هياكله ...)

وسيستلزم كما يضيف الكاتب محمد الجزائري في مؤلفه احتلال العقل – (بالضرورة رؤية بعيدة المدى) (فالصين استعادت هونج كونج بعد ١٥٦ سنة من الانتظار ودبلوماسية الحنكة وقوة رأس المال عام ١٩٩٧ ، ثم ماكو عام ١٩٩٩ ، وسيليها تايوان وغيرها) (ولم يلجأ التنين الأصفر لاستخدام القوة لاسترجاع جزره المقطوعة عن الأم ، وإنما لجأ للغة الحوار والمفاوضات بعد أن فنهم روح العصر والتوازنات الدولية ليلعب دور المفاوض المحنك والصعب الذي يعرف كيف يتغلب على أكثر عتاة الدبلوماسية دهاء ومكرا) .

لذلك لا يجوز أن نكرر مقولات نشأت لحاجة زمن وفي ظل تصادم قوى أو في ظل توازنها على الأقل من مثل : إن الكفاح المسلح هو الطريق الحتمي والوحيد ، أو أن حرب الشعب طويلة الأمد طريقنا الوحيد للنصر – وهي اختراع صيني على كلٍّ ، استخدم في الثورة الصينية ، ولم يستخدم لاسترجاع الجزر الصينية – لأن الوسائل مرهونة بالقدرة الذاتية وقدرات الخصم ، وبالعوامل الإقليمية والعوامل الدولية ومدى توفر الفرصة ونجاحها ، مقرونة بالنهوض الشعبي و التواصل الديمغرافي ، مرتبطة بالجغرافيا كما هي مرتبطة بالسياسة ، ومن لا يرى الجديد ولا يرى المتغيرات كما يقول الأخ هاني الحسن يسقط في السياسة ، ولا يستطيع أن يبدع الوسيلة أو الوسائل على كثرتها وإمكانية تغييرها في الإستراتيجية وفق حجم العوامل وتأثيراتها . ولنا وقفة في الوسيلة هنا : لقد كسب العدو الجولة حين عرض صور ١١ طفلا فلسطينيا تم استغلالهم من بعض التنظيمات الفلسطينية التي لا ترى أبعد من أنفها لتنفيذ عمليات انتحارية لا تعبر عن الإسلام أو العروبة أو فلسطين أو الاستشهاد في شيء ، وتنصل مرسلوهم منهم ؟؟! وما كانوا ليدركوا أن صحابيا جليلا مثل زيد بن ثابت الأنصاري لم يحضر بدرا أو أحدا لأن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منعه ، لماذا ؟! لأن سنّه كانت تحت سن القتال أو النضال .

سياسة التنظيم

يجب أن ترسم سياسة التنظيم في الإستراتيجية لغرض تحسين وسائل الجذب والاستمالة و الاستقطاب الحركي ، وبعث أو تجديد العضوية للعمل على إشاعة مناخ ديمقراطي ، ثقافي ، إنساني يكرس

- الثقة بالأعضاء واحترامهم
- دعم احتياجاتهم والاستماع لهم
- أن يكون أمامهم مسؤول واحد
- متابعتهم تراتبيا والتعاطي مع تساؤلاتهم جديا
- تنشيط البحث والدرس والتعلم الدائم فيهم
- العمل معهم وبينهم وحثهم على العمل لخدمة الناس
- توحيد مصادر المال والقرار
- إعطائهم شحنات من العواطف والمديح
- وقف التقاطعات والتداخلات التنظيمية
- تشجيعهم على التعبير والتفكير والتواصل الحر
- إنشاء نوادي للتعبير الحركي الثقافي والبدني ...
- إشاعة جو من الحبور والمحبة ...الخ .

النظام المفتوح وتعليم التفكير

إن التنظيم (الحديث) أصبح يتطلب الكثير من التدقيق والعمل ليصبح جاذبا ومحفزا ومقنعا وحاثا على العمل وقبله على الانتماء إليه والنجاح عبره ، يقول "روبير بابين" في كتابه الهام الموجه للقيادات الإدارية أنه في التنظيم (سيكون التفضيل غدا للانتصارات والتجليات وللتأهل الدائم بدلا من الألقاب والشهادات) ، وفي التنظيم السياسي خاصة متى ما وضعت احتياجات الناس المعيشية المادية والروحية والاجتماعية والنفسية ، ومتى ما

استخدمت قيادة التنظيم فن تحريك الحوافز والاتصال ، ضمن أولويات إستراتيجية أي تنظيم فإنه يستطيع بالضرورة أن ينفذ لقلوب وعقول الجماهير ويتقدم .

في ظل العالم المفتوح على مصراعيه لم يعد هناك إمكانية للحديث عن مدارس حزبية صارمة كما هو شأن المداس الحزبية في الاتحاد السوفيتي المنهار، أو بناء عقائدي مغلق أو ممارسة التأثير على نمط مدارس الحشاشين في التاريخ الإسلامي العربي الذين كانوا يوهمون الأتباع بجنتهم ويوجهونهم للقتل

إن العالم أصبح بلا حدود جغرافية فيما يتعلق بسبيل المعلومات المتدفق دون انقطاع فما يمكن أن يخفيه التنظيم أو الحزب لا يمكن أن يدوم لساعات أو أيام لأن الكادر سيجده في الصحف أو التلفزة أو الإنترنت بعد مدة وجيزة وعليه فإن التنظيم المغلق أو المعزول عن تأثيرات البيئة انقضى عهده وولى .

ومن هنا وجب احترام عقول الناس وتفكيرهم والتعامل معهم ببذل الجهد الحقيقي لإكسابهم الفكر والثقافة الحقيقية لا الهامشية وتعلمهم مهارات وقدرات التفكير والعقل ليستطيعوا أن يميزوا الغث من السمين في سيل المعلومات والصور المنهمر .

إن تعليم التفكير ضرورة لازمة كما التعبئة الفكرية الجادة والتثقيف المتواصل والتأهيل ويلحقها ضرورة المرونة في التعامل مع احتياجات الناس وبيئتهم والمؤثرات عليهم ، لأنه لم يعد (التنظيم) أي تنظيم إسلاموي أو قومي أو وطني أو حركي ، سياسي أو اجتماعي أو ثقافي ...الخ ، بقوانينه وأطره ، لم يعد المؤثر الوحيد الملزم قسرا إلا في النظم الديكتاتورية القليلة الباقية في العالم ، وفي الأنظمة فوق الديمقراطية كما الولايات المتحدة الأمريكية التي تستغل قدراتها المالية الهائلة في الإعلام لتضليل شعبها

والعالم أو تغيير قناعته أو توجيهه (عبر السينما وهوليود والتلفزة وال (سي أن أن) والإذاعات والتحكم في الإنترنت والصحف ...) بعيدا عن الحقائق

لقد وردفي القرآن الكريم ١٨ آية في الفكر والتفكير ، وذكرت الألباب أي العقول ١٦ مرة ، وقس على ذلك الأفعال (نظر ، بصر ، تدبر ، ذكر علم ...الخ) لأن (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) ١٩١/٣ ، هم المفلحون .

حركة فتح و التكرس

قلنا أن فتح بؤرة الإبداع والتميز ، فتح تنظيم التغيير الحقيقي دون أدوات النظام (القانون) ، وفتح القاعدة أو التنظيم هي فتح الحقائق التي تتكرس يوميا متجاوزة القيادات _أو التي تعتبر نفسها قيادات ذات الجدران المتصدعة_ والوقائع التي ترسم على الأرض ضاربة بعرض الحائط بالأطر الجامدة ، وهي فتح المسيرة التي تتفوق على إشارات المرور المثبتة في متن النظام وهي العلامات الفارقة أو المضيئة في ظل تكلس أو تحجر المؤسسة وارتدادها الديمقراطي .

في تجارب الحركة رعاية للمبادرات وحث على الإبداع ، و تجليّات وأثواب ومسالك مثل العاصفة ، والقيم ، وتنظيم الثانويات ، والأشبال والفتوة ، والصقور والفهد الأسود ، وتجارب السجون الثرية، والشبيبة الفتحوية ، وكتائب شهداء الأقصى ، وفي مسالك الظلمة فيها تيار يبني حوله الأسوار فيقاوم التغيير بالطبع خوفا على نفسه ونفوذه ، وخوفا على امتيازات باطلة لم يرثها عن والده أو أجداده ، لذلك فان قتل الإبداع لدى هذا التيار أصبح مهمة قتالية ، بل ومهمة شرسة قد يلجأ فيها إلى الرفس وفي دراسة إدارية عملت عن قتل الإبداع أظهرت أن هناك عشر عبارات ذات دلالات تستخدم _وبالطبع مثلها الكثير_ ضد كل حامل مصباح يضيئ الظلمة أو لكل مطالب بالديمقراطية وضد تلاميذ الفكر ، أو

ضد كل محق في سعيه لإحلال الأجيال الشابة عقليا مكان الأجيال الشائخة عقليا تتمثل بالردود التالية

١- هذا كلام فارغ
٢- الناس لا يتقبلون هذا الرأي
٣- طرحك خارج الاختصاص
٤- أنت سابق زمانك (تهكم) ، أو حضرتك أبو العريف
٥- لا يوجد لدينا إمكانيات
٦- سنغير لما غيرنا يتغير
٧- فكرة قديمة في ثوب جديد
٨- أوه ، حتى القيادة لم تفكر مثلك
٩- بعد ما شاب ودُّوه الكُتّاب
١٠- النظام (اللوائح) لا يسمح

إن التغيير ليس مطالبة ، والتغيير ليس رغبة ، إنه قانون أزلي وحقيقة يومية فهناك ما يستدعي التغيير يوميا في الأفكار أو الحجج أو العادات أو النظرات أو الرؤى ، وهناك ما يتغير دوريا وفق القانون أو النظام أو اللوائح ، أو عبر النظام الديمقراطي ، وهناك يا يتغير قسرا بحكم الطبيعة أو حوادث الزمن . لذلك لا مأثرة لأحد بمطالب التغيير أو الإصلاح أو التجديد أو تحطيم جدران التنظيم القديم ، ولا يستطيع أحد أن يوقف قطار الإبداع في التنظيمات الفلسطينية ، وفي حركة (فتح) ، أو مسيرة التميز والمبادرة والتغيير فيها ، مهما لاحت له إشارات خطر تحدق به أو بموقعه أو صورته التلفزية

قال المؤرخ المسعودي يصف قتل الخليفة العباسي المعتز على يد الأتراك (فدخل عليه جماعة منهم فجروه برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس (الحراب الصغيرة) ومزقوا قميصه ، وأقاموه في الشمس في الدار ، فكان يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر ، وكان بعضهم يلطمه وهو

يتقي بيده ، وأدخلوه حجرة وأحضروا ابن أبي الشوارب وجماعة أشـــهدوهم على خلعه وسلموا المعتز إلى من يعذبه فمنعه الشراب والطعام ثلاثـــة أيـــام فطلب جرعة ماء من بئر فمنعه ، ثم أدخلوه سردابا وجصّصـــوا عليـــه أي أغلقوه عليه وبنوه بالجبس فمات) . نتمنى ألا يكون بيننا أمثـــال ابـــن أبـــي الشوارب ، ولا أمثال الشاعر المنافق ابن هانئ الذي قال في الخليفة الفـاطمي عبيد الله المهدي الذي اعتبر نفسه المهدي المنتظر ؟؟!

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار.

خلاصة :

إن الاستعداد النفسي والمسبق والتأهب الرحب والرغبة فـــي التغيـــير واستيعاب الجديد هو الخطوة الكبيرة الأولى نحو التحقيق بـــانطلاق التنظيـم الذي نبتغيه. إن التنظيم الذي يُقدّر الأعضاء والكـــوادر ويحـــترم آراءهـــم ، ويتيح لهم مساحة واسعة من التعبير عن الفكر والرأي هو التنظيم الذي نريـد ، والتنظيم الذي يجعل من الانضباط والانتماء والالـــتزام بالكلمـــة والإطـــار والفكرة والجماعة عقيدة تترابط مـــع الإيمـــان الـــذي لا تشـــوبه شـــائبة ، والإخلاص الذي يتسامى لدرجة تقديم مصلحة المجموع ومصلحـــة النـــاس ومصلحة الآخرين على مصلحة الذات هو ما نريد ، والتنظيم الـــذي يطـــوع القوانين ويعيد إنتاج نفسه عبر الانتخابات الدوريـــة ، والتجـــدد ، والانبثـــاق الدائم هو ما نطمح إليه .

والتنظيم (المنظمة) الذي يحترم العمل والعمل ثم العمـــل ، ويقـــدر الكفاءة ويدعم الإتقان ، ويدفع الأعضاء للمبادرة وإبـــداع الأفكـــار وتجســـيد الخطط على الأرض نشاطا وفعاليات متصلة تخدم الجماهير والبيئـــة ، هـــو التنظيم القادر على لفظ الكسل والكسالى والإهمال والتراخي والإحباط واليأس

، وهو الذي يمقت الدوران في فلك الشـــللية والتكتـــل و الأنانيـــة والفرديـــة وتفصيل الأطر بمقاسات بعض النافذين من الكوادر دون ناتج أو فعالية تذكر

إن التنظيم الذي يحمله الأعضـــاء فكـــرا واتصـــالات دون تنـــاطح وصراع مقيت ، و يحترم فيه ما خطت يداه من قوانين وتخطيط ومحاســـبة وخط سياسي وعمل تشاركي ونور وإبداع دائم وقدرات معترف بها وقابلـــة للنمو والاستثمار وتجدد ديمقراطي هو التنظيم الذي يجـــب أن نعمـــل معـــا لتحقيقه لأننا كفلسطينيين في وسطيتنا بالفكر والمنهج والبناء والسياسة نحتـــاج لتنظيم يكون تنظيم المستقبل .

- فلسطين–رام الله في ٢٠٠٣/٩/٨ .

الكاتب : بكر أبو بكر

-مواليد فلسطين عام ١٩٦٠ ، تخرج في العام ١٩٨٥ بكالوريوس هندسة مدنية.

-شارك في حلقات وجولات ودورات فكرية وإدارية ونقابية وسياسية عديدة.

-عقد عشرات الدورات لكوادر تنظيمية وجاليات في مختلف التخصصات الإنسانية في فلسطين وخارجها.

-رئيس الاتحاد العام لطلبة فلسطين في الكويت ١٩٨٤-١٩٨٦ .

-عضو لجنة إقليم (قيادة) حركة (فتح) بالكويت ١٩٨٧-١٩٩١ .

-عضو المجلس الإداري للاتحاد العام لطلبة فلسطين منذ ١٩٩٠ .

-عضو المجلس الوطني الفلسطيني .

-مسؤول الدراسات والدورات في مكتب التعبئة والتنظيم لحركة (فتح) ، تونس ١٩٩١-١٩٩٦ ، وعضو مكتب التعبئة والتنظيم في الوطن منذ العام ٢٠٠٢ .

-نائب المفوض السياسي العام .

- مسؤول مدرسة الكوادر في التوجيه السياسي والوطني في فلسطين منذ ١٩٩٦ ، ثم مفوضية التدريب و مدارس الكوادر .

-له العديد من الدراسات والأبحاث والكتابات المنشورة في الصحف والدوريات والمعتمدة للدورات المختلفة .

-مفكر وباحث و كاتب في عدد من الصحف مثل : الحياة الجديدة ، فلسطين اليوم ، وطني ، الدستور، أقواس ، الجريدة (الإلكترونية) ، الانتفاضة ، الكرامة.

-صدرت له الكتب التالية :

الدراسات والكتابات :

١. مفاهيم لا بد منها – عناة للطباعة والنشر – رام الله ١٩٩٧ .
٢. تحقيق الفوز في قيادة الحملة الانتخابية – gups- ١٩٩٩ .
٣. مبادئ المسؤولية التنظيمية .– عناة للطباعة والنشر– ١٩٩٨
٤. كيف تقيم معسكرا؟– التوجيه السياسي–١٩٩٧
٥. التفكير في حركة (حماس)– مدرسة الكوادر–١٩٩٨
٦. حركة حماس سيوف ومنابر – مدرسة الكوادر ٢٠٠٣
٧. حركة (فتح) بؤرة الإبداع والتميز –مدرسة الكوادر–١٩٩٨.

النتاجات الأدبية :

١) لم لا ! (مجموعة قصصية) .–دار الزاهرة–٢٠٠٠
٢) برق مقيم (نصوص) –دار خليل الوزير– ٢٠٠٣
٣) في الزمن الواقع بإمكانكم أن تطيروا (مجموعة قصصية) ، دار الشروق ، ٢٠٠٣ .

محتـــــــويات الكتـــــاب